

مجلة الدراسات الإنسانية

تصدرها كلية الآداب والدراسات الإنسانية – كريمة – جامعة دنقلا

مجلة نصف سنوية – محكمة. العدد التاسع عشر يونيو ٢٠١٤م

هيئة التحرير

المشرف العام

د. عبد الحكيم حسن إبراهيم

مستشارو التحرير

أ.د. حسن علي الساعوري

أ.د. عباس سيد أحمد زروق

أ.د. عبد القادر محمود عبد الله

أ.د. علي عثمان محمد صالح

أ.د. محمد المهدي بشري

أ.د. كباشي حسين قسيمة

أ.د. نصر الدين سليمان علي

هيئة التحرير

رئيس هيئة التحرير:

أ.د. محمد مهدي إدريس

رئيس التحرير:

د. محمد عز الدين علي

سكرتارية التحرير :

د. السيد بخت أحمد

د. محمد الطيب الفكي

د. مجدي سليمان حمزة

أ. أميرة علاء الدين صالح



قواعد النشر

تُعنى المجلة بترقية البحث العلمي في مجالات العلوم الإنسانية وبالاجتماعية وتهتم - على نحو خاص - بنشر البحوث والدراسات ومراجعات الكتب والتقارير العلمية والندوات المتخصصة، كما ترحب بالمناقشات الهادفة والموضوعية لما ينشر فيها.

قواعد النشر:

* يقدم المقال أو الدراسة مطبوعاً على ورق (A4) ومرفقاً معه قرص مدمج (3.5) ، فيما لا يزيد عن (7500) كلمة - أي حوالي (25) صفحة، سواء باللغة العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية، ومستوفياً لاشتراطات سلامة اللغة.

* ألا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم للنشر في جهة أخرى، كما لا يجوز نشره - كاملاً أو جزئياً - في وعاء آخر، إلا بإذن خطي من المجلة.

*توضع إحالات المراجع في داخل النص وفق طريقة جامعة هارفارد (الطريقة الأمريكية) للتوثيق، وهي كما يلي: (الاسم الثالث سنة النشر، ص). هذا في حال أسماء الكتاب الأجانب ومؤلفي المصادر العربية كالتطبري. أما أسماء مؤلفي المراجع العربية، فتكتب ثلاثية مثل (أميرة علاء الدين صالح ٢٠٠٨م، ص ١٠٩).

* أما ترتيب المراجع في القائمة فيرد وفقاً لما يلي: في حال المراجع الأجنبية والمصادر العربية: الاسم الثالث/اسم الشهرة، الاسمين الأولين

سنة النشر، عنوان الكتاب أو المقال، دار النشر، مكان النشر، (تضاف صفحات المقال في حال الدوريات)؛ بينما تكتب أسماء مؤلفي المراجع العربية ثلاثية في هيئتها العادية، وتليها بقية البيانات.

* تعرض المقالات والبحوث على مُحكِّمين مختصين في مجالات اهتمام المجلة لإجازتها، وتقوم المجلة بإخطار صاحب المقال بقرار المُحكِّمين، وللمجلة الحق في إجراء أي تعديلات شكلية أو جزئية قبل نشر المادة، دون أن يخل ذلك بمضمون المادة المنشورة في حالة الموافقة بنشرها.

* تقبل البحوث من كافة الباحثين، من داخل وخارج السودان.

* الأفكار والمعلومات الواردة في البحوث تعبر عن آراء كتابها وليس بالضرورة تبنيها من قبل كلية الآداب والدراسات الإنسانية.

* تمنح المجلة كاتب المقال ثلاث نسخ من العدد الذي يحتوي على مقاله.

* أصول المقالات التي ترد إلى المجلة لا تسترجع سواء نشرت أم لم تنشر.

* تحتفظ المجلة بكافة حقوق النشر.

* ترسل البحوث باسم السيد/ رئيس هيئة التحرير - السودان - كريمة ص

ب ٥٨ أو على البريد الإلكتروني magazinearts@yahoo.com أو

بالفاكس ٠٠٢٤٩٢٣١٢٢٩٥٤ أو الهاتف الثابت ٠٠٢٤٩٢٣١٨٢٠٠٩٨

كلمة العدد

القارئ الكريم بين يديك العدد الثاني عشر من مجلة الدراسات الإنسانية وهو حافل بموضوعات عديدة تراوحت بين الدراسات النظرية والبحوث الحقلية ، وقد أولت هيئة التحرير عناية بالدراسات ذات الصلة بالسياحة، وهكذا كان الحال في غالب الأعداد السابقة، رامين لإثراء الساحة بدراسات رصينة في هذا المجال كي يتحسن واقع السياحة على الصعيدين المحلي والإقليمي. وحرصنا أيما حرص على أن تظل مجلة الدراسات الإنسانية منبراً للأكاديميين من الدول الشقيقة، فضلاً عن الزملاء في الجامعات السودانية والمهاجر.

يلاحظ المتابعون لمسيرة المجلة أننا غضضنا الطرف في هذا العدد، عن استهلال الدراسات بمستخلص باللغة الإنجليزية وسيكون هذا ديدنا في مقبل الأعداد. إن الإقبال الكبير للنشر في هذه المجلة - من مختلف الفجج- بقدر ما يمنحنا الشعور بالراحة يدعونا في ذات الوقت لبذل مزيد من الجهد ابتغاء الجودة والتجويد المستمر. ويظهر هذا الاتجاه الأخير بوضوح في ما بذل من تدقيقٍ مضمّن طال التوثيق في متون وقوائم مراجع موضوعات هذا العدد، بحيث وافقت نظام التوثيق المتبع لدى جامعة هارفارد، لذلك نرجو ممن يرسلون إلينا مواضيع للنشر، أن يلتزموا باستيفائها لهذا النسق!

ختاماً شكرنا موصول لكل من أسهم في صدور هذا العدد، آمليين في مزيد الدعم والمؤازرة، سواءً عبر رفقنا بالدراسات أو المقترحات التي ترمي للتطوير. ونأمل أن يلتمس لنا الزملاء الأعذار إذا ما رأوا أننا قد تأخرنا في نشر إسهاماتهم، فالتأخير يرجع في معظم الأحيان لتقيدنا بقاعدة أولوية النشر للمواضيع الأسبق وروداً للمجلة. وندعو المشاركين بدراسات في الأعداد القادمة لأن يتقيدوا بقواعد وشروط النشر المبينة في ص (ج).

محتويات العدد

- ١- كلمة العدد ٤
- ٢- تراث نجران : توظيفه واستثماره سياحياً
- كباشي حسين قسيمة - عبد الناصر بن عبد الرحمن الزهراني ٧
- ٣- السياحة والاقتصاد السوداني: الواقع والرؤية المستقبلية
- على محمد عثمان العراقي ٤٣
- ٤- نتائج الموسم الأول للمسح الأثري (٢٠١٠-٢٠١١م) في منطقة الفلج بولاية صحم (سلطنة عمان)
- ناصر سعيد الجهوري- وليد سلطان المزيني ونعمة محمد الأغبري ٧٥
- ٥- الجامعة والمتحف في دول الخليج العربية
- محمد بن علي البلوشي ١٣٩
- ٦- العادات والتقاليد الفارسية في البلاط العباسي (العصر العباسي الأول)
- كمال الحاج الحسين عبد الرحمن ١٧١
- ٧- المرأة في المدينة المنورة (١ - ١١هـ)
- الزين عوض صالح ١٩١
- ٨- اقتصاديات المدينة المنورة في العصر الأموي
- عبد الحكيم حسن إبراهيم سيد أحمد ٢١٥
- ٩- الصُّورَةُ الفَنِّيَّةُ في موشحات الأعمى التُّطِيلِي (أدواتُ تَشْكِيلِهَا وَطَرَائِقُ بِنَائِهَا)
- محمد محجوب محمد عبد المجيد ٢٣٣
- ١٠- دراسة عوامل تلف مخطوطات المملكة العربية السعودية (مخطوطات مكتبة الأمير سلمان بن عبد العزيز نموذجاً)
- عبد اللطيف حسن أفندي ٢٥٣

- ١١- المعوقات المهنية والإدارية والمالية للتربية العملية بكليات التربية بالجامعات السودانية
نعمات حسين الحسن- عمر محمد السيمت - أحمد سليمان مصطفى ٢٩١
- ١٢- انتشار مرض الملاريا في البيئات الحارة الجافة (الولاية الشمالية - مروي)
السيد بخت أحمد بخت..... ٣٣٩
- ١٣- رؤية حول الحقوق السياسية في مشروع الدستور السوداني
أكرم بابكر الشريف حمد ٣٦١

تراث نجران: توظيفه واستثماره سياحياً

د. كباشي حسين قسيمة (الباحث الرئيس)

د. عبد الناصر بن عبد الرحمن الزهراني (الباحث المشارك)

جامعة الملك سعود - كلية السياحة والآثار

مقدمة:

تزخر منطقة نجران بمنظومة تراث متعدد الجوانب، وضارب الجذور في أعماق التاريخ البشري، متمثلاً في التراث الثقافي (التراث الأثري، المباني التاريخية النادرة والتميزة، كقصر الإمارة وقصر العان، ومعالم العمارة التقليدية مجسدة في القرى التراثية "الحضن، الجام"، والتراث الشعبي والمأثورات الشعبية "الفولكلور"، والأسواق الشعبية التقليدية، والتراث المادي والألعاب الشعبية وضروب الفن والأداء والرقصات). وتشتهر أيضاً في مجال التراث الطبيعي حيث تتميز المنطقة بتنوع وتفرد في معالم وموارد ومواقع هذا التراث الذي يشكل مورداً طبيعياً للجذب السياحي في مجال السياحة الطبيعية والبيئية.

يتناول البحث أهمية إبراز معالم وموارد التراث الطبيعي والثقافي في منطقة نجران، ويسعى لتوظيفه واستغلاله اقتصادياً في مجال صناعة السياحة من خلال منهجية علمية تطبيقية تمثل أنموذجاً يحتذى به في بعض مناطق المملكة المختلفة. كما يتناول البحث أهمية الاستثمار السياحي للمباني التراثية والفوائد والمنافع الاقتصادية والاجتماعية التي يمكن أن يستفيد منها المجتمع المحلي. كما يركز البحث بصورة رئيسة على بعض المباني والمعالم التراثية والتاريخية المختارة في منطقة الدراسة وإمكانية استثمارها سياحياً في مجال الفنادق والنزل التراثية والمطاعم التراثية وما يترتب على ذلك من فوائد اقتصادية.

١- مشكلة البحث: (Research Problem)

بالرغم من ثراء منطقة نجران بتراثها الثقافي والطبيعي المتميز والمتفرد إلا أنه لم يحظ بدراسة علمية ومنهجية معمقة تعمل على إبرازه والتعريف به، ومن ثم توظيفه اقتصادياً. فالمناطق التراثية أصبحت في عالم اليوم مورداً رئيساً للترفيه والتنزه وعنصراً فاعلاً في السياحة الثقافية والبيئية. تكمن مشكلة البحث في عدم الاستفادة الاقتصادية من المخزون الثقافي والتراثي والطبيعي الضخم في المنطقة وتوظيفه واستثماره سياحياً لفائدة اقتصاديات منطقة نجران وانتعاش المستوى المعيشي للمجتمع المحلي.

٢- أهداف البحث: (Research Objectives)

- حصر وتحديد معالم وعناصر ومكونات التراث بنجران لوضع قاعدة بيانات معلوماتية تسهم في التعرف عليه وتساعد في أعمال تخطيطه وإدارته.
- إبراز القيم والمعاني والدلالات التاريخية والحضارية والرمزية والمعرفية لتراث نجران.
- توفير مادة علمية لطلاب قسم إدارة موارد التراث والإرشاد السياحي للعديد من المقررات (مقدمة في إدارة التراث، اقتصاديات التراث، وإدارة التراث الطبيعي).
- حصر المخاطر الطبيعية والأنشطة البشرية السالبة التي تهدد المعالم التراثية بنجران وتعمل على تلفها وتدميرها، مع السعي لوضع الحلول لمعالجتها.
- إبراز أوجه التراث الشعبي المادي بالمنطقة (المصنوعات اليدوية والحرف التقليدية) بهدف ربطها بواقع الحاضر المعاصر وإبراز الإبداع الإنساني الفني.
- توظيف المباني والمعالم التراثية (القرى والبلدات التراثية) في استخدامات سياحية جديدة "نزل ومطاعم تراثية" ما يساعد في توليد فرص عمل وتوظيف يسهم في تحجيم البطالة وانتعاش الدخل للمجتمع المحلي

٣- أهمية البحث: (Research Significance)

تكمن أهمية البحث في النقاط التالية:

لم يتم تناول موضوع البحث بصورة علمية تطبيقية في مجال اقتصاديات التراث ، لذا من المأمول أن يقدم هذا البحث إضافة علمية في مجال توظيف موارد التراث اقتصادياً في منطقة الدراسة من خلال أعمال الاستثمار السياحي. إبراز القيم والمعاني التي يحملها تراث المنطقة والتي تشكل النافذة التي يتم من خلالها التعرف على حياة المجتمع وعاداته وتقاليده ومأثوراته الشعبية. تشجيع دراسة التراث للاستفادة من كنوز الإيجابيات كالصبر وتحمل المسؤولية والاعتماد على الذات كما هو مائل في مجال الحرف والمصنوعات التقليدية وفن العمارة التقليدية.

إبراز أهمية الاستغلال الأمثل لموارد التراث الثقافي والطبيعي بالمنطقة لفائدة الجيل الحالي وأجيال المستقبل وفق منهجية أو رؤية التنمية السياحية المستدامة.

٤- منهجية البحث: (Research Methodology)

بناءً على طبيعة الدراسة التي يتناولها هذا البحث فان منهجيته تعتمد على المنهج التكاملي، الذي يتضمن المنهج الاستقرائي والوصفي والتحليلي. أما إجراءات البحث ووسائله فتشتمل على الآتي:

جمع المادة العلمية عن منطقة الدراسة مكتبياً من خلال المصادر والمراجع ذات الصلة.

إجراء المسح والعمل الميداني للدراسة التطبيقية الميدانية لتحقيق أهداف البحث.

تحليل المعلومات التي تم رصدها وجمعها من خلال أعمال المسح والعمل الميداني ومناقشتها للوصول إلى وضع خطة تعمل على الاستفادة من توظيف

الموارد الثقافية والطبيعية اقتصادياً في مجال السياحة البيئية والثقافية لفائدة مجتمع منطقة الدراسة.

التراث في نجران:

تتمتع منطقة نجران بمنظومة تراث متعدد الجوانب ، وضارب الجذور في أعماق التاريخ البشري، حيث أنواع وضروب التراث الثقافي ممثلة في التراث الأثري والمواقع الأثرية الخالدة، التي تقف شاهدة على قصة التاريخ العريق والحضارة العظيمة التي بدأت بالعصور الحجرية وحضارات ما قبل التاريخ، والممالك العربية القديمة وصولاً إلى آثار الديانات السماوية المسيحية والإسلامية. ويعد موقع الأخدود من أهم المعالم والشواهد الأثرية بالمنطقة، كما يضم التراث الثقافي في المنطقة المباني التاريخية النادرة والتميزة، كقصر الإمارة وقصر العان، هذا بالإضافة إلى العديد من القلاع والأبراج والحصون المنتشرة في أجزاء مختلفة من المنطقة. ويشكل متحف نجران للآثار والتراث بعداً ثقافياً ومعلماً حضارياً بارزاً للتراث الثقافي بنجران.

أما أهم ما يميز منطقة نجران في مجال التراث الثقافي هو معالم العمارة التقليدية مجسدة في القرى التراثية (الحضن، الجام) التي تقع على جانبي وادي نجران المشهور، والتي ما زال العديد منها يحتفظ وبشكل جيد على هياكل وعناصر عمرانية في غاية الجمال والتفرد العمراني الذي هو سمة هذه المنطقة. ويتجلى فن العمارة التقليدية في نجران في القرية التراثية التي تشارك بها المنطقة سنوياً في المهرجان الوطني للتراث والثقافة (الجنادرية) لعرض تراثها المتفرد ومورثها الحضاري المميز للزائرين والسياح من داخل المملكة وخارجها.

أما الشق الآخر من التراث الثقافي الذي تتميز به منطقة نجران فيتمثل في التراث الشعبي والمأثورات الشعبية (الفولكلور). وكبقية مناطق المملكة المختلفة تشتهر نجران بالعديد من العادات والتقاليد الخاصة بها، هذا بالإضافة إلى تميزها

عن غيرها من مناطق المملكة الأخرى بالمنتجات والمصنوعات التقليدية والحرف اليدوية مثل المصنوعات الصوفية، والجلدية، والخشبية، والحجرية، والفخارية التي أبدع فيها الحرفيون في المنطقة تشكياً وصناعة، حيث تتنوع وتتعدد الأسواق الشعبية التي تباع فيها هذه المنتجات التقليدية. كما تشتهر المنطقة أيضاً في جانب التراث الشعبي بالألعاب الشعبية كالشاع، الحجلة، وسيساء. وضروب الفن والأداء والرقصات الشعبية كالزامل والرزفة. أما في جانب الثقافة الغذائية التقليدية فتشتهر المنطقة بأكلات شعبية ذات نكهات مميزة مثل المعصوبة والوفد والبر والسمن والرقش.

أما في مجال التراث الطبيعي، فتتميز المنطقة بتنوع وتفرد في معالم وموارد ومواقع هذا التراث الذي يشكل مورداً طبيعياً للجذب السياحي في مجال السياحة الطبيعية والبيئية. ولعل أهم معالم التراث الطبيعي في نجران تتمثل في الأودية والشعاب والكثبان الرملية والجبال والتلال، سد نجران والمنتزهات الوطنية: يشكل التراث في نجران بأنماطه وأقسامه ومعالمه وموارده المتعددة والمتنوعة، مخزوناً اقتصادياً فاعلاً يسهم في اقتصاديات المنطقة وانتعاش المستوي المعيشي لمجتمعها المحلي من خلال توظيفه واستثماره سياحياً خاصة المباني والمعالم التراثية المتمثلة في القرى التراثية (بيوت الطين) كقرية الحضن وقرية الجام.

التراث الثقافي في نجران:

تزخر منطقة نجران بالعديد من عناصر ومكونات التراث الثقافي (العمارة التقليدية، التراث الشعبي، المصنوعات المادية التقليدية، والأسواق الشعبية)، وتشكل جواذب للسياحة التراثية، وتمكن للاستثمار في مواردها بعد أعمال التنمية والتطوير والتأهيل. ويمكن إيجاز عناصر التراث الثقافي في نجران في المكونات الرئيسية التالية.

١_ العمارة التقليدية في نجران:

المملكة العربية السعودية غنية جداً في مجال العمارة التقليدية، حيث تنتشر القرى والأحياء التراثية التقليدية في العديد من مناطقها المختلفة (المنطقة الوسطى، الغربية، الجنوبية، والشرقية). وبالرغم من التقارب الاجتماعي والثقافي في مناطق المملكة المختلفة، إلا أن الملاحظ تفرد وتميز بعض المناطق ومنها منطقة نجران بطابع معماري تقليدي معين، ويظهر ذلك في تشكيل التصاميم على المباني، وتوزيع المساحات الفراغية الداخلية، وفي أشكال واجهات المباني، وأشكال الزخارف، هذا بالإضافة إلى تنوع المادة المستخدمة في البناء.

يعزى هذا التميز والتفرد في العمارة التقليدية في بعض مناطق المملكة، إلى العديد من الأسباب والعوامل ولعل أهمها البيئة الطبيعية وعوامل أخرى، اقتصادية واجتماعية والتأثير والتداخل الثقافي الذي تأثرت به بعض مناطق المملكة.

وتعد العمارة التقليدية في نجران ذات ميزة خاصة تميزها عن غيرها من باقي مناطق المملكة العربية السعودية، وتأثر أهل نجران عند إنشائهم لمنازلهم الطينية في بعض مظاهرها بمنازل وبيوت جنوب المملكة بوجه عام. إذ تنتشر هذه البيوت أو ما يسمى محلياً بـ (الدروب) وهي جمع (درب) في كافة قرى نجران الواقعة على ضفاف وادي نجران وكذلك في حبونا وبدر الجنوب، والقرى والمراكز التابعة لها (عبد الرحمن الطيب الأنصاري وصالح بن حمد آل مريح ١٤٢٤هـ، ص ٦٢).

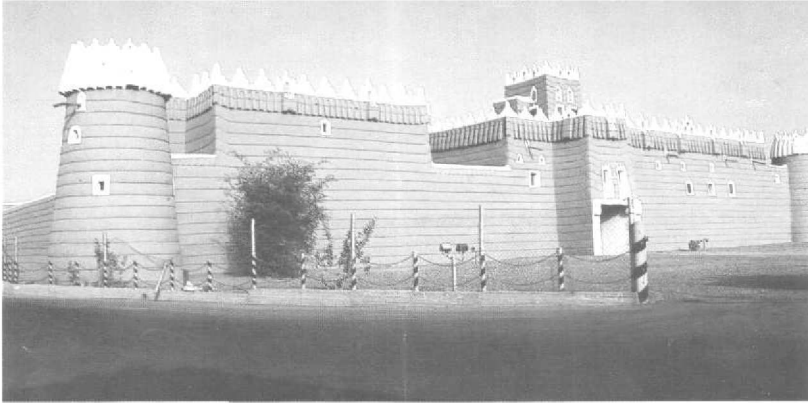
عناصر العمارة التقليدية في نجران:

تتعدد وتتنوع عناصر العمارة التقليدية في نجران وفقاً للعوامل المناخية، وأسلوب الحياة والمعتقدات الدينية، والحالة الأمنية والاجتماعية والاقتصادية، ومواد البناء المتوفرة، ولعل مواد البناء تشكل أبرز العوامل المؤثرة في عناصر وطرز العمارة التقليدية وأحجامها وفنونها وزخارفها في نجران.

أ_ القصور التاريخية:

قصر الإمارة (قصر بن ماضي):

من أشهر العمائر التقليدية في نجران قصر الأمير تركي بن ماضي ويطلق عليه أيضاً قصر الإمارة، وهو طراز معماري فريد شيد سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م في بداية دخول نجران تحت لواء الدولة السعودية، وقد اختطه وبناه أمير نجران آنذاك الأمير تركي بن ماضي. وقد شيد ليكون مقراً لإمارة نجران. ويتكون القصر من حوالي ٦٠ غرفة ومسجد واحد، وتوجد في الطابق الأرضي من القصر غرف خصصت لمقر إمارة نجران، ومجلس خاص للأمير، وغرف لاستقبال الضيوف، أما السكن الخاص في تكون من ١٧ غرفة، وستة مستودعات، و١٢ غرفة لسكن حاشية الأمير (الاخوياء)، ويوجد في الوسط بئر قديم، أما الطابق العلوي فتوجد به أربعة أبراج دائرية في الأركان للمراقبة والحراسة. واستمر القصر مقراً لإمارة نجران حتى تم تشييد مبنى الإمارة الجديد في حي الفيصلية سنة ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.



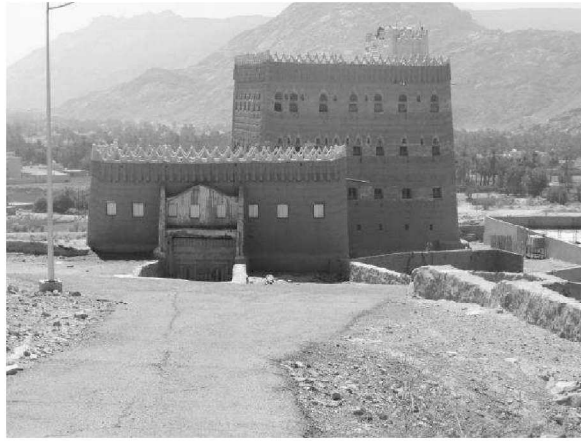
قصر الإمارة - منظر عام

قصر العان:

كان يعرف قديماً باسم قصر سعدان لكنه اليوم يحمل اسم القرية التي يقع بها، والقصر مشيد على قمة أحد الجبال وتم ترميمه مؤخراً، وهو من أروع نماذج

العمارة التقليدية المشيدة من الطوب اللبن والطين، وقد بنى سنة ١١٠٠هـ / ١٦٨٩م، وله دور في التاريخ الحديث لجنوب الجزيرة العربية.

إن هذا النوع من الحصون ربما استخدم للسكن الخاص من قبل أهلها، وفي الغالب لا يمتلك مثل هذه القصور إلا شيوخ القبائل وسادتها وأعيانها، ولقد كانت غاية في التصميم والحصانة والمنعة والجمال، ومثالاً رائعاً لفن العمارة التقليدي الذي اشتهرت به نجران.



قصر العان

ب- المساجد:

من أنماط العمارة التقليدية التي تشتهر بها نجران كبقية مناطق المملكة، العمارة الدينية المتمثلة في المساجد، فلا تخلو قرية في نجران من وجود مسجد يصلي فيه أهل القرية.



مسجد تقليدي - قرية الحصن

من خلال الزيارة الميدانية تلاحظ تميز مساجد العمارة التقليدية في نجران
بالسمات الآتية:

يتوسط المسجد القرى التقليدية من حيث التخطيط، فتحيط به البيوت من كل
ناحية، وتؤدي إليه الطرق من كل مكان، وغالباً ما يكون أمام المسجد فناء أو ميدان
حسب مساحة القرية يخرج إليه المصلون بعد صلاتهم، وقد يستخدم هذا الفناء
لاجتماعات أهل القرية والتشاور فيما بينهم بخصوص حل مشكلاتهم وإصلاح
أمورهم، كما هو الحال في تخطيط معظم المدن والقرى الإسلامية القديمة داخل شبه
الجزيرة العربية وخارجها.

تتكون معظم المساجد القديمة بمنطقة نجران من دور واحد فقط، وغالباً ما
يبنى حوش عند باب المسجد يسمى (الشماس) حيث يكون مكشوفاً للشمس، ويتم
الجلوس به في الشتاء لانتظار الصلاة.

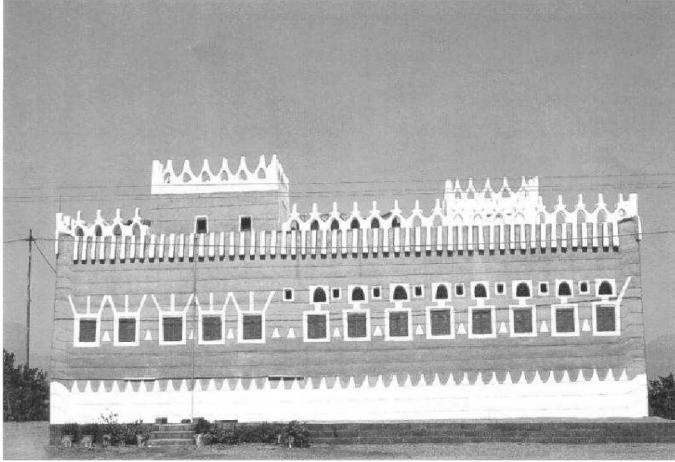
غالباً ما كان يستخدم الطين، وأحياناً الحجر والطين في عملية البناء خاصة في بناء
الأساسات.

ج- القرى التقليدية (بيوت الطين) في نجران:

يعد بيت الطين البيت الشعبي التقليدي الذي تنفرد به نجران عن الكثير من المناطق الأخرى في المملكة، حيث لا يزال يوجد فيها عدد كبير يعود تاريخ بناء البعض منها إلى ما يقرب من ثلاثمائة سنة (وزارة المعارف، وكالة الآثار والمتاحف ١٤٢٣هـ، ص ١٣٢).

وتتميز القرى التراثية (بيوت الطين) في نجران بشكل عام بالعديد من السمات المشتركة والتي تم ملاحظتها أثناء القيام بالزيارة والعمل الميداني لمنطقة الدراسة، ويمكن إجمال هذه السمات المشتركة في الآتي:

في شكلها الخارجي تتميز بمظهر عمراني بارع ومتفرد يدل على هندسة معمارية تقليدية فنية عالية، أبدع فيها المعلم (المهندس المعماري في عصرنا الحالي)، حيث تظهر فيها مهارة البناء، وإتقان فنونه، ومعرفة واضحة بالأبعاد والمقاييس والمقادير.



بيوت الطين - نجران

- أما من حيث الزخرفة والزينة، فتعلوها مظاهر الجمال، والزخارف التي تجعل لها شخصية خاصة ومميزة تعكس الواقع التاريخي.

- هذا الجمال في فن العمارة وزخرفتها يستهوي بشكل خاص متذوقي فن العمارة التقليدية وهواة التصوير.
- تتميز بقوة ومتانة البناء لمقاومة أفاعيل الطبيعة ومؤثراتها وعاديات الزمن. فلمتانتها وقوة صمودها نتج عن ذلك بقائها لفترات زمنية طويلة، فعلى سبيل المثال يمكن أن يتعاقب على سكن البيت جيلان وثلاثة أجيال ترتبط به ارتباطاً وجدانياً، وتختار له اسماً غالباً ما يكون معبراً عن القوة، الجمال، الإقامة السعيدة، أو أي مسمى آخر ينم عن مشاعر الإعجاب بهذا البيت (الدرب).
- الكثير منها يتسم بالميل إلى الارتفاع، فبعضها يصل إلى التسعة طوابق أحياناً (عبد اللطيف طاهر علاقي ١٤١٧ هـ ، ص ٩١). هذا الارتفاع والعلو لبيوت الطين في منطقة نجران يتناسب ومتطلبات البيئة الجغرافية من حيث التهوية ودخول ضوء الشمس.
- تعد مادة الطين المادة الأساسية المستخدمة في عملية البناء، وأحياناً الطين والحجارة، ما يدل على وفرة مواد البناء الأساسية في البيئة المحلية، ودور البيئة في تشكيل وصياغة عناصر العمارة التقليدية في نجران.
- أما من حيث النسيج العمراني، فإنها تتميز بالنمط المتضام، وتماسك الأجزاء الطينية، ودقة التصميم والتنفيذ، الذي يعكس فن العمارة التقليدية وبراعة البنائين (المعلمين) في مجال عمارة الدروب في نجران، حيث يشكلون أسرة معروفة توارث أبنائها هذا الصنف من ضروب العمارة (آل الصعود)، (عبد اللطيف طاهر علاقي ١٤١٧ هـ، ص ٩١).

البيئة الطبيعية في نجران وأثرها في تشكيل القرى التقليدية (بيوت الطين):

أثرت البيئة الطبيعية في نجران في صياغة وتشكيل مفردة وعناصر ونسيج العمارة التقليدية (بيوت الطين)، وذلك من خلال الموقع الجغرافي، والتكوينات الجيولوجية (طبوغرافية وتضاريس المنطقة) هذا بالإضافة إلى المناخ (الحرارة، الأمطار، والنباتات الطبيعية). وذلك لأن النسيج العمراني والتصميم العمراني، ومواد البناء تتأثر جميعها إلى حد كبير بعوامل البيئة الطبيعية (التضاريس، والمناخ) في أي منطقة كانت. فالعمارة التقليدية وارتباطها الوثيق بالبيئة المحلية، والعادات والتقاليد المتوارثة غالباً ما تعكس التفاعل الإيجابي مع الظروف البيئية ومواد البناء في منطقة نجران كما هو الحال في العديد من مناطق المملكة المختلفة. إن تأثير البيئة الطبيعية (طبوغرافية ومناخ المنطقة) في منطقة نجران على العمارة التقليدية (بيوت الطين) وتشكيلها وصياغة مفرداتها وعناصرها المعمارية يمكن ملاحظته في الآتي:

من خلال المسح والزيارة الميدانية لمنطقة نجران لوحظ التأثير الواضح للتضاريس والتكوينات الجيولوجية على تشكيل بيوت الطين، كما هو ماثل في قرية الحضن، وقرية المشكاة وقرية اللجام. وذلك من حيث استخدام مواد البناء المحلية كالطين والأحجار والجص. وهكذا يظهر اثر البيئة التضاريسية في المواد التي يصنع منها بيت الطين (الدرب) في منطقة نجران، وبدأ ينشأ ما يعرف بالمواعمة بين البيت الشعبي والمحيط البيئي، أي ما بين مكونات العمارة التقليدية والمجتمع المستفيد منها من جهة، ومكونات البيئة المحلية التي تزود الأبنية بموادها.

ويظهر تأثير مواد البيئة المحلية في عمارة بيوت الطين في نجران بشكل واضح وجلي حيث يشكل الطين مادة البناء الأساسية، هذا بالإضافة إلى استخدام الأحجار في بعض الأحيان في أساسات البيت لمقاومتها أفاعيل الطبيعة المتمثلة في الأمطار والرشح.

أما تأثير المناخ (الأمطار، الرياح، النباتات، درجة الحرارة) في صياغة وتشكيل عناصر العمارة التقليدية في نجران (بيوت الطين)، فقد بدأ من خلال الزيارة الميدانية أكثر وضوحاً حيث توجد ثنائية وعلاقة قوية بين نمط العمارة التقليدية (بيوت الطين) والبيئة الجغرافية (المناخ). فالبيئة الجغرافية تفرض ظروفاً معينة ترغم السكان على ضرورة التكيف معها. ولمعالجة مشكلة درجة الحرارة المرتفعة وتقليل تأثير درجة الإشعاع الشمسي فقد تبين من خلال المسح الميداني لبعض القرى في المنطقة (المشكاة، الحصن، واللجام) لجوء تصميم العمارة التقليدية (بيوت الطين) إلى استخدام أساليب تبريد ذكية، تمثلت في استخدام الجدران الطينية السمكية للحصول على العزل الحراري، وكذلك في توجيه فتحات البيوت إلى جهات هبوب الرياح (الجهة الشمالية - الشرقية).

أما الرياح والتي تعد من أبرز العوامل المناخية في تشكيل وصياغة بيوت الطين (الدروب) في نجران، فقد حرص البناء (المعلم) على تجنب أضرارها بالبحث عن الأساليب الملائمة التي تتسجم ووظيفة البناء، فاهتدى من خلال خبرته الطويلة في مجال محيطه البيئي، إلى أن يكون النسيج العمراني لعناصر البيت ملائم لسرعة الرياح وتخفيف أضرارها وذلك من خلال جعل واجهات البيوت الطينية غير مستقيمة، بل ذات بروزات طفيفة تقلل من تأثير الرياح خاصة إذا كانت محملة بالأتربة.

وتعد الأمطار بالرغم من قلتها في منطقة نجران أحد مؤثرات البيئة الجغرافية (المناخ) في صياغة وتشكيل العمارة التقليدية (بيوت الطين) وذلك من خلال تنبه المعلم (البناء) لتفادي أضرارها، وذلك من خلال رفع منسوب الأبنية ومداخلها على وجه الخصوص عن أرضية الممرات لمنع دخول السيول إليها، مع إيجاد الانحدار المناسب الذي يساعد على تصريف المياه وخاصة ميل سطوح المباني باتجاه مrazيم التصريف.

أما تأثير الغطاء النباتي في صياغة بيوت الطين في نجران فيتمثل في استخدام الأخشاب في المنطقة مثل أخشاب الأثل وجذوع النخيل وجريدها وسعفها. حيث يلاحظ من خلال الزيارة الميدانية للقرى التراثية في نجران، استخدام خشب الأثل في سقف الوحدات، إلى جانب صناعة النوافذ والمرازيم، بينما تستخدم جذوع النخيل لسقف الوحدات الواسعة، أما جريد النخيل وسعفها المتوفر في المنطقة فيستخدم في أن يرص فوق خشب الأثل في مرحلة التسقيف للوحدات المعمارية. مما سبق يلاحظ التأثير الفاعل للبيئة الطبيعية في منطقة نجران في تشكيل وصياغة العمارة التقليدية ممثلاً في بيوت الطين في قرى المشكاة والحضن واللجام، حيث أسهمت هذه البيئة في صياغة عناصر النسيج العمراني والتخطيط لبيوت الطين في هذه القرى.

بالإضافة إلى تأثير البيئة الطبيعية في تشكيل العمارة التقليدية في نجران، فقد تلاحظ وجود بعض المؤثرات الأخرى التي أسهمت أيضاً في صياغة هذه العمارة التقليدية، والتي تتمثل في الظروف البشرية بصورة عامة والتي من ضمنها المؤثرات الدينية والاجتماعية، حيث أن العلاقة الوثيقة بين عادات المجتمع وتقاليد، وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف تنعكس على تخطيط وتصميم بيوت الطين في نجران.

هذا بالإضافة إلى المؤثرات الاقتصادية، حيث يتجلى هذا التأثير في القدرات المالية للوجهاء والأعيان ورؤساء القبائل في نجران، وقد تجسد ذلك في حصونهم وقصورهم التي تتميز عن بيوت الفقراء وعامة الناس بارتفاع أسوارها الخارجية وزخرفتها وزينتها الداخلية وضخامتها، وتعدد طوابقها، وسعة بنيانها (غيثان بن علي بن جريس ١٤٢٥هـ، ص ٢٢٣).

وخلاصة يمكن القول بأن الظروف البيئية (التضاريس والمناخ)، والظروف والعوامل البشرية (الاقتصادية، والاجتماعية، والدينية، والأمنية) تكاملتا وأسهمت

بشكل واضح في صياغة العمارة التقليدية ونسيجها العمراني، وأسلوب تخطيطها كما هو مائل في قري المشكاة، والحضن واللجام وبيوتها الطينية (الدروب).

النسيج العمراني للعمارة التقليدية في نجران (بيوت الطين):

من خلال الزيارة الميدانية لمنطقة نجران ولقري المشكاة والحضن واللجام بصفة خاصة، يلاحظ مدى تأثير البيئة الطبيعية في نسيج هذه القرى من حيث تخطيطها، وتصميم بيوتها، ومادة بناؤها. حيثش كل المسجد مركز نواة التخطيط ومنه تتطلق الطرق الرئيسة والممرات إلى بقية أجزاء القرية. فالنسيج العمراني في قري المشكاة والحضن واللجامي تمثل في تراكم بيوت القرية الواحدة بعضها فوق بعض، واندماجها وتقاربه مع وجود ممرات ضيقة فيما بينها.

هذا التخطيط ربما كان ناتجاً عن الخوف الذي كان يسود في الماضي لانتشار الفوضى وتعدد حالات السلب والنهب. كذلك من حيث النسيج العمراني يلاحظ تحلق العديد من هذه القرى التقليدية (المشكاة والحضن واللجام) حول المناطق الزراعية، حيث اعتماد اقتصادها المعيشي على الزراعة.



قرية الحضن - منظر عام

مواد البناء:

تمتاز العمارة التقليدية (بيوت الطين) باستخدام مواد البناء المحلية (الطين، الأثل، السدر، جذوع وسعف النخيل). ويشكل الطين المادة الأساسية في البناء، حيث يمكن وصف العمارة التقليدية في نجران بالعمارة الطينية. فقد درج الأهالي في المنطقة بتسمية مساكنهم بـ (بيوت الطين) أو (الدروب). ويأتي استخدام الطين كمادة أساسية في البناء في نجران للأسباب التالية:

- توفره في المنطقة.
- انتصافه بالمتانة العالية.
- سهولة تشكيله وتجهيزه.
- ملائمة الطين لعوامل البيئة الطبيعية وخاصة المناخ، حيث قدرته العالية على العزل الحراري.
- قلة تكلفة البناء.

بالإضافة إلى مادة الطين تستخدم مواد أخرى محلية تتمثل في الحجارة - وإن كانت بشكل قليل - حيث توفر الحجارة الصالحة للبناء، هذا بالإضافة إلى استخدام الأخشاب فيما لبناء خاصة خشب الأثل الذي يستخدم في التسقيف، بالإضافة إلى جذوع وسعف النخيل التي تستخدم أيضاً في التسقيف.

الحالة الراهنة للعمارة التقليدية (بيوت الطين) بنجران:

من خلال الزيارة الميدانية لنجران ولمعالم العمارة التقليدية بها، خاصة العناصر والمعالم العمرانية للقرى التقليدية في المشكاة والحضن واللجام تلاحظ بأن نسيجها العمراني مازال محافظاً لحد كبير في بعض جوانبه وعناصر هياكله العمرانية المتعددة. كما تلاحظ أيضاً بأنه كان يخضع لسلسلة من عمليات التغيير المستمرة تماشياً مع متطلبات المجتمع، حيث تداخلت العمارة التقليدية (بيوت الطين) مع العمارة الحديثة من أجل الحفاظ على الموروث العمراني ومواكبة المستجدات الحديثة في فن العمارة، حيث ثنائية الأصالة والمعاصرة في مجال العمران.

كما يلاحظ أيضاً تدهور الكثير من عناصر النسيج العمراني للقرى التقليدية في هذه (الدروب)، سواء كان ذلك جراء الأنشطة البشرية، والطبيعية أو كلاهما. وبالرغم من ذلك إلا أن المنطقة مازالت تحتفظ بتراث عمراني ومعماري تقليدي متماسك يعبر عن أصالة وتفرد العمارة التقليدية بنجران، واندماجه التام مع البيئة الطبيعية والتكيف معها. بالرغم من توفر العديد من عناصر ومعالم العمارة التقليدية بمنطقة نجران في كل القرى والأحياء التقليدية، حيث تضمن سيجاً عمرانياً متكاملًا يشتمل على عدد من بيوت الطين (الدروب) والمساجد والقصور، وأبراج للمراقبة، إلا أن هذه المعالم والعناصر المعمارية التقليدية تعرضت ومازالت تتعرض للكثير من المخاطر والمهددات الطبيعية والأنشطة البشرية السالبة، مع الإشارة إلى الجهود القيمة التي بذلتها الهيئة العامة للسياحة والآثار في الحفاظ على العمارة التقليدية في المنطقة، وقد تمثل ذلك بشكل واضح في الترميم الكامل لقصر الإمارة والمدرسة الأميرية بمدينة نجران.

يمكن إجمال المخاطر الطبيعية والأنشطة البشرية السالبة على العمارة التقليدية في نجران بالآتي:

- هجران القرى التقليدية (بيوت الطين) واستبدالها بمخططات حديثة أو إحلالها مكانها ضمن منظومة الطفرة الاقتصادية في المملكة.
- قلة أعمال الصيانة والترميم.
- أنشطة التعرية المتعددة (الأمطار، الرياح، درجة الحرارة، الرطوبة).
- عوامل تلف جراء النمل الأبيض والحيوانات القارضة.
- قلة الوعي بأهمية معالم العمارة التقليدية، وعدم توظيف مبانيها في استخدامات سياحية جديدة (مطاعم ونزل وفنادق تراثية) من أجل الاستفادة منها اقتصادياً والحفاظ على عناصر نسيجها العمراني.

٢. التراث الشعبي في نجران:

كثير من الدراسات تتناول التراث الشعبي من أربعة محاور رئيسية وهي: المعارف والعادات والتقاليد الشعبية، الأدب الشعبي، الفنون الشعبية وأحياناً تُعرف بالفنون الصوتية والحركية، والفنون الحرفية والثقافة المادية (محمد الجوهري ١٩٧٨م، ص ٦١؛ عبد الكريم العريض ١٩٨٥م، ص ٧٣-٦٨؛ الناصر البقلوطي ١٩٩٨م، ص ٢٤١). وفي هذا الإطار فإن منطقة نجران تزخر بالعديد من معطيات ومفردات التراث الشعبي من حيث العادات والتقاليد الشعبية، وضروب الثقافة المادية وغير مادية، والتي تؤلف جميعها لوحة التراث الشعبي الزاهي في هذه المنطقة. بالرغم من الطفرة والتطور والحدائث التي توشحت بها المنطقة، إلا أن مظاهر الثبات والتغير في التراث الشعبي ما زالت سمة تميز منطقة نجران، حيث اختفت بعض العادات والتقاليد، ولا يزال البعض منها مستمر وله قيمه ومعانيه ودلالاته الرمزية والوجدانية في حياة مجتمع منطقة نجران الذي يعتز ويفتخر كثيراً بتراثه الشعبي. وفي الواقع ما زالت هنا كصورة حية للفنون الشعبية، والعادات والتقاليد في جميع أجزاء المنطقة. ويعبر هذا التراث الشعبي عن القيم الإنسانية للمجتمع المحلي في منطقة نجران. ويمكن لزائر المنطقة مشاهدة تنوع الفنون الشعبية، العادات والتقاليد، وأشكال وأنماط الثقافة المادية، ولعل أسواق نجران الشعبية بما تعرضه من أدوات الزي، والملبس، والزينة، والجنابي، والخناجر، خير مثال على ذلك.

العادات والتقاليد الشعبية:

بالرغم من وجود بعض العادات والتقاليد التي تمثل القاسم الثقافي المشترك بين مناطق المملكة المختلفة مثل أسلوب تقديم القهوة، المجلس، والبخور، والتي تدل على قوة ووحدة تماسك المملكة، إلا أن منطقة نجران كانت وما زالت تتميز ببعض العادات والتقاليد التي تعطيها شخصيتها المتفردة في هذا المجال، ولعل من أهم هذه العادات والتقاليد ما يلي:

الأدب الشعبي:

منطقة نجران حافلة بالشعر الشعبي الجيد الذي يحفظها لنا وسيلقونه في اجتماعاتهم ومسامراتهم، فالى جانب ما تقدم من الشعر الذي يُقال أثناء أداء الرقصات الشعبية برز في المنطقة شعراء كثيرون، ومن شعراء نجران المشهورين بنيان بن مهذل الصقور، وقد توفي قبل قيام الدولة السعودية بزمٍ طويل.

الأكلات الشعبية:

يصنع أهالي منطقة نجران أكلات شعبية خاصة قد تتشابه مع بعض الأكلات في المناطق الأخرى وقد تكون خاصة بمنطقة نجران (صالح بن محمد آل مريح ١٤١٥هـ، ص ١١-١٢)، ومن أشهر أنواع الأكلات الشعبية بنجران (المعصوبة، الوغد ، البر والسمن والرقش).

الطب الشعبي:

كان أهالي منطقة نجران كغيرهم من سكان المناطق الأخرى يستخدمون العلاج والطب الشعبي حلاً للمشكلات الصحية المختلفة والشائعة آنذاك، ومن أبرز ما كان يُستخدم في العلاج الشعبي قديماً الأعشاب البرية والجبلية، بالإضافة إلى عسل النحل الذي كان يُعدُّ من أهم وسائل الاستطباب والاستشفاء قديماً. كما كان (الكي) وهو الاكتواء بالنار من أهم الطرق العلاجية قديماً. أما من يقوم بعملية العلاج الشعبي فقد كان يسمى بالفقيه، وكان يجمع أعشابه من الصحراء والجبال ولديه مجموعة من أدوات الكي، ويصف من العلاجات ما هو مناسباً لحال المريض القادم إليه، ولم تكن الأمراض منتشرة في منطقة نجران انتشاراً كبيراً، بل كانت قليلة ومحدودة، ومن أنماط الطب الشعبي (الحجامة والكسور).

الحرف والمصنوعات التقليدية:

بالرغم من عمليات التطوير والتحديث التي انتظمت في منطقة نجران إلا أن الحرف والمصنوعات التقليدية ما زالت تجد اهتماماً لدى قطاع عريض من سكان منطقة نجران، حيث ما زالت هنالك أعداد مقدرّة من الحرفيين تمثل لهم الحرف

والمصنوعات التقليدية مصدراً للدخل يعينهم على الحياة، وقد تجسد ذلك بشكل بارز في الأسواق الشعبية التي تزخر بالعديد من منتجات الحرف والمصنوعات التقليدية التي يقتنيها السواح والمواطنون الذين تمثل لهم رمزاً للهوية الثقافية والأصالة التي يعتزون بها. وتتمثل الحرف والمصنوعات التقليدية في نجران في: الجنابي والسيوف، والصناعات الخوصية، والحديدية، والجلدية، والنسجية، والنجارة، والفضيات والأواني الحجرية وغيرها.

التراث الطبيعي بنجران:

تتمتع منطقة نجران بتشكيلات واسعة من عناصر التراث الطبيعي والتي تتمثل في الآتي:

الحياة الفطرية، المنتزهات الطبيعية، الأودية، السدود، الجبال وصحراء الربع الخالي.

الخدمات والتسهيلات السياحية:

لا يتحقق لأي تنمية سياحية النجاح دون وجود الخدمات والتسهيلات السياحية التي تعد محور الصناعة السياحية، حيث أن عدم وجودها قد يمنع مجيء السياح أو يقصر فترة إقامتهم بأي مقصد سياحي، وهذا بدوره يؤثر سلباً على الهدف الرئيس من السياحة وهو الفوائد والمنافع الاقتصادية والاجتماعية وتتوفر في منطقة نجران الخدمات والتسهيلات السياحية التالية :

١- خدمات الإقامة والإيواء والإعاشة:

خدمات الإيواء السياحي في المنطقة تشمل الآتي :

الإسكان الفندقى:

يوجد عشرة فنادق في المنطقة، واحد منها من الدرجة الأولى الممتازة، واثنان من الدرجة الثانية، وسبعة من فئة الدرجة الثالثة. تتركز أغلبها في مدينة نجران (ستة فنادق) بنسبة ٦٠% والباقي (أربعة فنادق) في مدينة شرورة.



المراكز السكنية المفروشة:

تقدم المراكز السكنية المفروشة خدمات مقاربه إلى الخدمات الفندقية ولكن بأسعار أقل نسبياً من الفنادق (التكلفة أقل وإدارته أسهل)، كما أنه يوفر خصوصية أكثر، ولهذا فإنه كثيراً ما يفضل على الإسكان الفندقي من قِبَل الأسر السعودية. ويوجد في المنطقة ١٦ مركزاً سكنياً. هذا بالإضافة إلى الشقق المفروشة (الأمانة العامة للجنة التنشيط السياحي بنجران ١٤٢٥هـ، ص ١٣).

خدمات الإعاشة:

في مدينة نجران أكثر من ٧٠ مطعمًا تقدم الأكلات المعروف هفي المملكة والتي من أشهرها الكبسة السعودية، والحنيذ، والمندى، والمطبي، وأكلات بعض الجاليات العربية والآسيوية العاملة في المنطقة، وأطباق المائدة الحديثة وغيرها. وتشتهر نجران بأكلاتها الشعبية المميزة.

٢ - خدمات النقل والمواصلات:

لا يمكن قيام تنمية سياحية ناجحة مهما تنوعت وتعددت مظاهر الجذب السياحي الطبيعية والثقافية دون توافر خدمات النقل والمواصلات والاتصالات وقد شهدت منطقة نجران تطوراً كبيراً في هذا المجال:

النقل الجوي:

يوجد بالمنطقة مطاران: مطار نجران الإقليمي، ومطار شرورة، يربطانها بمدن المملكة الرئيسية والعالم الخارجي عبر المطارات الدولية بالمملكة.

النقل البري:

منذ عام ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م تسيّر الشركة السعودية للنقل الجماعي (سابتكو SAPTCO) رحلات منتظمة بواسطة أسطولها من الحافلات المعروفة بتوفير أقصى درجات السلامة والراحة للمسافرين. وتصل هذه الرحلات اليومية بين مدينة نجران وكلّ من مدينتي الرياض وجدة (عبر مدينتي خميس مشيط، وأبها)، ثم إلى مدن ومناطق المملكة الأخرى، إضافة إلى رحلات يومية بين مدينتي نجران وشرورة.

لقد تطورت خدمات الطرق الرئيسية والفرعية والطرق الترابية التي تربط المدن والقرى الزراعية والمراكز العمرانية المختلفة بعضها ببعض وبالشبكة الوطنية للطرق البرية؛ ما أدى إلى سهولة حركة السياح داخل المنطقة ومنها واليها ومكثها من زيارة المناطق الأثرية ومظاهر الجذب السياحي المختلفة والموزعة في أنحاء المنطقة.

خدمات الاتصال:

تستفيد السياحة من التطورات التقنية الهائلة والمتجددة في وسائل الاتصال؛ فقد صار من ضرورات السياحة توافر خدمات الاتصال للسائح، قبل سفره من مقر إقامته، وأثناء الطريق إلى المقصد السياحي، وفي المقصد السياحي ذاته؛ للحجز والاستفسار، ولعدم قطع الصلة بالأهل والأصدقاء والزملاء في العمل، أو لطلب النجدة أو الإسعاف، أو لمتابعة الأخبار والمستجدات المحلية والوطنية والعالمية. وقد تطورت خدمات الاتصال في مختلف مناطق المملكة تطوراً كبيراً، وتوجد في نجران خدمات الهاتف الثابت والجوال وخدمات التلكس والفاكس، هذا بالإضافة إلى خدمات البريد.

الخدمات السياحية المساندة بالمنطقة:

تتمتع منطقة نجران مثل مناطق المملكة الأخرى بنعمة الأمن والأمان التي تعد من ضرورات النجاح لأي تنمية سياحية داخلية كانت أو دولية. وتعمل جميع الجهات الإدارية بالمنطقة بصورة فاعلة على توفير الأمن والسلامة للسكان والزوار وضبط السلوك العام في إطار قيم المجتمع الإسلامي.

استثمار المباني التراثية في نجران سياحياً (قرية الحضن أنموذجاً):

تعد القرى التراثية أحد الموارد الرئيسية للسياحة الثقافية ومورداً اقتصادياً للمجتمعات المحلية، وهذا يتطلب الوعي بأهميتها وتطويرها وتأهيلها وتنميتها للاستفادة منها واستثمارها سياحياً، حيث تشكل وعاءً لإقامة الفعاليات والمهرجانات التراثية والثقافية ومكاناً ملائماً لتشييد قرى الحرفيين وإنتاج المصنوعات التقليدية. فتتمتع القرى التراثية من حيث صيانتها وترميمها وتأهيلها للاستخدامات السياحية جديدة في منطقة نجران يشكل محور الزاوية للاستثمار السياحي في مبانيها التقليدية، حيث تسهم تنميتها في الحفاظ على طابعها العمراني وحمايته مما يعمل على استدامة المشروعات السياحية الصغيرة والمتوسطة المأمول تنفيذها بما يعود بالنفع الاقتصادي للمجتمع المحلي.

تكمن أهمية الاستثمار في المباني التراثية في نجران، في العديد من القيم التي تميزا لمكونات والعناصر المعمارية والعمرانية في عمارتها التقليدية فيما يلي:
اقتصادياً واجتماعياً:

تمثل مباني وعناصر التراث العمراني التقليدي (بيوت الطين) في نجران، مورداً اقتصادياً مهماً يمكن استثماره سياحياً في مجالات متعددة (السياحة التراثية، والفنادق التراثية، والمطاعم التراثية، ومتحف مفتوح)، تعود بالفوائد والنفع المادي للمجتمع والقطاع الخاص المستثمر، وفي ذات الوقت تحافظ على معالم ومكونات عناصر هذا التراث العمراني التقليدي.

فالاستثمار في المباني التراثية في نجران يؤدي إلى الكثير من الفوائد والمنافع والاقتصادية والاجتماعية والثقافية الناتجة من مشاريع الإعادة والتأهيل، وبالتالي ينتج عن هذا الاستثمار إتاحة وإيجاد فرص عمل للمجتمعات المحلية بالتوظيف بما يعمل على تقليل البطالة والحد من الهجرة إلى المدن الكبيرة، وإنعاش الاقتصاد المحلي.

إحياء المهن والحرف المصنوعات التقليدية:

تمثل المباني التراثية في نجران مكاناً متميزاً لممارسة وعرض المنتجات والمصنوعات التقليدية حيث ارتباط الشعوب والمجتمعات الإنسانية بماض الأجداد والحنين إلى تراثهم وممارسة الحياة اليومية، وفي هذا الإطار يمكن تشيد وإقامة قرى الحرفيين في شوارع المباني المختارة للاستثمار السياحي والتي تتضمن إحياء المهن والحرف التقليدية (صناعة السجاد، والسلال، والأزياء التراثية الشعبية، وأدوات الزى الزينة، والمشغولات الجلدية والخشبية) وبالتالي ربط المجتمع والشباب على وجه الخصوص بتراثهم التقليدي.

إحياء القيم الثقافية والعمرانية:

تعكس مباني ومعالم التراث العمراني التقليدي (بيوت الطين) الهوية العمرانية للمجتمع، فهي تعمل على إبراز حضارته وثقافته ومدى تكيف هذا المجتمع مع البيئة المحيطة. إن تطور الأمم والشعوب لا يقاس بما وصلت إليه منتقد معمراني فحسبو إنما يقاس أيضاً بالحفاظ على هذا الإرث الحضاري وحمايته وتوظيفه سياحياً؛ لأنه يشكل حفاظاً على الهوية الوطنية المحلية.

إستراتيجية الاستثمار السياحي في المباني التراثية في نجران:

تبنى إستراتيجية الاستثمار السياحي في المباني التراثية في ضوء الاعتبارات التالية:

- تحديد المشروعات السياحية باعتبارها جزءاً من خطة سياحة تنمية.

- اختيار المشروعات السياحية وفقاً لدراسات الجدوى الاقتصادية والاجتماعية والنطاق الزمني للخطة.
- تطوير الهياكل التشريعية والإدارية المساندة للمشروعات السياحية.
- التعرف إلى المزايا والحوافز المتاحة للمشروعات الاستثمارية السياحية، بما يتناسب مع الاحتياجات الاستثمارية.
- قابلية المشروعات المختارة للتطبيق والتوظيف.
- **خطة تطوير وتنمية القرى التراثية في نجران سياحياً: (قرية الحضن نموذجاً):**
 - جعل قرية الحضن كلها متحفاً مفتوحاً (OPEN MUSEUM).
 - تأهيل بعض مباني القرية وتوظيفها في استخدامات سياحية جديدة.
 - توظيف جانب من مباني قرية الحضن كنز لتراثي (فنادق تراثية، مطاعم ومقاهي تراثية).
 - توظيف شوارع القرية كقرى للحرفيين.
 - إعادة تأهيل الساحات والاستفادة منها في إقامة الفعاليات والمهرجانات التراثية والثقافية.
 - دمج المنطقة في الحياة اليومية للبيئة المحيطة.
 - **الأنشطة الاستثمارية (المقترحة) في القرى التراثية في نجران (قرية الحضن أنموذجاً):**

تشير العديد من التجارب العالمية والإقليمية بأن الاستثمار في القرى التراثية يعود بالمنافع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للقطاع الخاص والمجتمع المحلي. فالأنشطة والاستخدامات السياحية الجديدة الملائمة لمباني قرية الحضن في نجران تشمل الآتي:

١ _ تهيئة القرية وجعلها متحفاً مفتوحاً:

تحويل كل القرية التراثية متحفاً مفتوحاً باستخدامات سياحية لمبانيها تخدم الأهداف المرسومة لهذا الاستخدام والتوظيف .

هناك مجموعة من السمات التي تميزت بها القرية التي تسهم في جعلها متحفاً مفتوحاً:

- تمثل نظام عمراني منفرد يجب العمل على الحفاظ عليه.
- تركيز وتميز وتعدد الموارد الثقافية والطبيعية حولها.
- توفر الحرف والصناعات التقليدية الجاذبة للسياح في المنطقة.
- وجود مباني تراثية مميزة وفريدة.

يشمل مخطط عرض المتحف المفتوح لقرية الحضن الآتي:

عرض مقتنيات التراث الثقافي المختلفة في القرية، بالتركيز على المقتنيات التي تعود للفترة الإسلامية، حيث تمثل العمارة التقليدية (بيوت الطين) أنموذجاً حياً ومتفرداً للنمط المعماري التقليدي للمدينة الإسلامية القديمة.

عرض يمثل التراث المادي في القرية التقليدية. يمكن تقسيم هذا العرض إلى الأقسام التالية:

الحياة اليومية في البيت التقليدي في قرية الحضن:

يتم اختيار أحد البيوت المكتمل الهيكله بغرف هو أقسامه المختلفة. داخل هذا البيت يتم عرض الحياة اليومية كما هيب أدواتها ونشاطاتها المختلفة، وذلك من أجل إحياء هذه البيوت واستمراريتها وربط الأجيال بقيم تراثهم الحضاري المعماري.

- عرض خاص بالزراعة: يشمل أدوات الزراعة ومدى التغير الذي طرأ عليها وتنوعها. كذلك يشمل هذا العرض نماذج من المحصول الزراعي ومراحل العمليات الزراعية المختلفة بدءاً بتسوية الأرض وإعدادها، وبذر البذور، وأساليب الري المختلفة.

- عرض خاص بالأزياء الشعبية والحلي والزينة.

- عرض خاص للأطفال: يشمل أدوات الألعاب، والتنشئة، والتعليم التقليدي (الكتاتيب).

- عرض خاص بالتطبيب والتداوي: يشمل تجبير الكسور، والرقية الشرعية (بآيات من كتاب الله)، والمعارف الشعبية في مجالات التداوي والتطبيب الأخرى.

- عرض خاص بالحرفيين: يفرد شارع كامل داخل قرية الحضن، يسمى شارع الحرفيين، يقدم عرضاً لعدد من الحرفيين اليدويين، وهم يعملون في إنتاج منتجاتهم المختلفة في سياقها الطبيعي والاجتماعي والمادة الخام المستخدمة في ذلك، ومن أمثلتها:

- صناعة الفخار (المباخر والمناقل).

- الصناعات الخشبية (النجارة - الأبواب، المفاتيح، والصناديق، والشبابيك... إلخ).

- الصناعات الحجرية (المهراس، الرحي).

- الصناعات الجلدية (السعن، القربة، الأحذية).

- صناعات الغزل والنسيج (الأردية، الحوية، البشت).

- صناعات الخوص (السفر، الزنابيل، المراوح)

توظيف المباني في الإيواء والضيافة (نزل تراثية):

إن استخدام جزء من مباني قرية الحضن في الإيواء والضيافة (أماكن سكنية) يسهم بشكل فاعل في المحافظة عليها. وهذا الاستخدام يتطلب أعمال التهيئة والترميم والصيانة والتطوير لضمان استدامة التوظيف كما هو ماثل في العديد من التجار بالعالمية (أسبانيا) والإقليمية (تونس والمغرب).

توظيف بعض المباني كمطاعم تراثية (شعبية):

يمكن للقطاع الخاص أن يستثمر بعض مباني قرية الحضن التراثية كمطاعم لإعداد وتقديم الأكلات الشعبية (الثقافة الغذائية المحلية)، وذلك بعد تهيئتها على النمط التراثي، حيث تتم تغطية واجهات المطعم بمواد البيئة المحلية، وكذلك إضفاء

الجانب التراثي على المسارات وغرف تقديم الطعام، هذا بالإضافة إلى ارتداء مقدمي الأكلات الشعبية للملابس التراثية الشعبية.

السوق الشعبي (قرية الحرفيين):

يمكن استخدام شوارع قرية الحضر كموقع لعرض المنتجات التقليدية (الحرف والمصنوعات التقليدية)، حيث توفر الكثير من السمات والخصائص المحلية التراثية التي تجذب العديد من السياح والزوار والمواطنين. حيث يضيف المكان إلى قيمة منتجاتهم عمقاً تراثياً ما يشكل ثنائية التلازم والتكامل بين المنتج التقليدي والمكان (المباني التراثية والمصنوعات التقليدية).

الفعاليات الثقافية والتراثية:

كثيراً ما تقام الفعاليات والاحتفالات والمهرجانات الثقافية والوطنية في ساحات لمباني والمعالم التراثية، حيث ارتباط الماضي بالحاضر واستشراف المستقبل. فالأنشطة الاستثمارية، التي يمكن إقامتها في قرية الحضر تتمثل في توظيف الساحات لمزاولة فنون الأداء الشعبي، حيث تتميز فنون الأداء الشعبي الإقبال الجماهيري الكثيف خاصة عندما تقام بمكان له قيمة تاريخية وتراثية (الرمز)، الذي يؤثر وجدانياً في المجتمع المحلي لارتباطه بإرث وتراث الأجداد. الآثار الايجابية لتوظيف واستثمار المباني التراثية في نجران:

١- اقتصادياً:

- توفير فرص العمل
- تحسين المستوى المعيشي للأفراد والمجتمع المحلي.
- تنويع مصادر الدخل والقاعدة الاقتصادية الوطنية باستقطاب رؤوس الأموال الوطنية (القطاع الخاص)، واستثمارها في المباني التراثية (بيوت الطين)
- تنمية البنى التحتية والمرافق العامة وتطويرها.

٢- اجتماعياً وثقافياً:

يسعى الاستثمار في المباني التراثية إلى تحقيق التالي:

- إحداث التحولات الاجتماعية في النظرة إلى التعامل مع السائح والزائر بطريقة تحافظ على الأنماط الاجتماعية والثقافية وعادات المجتمعات المحلية وتقاليدها وتراثها.
- العمل على تطوير الإمكانيات المجتمعية للتعامل مع الثقافات الوافدة مع السياح لإيجاد نوع من التوافق والتجانس بين المنظومة الاجتماعية المحلية والمنظومة الاجتماعية والثقافية المصاحبة لدخول السياح وإقامتهم واختلاطهم بالسكان المحليين.

٣- الاستدامة البيئية:

إن أهداف الاستدامة البيئية مرتبطة بصورة رئيسة بالمحافظة على خصائص البيئة الطبيعية وموارد التراث الثقافي والطبيعي، وحمايتها من التعرض لأي خلل أو آثار سلبية ناتجة عن الاستثمار في القطاع السياحي وحركة السياحة. وفي هذا الإطار لابد من الوضع في الاعتبار أسس التنمية السياحية المستدامة (Sustainable Tourism Development) وقواعدها ومبادئها، التي تراعي الاستغلال الأمثل للموارد الثقافية والطبيعية لاحتياجات الجيل الحالي ومراعاة أجيال المستقبل. فأهداف الاستثمار في القطاع السياحي المباني التراثية سياحياً تعمل على تحقيق الآتي:

- * منع أي تغيير في معطيات المحيط البيئي.
- * المحافظة على مكونات البيئة وأيكولوجية المكان (Ecology)، الذي هو عبارة عن التفاعل بين الإنسان والبيئة.

* تعزيز الوعي البيئي (Enhancing Environmental Awareness) لدى السياح، من الداخل والخارج، والمستثمرين ومنتخذي القرار في القطاعين العام والخاص.

* الاهتمام بالقدرات التحميلية (Carrying Capacity) للمواقع والمباني التراثية، بحيث لا تؤدي الحركة السياحية الكثيفة (Mass Tourism) لتدهورها.

* دراسة الأثر البيئي وتقييمه (Environmental Impact Assessment) جراء الاستثمار في القطاع السياحي، والعمل على معالجة الآثار السلبية المتوقعة، والإشراف عليها وإدارته لتقليل الآثار الناتجة على البيئة وتحميمها.

الخاتمة:

تتميز وتتفرد منطقة نجران بمعطيات حضارية وثقافية متعددة ومتنوعة: (مواقع أثرية، مبانٍ تاريخية، وتراث عمراني تقليدي، وتراث شعبي). وكذلك تتميز بثرائها بالموارد الطبيعية (الجبال والكتل الصخرية، والأودية، والصحارى والكثبان الرملية، والحياة الفطرية، بالإضافة إلى وجود الخدمات والتسهيلات السياحية (خدمات النقل، وخدمات الاتصال، وخدمات الإقامة والإعاشة، وخدمات الأمن والسلامة) والتي تحتاج إلى إكمال النقص في بعض جوانبها. كما تشكل تكامل كل من الموارد السياحية والخدمات والتسهيلات السياحية وخدمات الأمن والسلامة إمكانات ومقومات هائلة لصناعة السياحة والاستثمار السياحي في المباني والمعالم التراثية بالمنطقة، وفي ضوء ما تقدم في متن هذا البحث تبلورت النتائج والتوصيات التالية:

النتائج:

خلص البحث إلى عدد من النتائج والتي يمكن إجمالها في النقاط التالية:

* عمل البحث بصورة رئيسة ، من خلال المسح الميداني الذي أُجْرِيَ في المنطقة، على بناء قاعدة بيانات (Data Base) معلوماتية عن الثروة السياحية، شملت حصر الموارد (السياحية الطبيعية والثقافية)، وحصر الخدمات السياحية (التجهيزات والتسهيلات السياحية)، بإبراز الموجود منها، ووضع المرئيات والموجهات التي تعمل على إكمال النقص فيها، بغرض استكمال قاعدة البيانات السياحية التي توفر المعلومات عن إمكانات الجذب السياحي ومقوماته بالمنطقة، الأمر الذي يشجع كثيراً الاستثمار السياحي في المباني التراثية في المنطقة، خاصة من قبل القطاع الخاص.

تشير نتائج المسح الميداني وتحليل المعلومات إلى أن منطقة الدراسة تتمتع بثروة سياحية هائلة في مجال الموارد السياحية، تؤهلها أن تسهم بشكل فعال يمج الصناعة السياحة والاستثمار السياحي في المملكة، حيث توفر الكثير من فرص الاستثمار السياحي في مشروعات سياحية متميزة ومتنوعة.

تعدد مجالات الاستثمار السياحي وفرصه في المنطقة خاصة في المعالم والمباني التراثية في العديد من القرى والبلدات التراثية (الجام، الحضن) كفنادق ومقاهي ومطاعم تراثية. فالمباني التراثية لها قابلية التطبيق والتوظيف بهذه الاستخدامات السياحية الجديدة، مع الوضع في الاعتبار خطة التأهيل والتهيئة لهذه المواقع المختارة قبل التنفيذ، من أجل الحفاظ على الأصالة، مع مراعاة التحديث والمعاصرة في مجال الخدمات والمرافق وخدمات الإقامة والإعاشة.

- فيما يتعلق بالآثار الاقتصادية، والبيئية، والاجتماعية - الثقافية على المجتمع المحلي في المنطقة تشير الدراسة إلى أن النشاط السياحي والاستثمار السياحي المتوقع في المنطقة يتميز بكثير من التأثيرات الإيجابية وبعض التأثيرات السلبية. وفي هذا الإطار فإن انتهاج سياسة إدارة التأثيرات الاقتصادية، والبيئية، والاجتماعية - الثقافية يشكل أداة فاعلة لتجنب الآثار السلبية أو التخفيف منها على الأقل؛ مما يعمل على تحقيق الأهداف المنشودة من الدراسة.

التوصيات:

لتحقيق أهداف هذا البحث فإنه يوصي بالاتي:

- تنمية الموارد الثقافية والطبيعية في المنطقة وتطويرها وحمايتها والحفاظ عليها.

- معالجة كافة المخاطر والتهديدات كافة التي تواجه الموارد الثقافية والطبيعية.
- إكمال النقص في مجال التسهيلات والتجهيزات السياحية.
- إعداد دراسات الجدوى الاقتصادية للاستثمار السياحي في المشروعات المقترحة.
- استقطاب القطاع الخاص في مجال الاستثمار السياحي من خلال تقديم الحوافز، وتذليل معوقات الاستثمار.
- توسيع مساهمة مجتمع منطقة نجران (الشراكة المجتمعية) في برامج الاستثمار السياحي ومشروعاته، من خلال تعزيز دوره في عملية صنع القرار التنموي السياحي.

يخلص البحث إلى أنه إذا انتقلت هذه التوصيات إلى مرحلة التنفيذ الفعلي، فمن المأمول جداً أن يؤدي ذلك إلى تنمية وتطوير موارد التراث في منطقة نجران بشكل فعال، ومن ثم استثمارها سياحياً خاصة المباني التراثية الممثلة في القرى التراثية (بيوت الطين) كقرية الحضن وقرية الجام، وما يترتب علي ذلك من فوائد ومنافع اقتصادية واجتماعية وثقافية لفائدة المنطقة والمجتمع المحلي.

المراجع:

- جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد بن المجاور ١٩٥١م: صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، (تحقيق) أوسكرلو فغرين، مطبعة بريل، ليدن.
- جواد علي ١٩٧٨م: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت.

- الحوالي محمد علي الأكوح ١٩٧١م: اليمن الخضراء مهد الحضارة، مطبعة السعادة، القاهرة. - صالح بن محمد بن جابر آل مريح ١٤١٥هـ: نجران، سلسلة كتب (هذه بلادنا)، دار البلاد للطباعة والنشر، جدة.
- عبد الرحمن الطيب الأنصاري وصالح بن محمد آل مريح ١٤٢٤هـ: نجران منطلق القوافل، دار القوافل للنشر والتوزيع، الرياض.
- عبد اللطيف طاهر علاقي ١٤١٧هـ: نجران الواحة والإنسان، مطبعة الصلاح، جدة.
- عبد الكريم العريض ١٩٨٥م: " ماهية الثقافة المادية، في سلسلة ندوات التخطيط لدراسة التراث الشعبي لمنطقة الخليج والجزيرة العربية "، ندوة التخطيط لدراسة الثقافة المادية والفنون والحرف الشعبية، الدوحة، قطر .
- غيثان بن علي بن جريس ١٤٢٤هـ: دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطه، مكتبة العبيكان، الرياض.
- ١٤٢٥هـ: نجران دراسة تاريخية حضارية، مكتبة العبيكان، الرياض.
- لجنة التنشيط السياحي بمنطقة نجران د.ت: دليل نجران السياحي، كتيب تعريفى مصور، نجران.
- مجموعة مؤلفين ١٤٢٨هـ: موسوعة المملكة العربية السعودية، منطقة نجران، (Times I international Printing) ، الرياض.
- محمد الجوهري ١٩٧٨م: علم الفولكلور، دراسة في الانثروبولوجيا الثقافية، دار المعارف، القاهرة.
- الناصر البقلوطي ١٩٩٨م: التراث الشعبي: مفاهيم هو موارد، سلسلة الفنون والتقاليد الشعبية عدد (١٢)، وزارة الثقافة، الجمهورية التونسية، تونس.

- الأمانة العامة للجنة التنشيط السياحي بنجران/ أرحبو في نجران ١٤٢٥هـ:
لجنة التنشيط السياحي، نجران.
- الهيئة العليا للسياحة، المواقع القابلة للتطوير السياحي بمنطقة نجران ١٤٢٣هـ:
الهيئة العليا للسياحة، الرياض.
- الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها ١٤١٦هـ: المحميات الطبيعية في
المملكة العربية السعودية، الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، الرياض .
- وزارة المعارف، وكالة الآثار والمتاحف ١٤٢٣هـ: آثار منطقة نجران، سلسلة
آثار المملكة العربية السعودية، مطابع دار الهلال للأوفيس، الرياض.

السياحة والاقتصاد السوداني: الواقع والرؤية المستقبلية

د. علي محمد عثمان العراقي

أ. مساعد. كلية السياحة والآثار

جامعة الملك سعود

١. مقدمة:

عرف الإنسان السفر والانتقال من مكان إلى آخر لأغراض مختلفة منذ قديم الزمان، ولكن لم يأخذ هذا السفر شكل النشاط المنظم والمتسع يوماً بعد آخر إلا في بدايات القرن التاسع عشر كأحد النتائج المهمة للثورة الصناعية، حيث أنه مع سهولة الانتقال وتوافر المواد السلعية لدي شريحة واسعة من الأفراد انتقلت حركة السفر النقلة النوعية الأولى وتحولت لسياحة منظمة على يد بعض الرواد مثل توماس كوك في بريطانيا وويل فارجو في الولايات المتحدة (صلاح الدين عبد الوهاب ١٩٨٨).

وقد تطورت حركة السياحة العالمية بشكل ملحوظ خلال الربع الأخير من القرن العشرين؛ فمن ١٦٦ مليون سائح في ١٩٧٠م إلى ٤٥٦ مليون سائح في ١٩٩٠م ليقفز إلى ٩٣٧ مليون سائح في ٢٠١٠م (UNWTO 2002,2011)).

ولا يخفى أن قطاعاً بهذا الحجم يؤثر بشكل واضح في حركة الاقتصاد العالمي وأوضاع الدول؛ ومن هذا الباب تأتي هذه الدراسة لاختبار دور النشاط السياحي في السودان وتقصي الآثار الحالية والمتوقعة له ومدى قدرته وفقاً لخصائصه الذاتية في المساهمة إيجابياً بتتويج هيكل النشاط الاقتصادي وتوسيع قاعدته وتوزيع عائداته خاصة عقب انفصال الجنوب والعجز الكبير في ميزان المدفوعات.

تبدأ الدراسة في القسم الثاني باستعراض موجز لتركيبه وأداء الاقتصاد السوداني بالتركيز على المساهمات القطاعية وموقف الميزان التجاري وميزان المدفوعات، ثم تدلف في القسم الثالث لبيان أثر السياحة الحالي والمتوقع في الاقتصاد السوداني وتختتم الدراسة بنتائج وتوصيات.

٢. الاقتصاد السوداني التركيبي والأداء:

١-٢. تركيبة الاقتصاد السوداني:

يعد الاقتصاد السوداني اقتصاداً تقليدياً يعتمد على المواد الأولية ويشكل القطاع الزراعي ويساهم بالنسبة الأكبر في الناتج المحلي الإجمالي والجدول رقم (١) يوضح ذلك. وبالرغم من أن مساهمة القطاع الزراعي شهدت تقلباً في بعض السنوات إلا أنه ظل يستأثر بالنسبة الأعلى في تكوين الناتج المحلي الإجمالي فوجد مثلاً مساهمة القطاع الزراعي وصلت إلى ٣٦,٦% من الناتج المحلي الإجمالي في ١٩٨٢/٨١م ولكنها تراجعت لتسجل حوالي ٢٧% في ١٩٩١/٩٠م ثم ارتفعت في ١٩٩٢/٩١م لتصل إلى ٣١,٥% وتنخفض مرة أخرى لتسجل ٣٠,٦%، ٢٩,٢%، في الأعوام ١٩٩٣/٩٢م، ١٩٩٤/٩٣م، ١٩٩٥/٩٤م، على التوالي؛ أي أن القطاع الزراعي استمر على نفس الوتيرة من التقلب وعدم الانتظام طيلة السنوات المشار إليها.

جدول (١): مكونات الناتج المحلي الإجمالي (١٩٨١-٢٠٠٨م)

السنة	الزراعة والثروة الحيوانية	التعدين والتبرول	الصناعة ومصنوعات يديوية	المياه والكهرباء	البناء والتشييد	تجارة التجزئة والمطاعم	النقل والاتصالات	خدمات تأمين العقارات والتمويل	خدمات الإقضية	المؤسسات المالية	لخدمات حكومية	لخدمات خاصة غير لربحية	رسوم لوربات	الجملة
١٩٨٢/٨١	٣٦,٥٦	٠,٠٥	٧,٩٦	١,٠٩	٥,٤٢	١٢,٩٦	١,٠٠٤	١١,١٣	١,٤٤	١,٥٣	٨٢	١,١	٥,٤	١٠٠
١٩٨٣/٨٢	٣٢,٦٤	٠,٠٧	٨,٤٨	١,٢٥	٦,٢٧	١٣,٤٨	٩,٩٦	١١,٣٠	١,٥٧	١,٣٠	٩٣	١,١	٥,٨	١٠٠
١٩٨٤/٨٣	٣٢,٧٧	٠,٠٦	٨,٨٢	١,٤٨	٥,٥٥	١٢,٠٦	١٠,٤١	١١,٩٤	١,٦٩	١,٤٩	١١	١,٣	٣,٨	١٠٠
١٩٨٥/٨٤	٣٠,٧٠	٠,٠٦	٩,٧٥	١,٧٥	٥,٤٨	١٣,٦٧	٩,٩٥	١٢,٦٧	١,٨٥	١,٤٥	١٠	١,٣	٣,٣	١٠٠
١٩٨٦/٨٥	٣٣,٩٢	٠,٠٦	٨,٧٢	١,٦٦	٤,٥٣	١٢,٢٧	١٢,٥٧	١١,٨٦	١,٨٥	١,٣٢	٩٨	١,٢	٣,٧	١٠٠
١٩٨٧/٨٦	٣٢,٥٣	٠,٠٣	٩,٢٠	١,٤٠	٤,٧٧	١٧,٣٢	١٠,٥٣	١٢,٥٤	١,٧٠	١,١٩	٨٠	١,١	١,٩	١٠٠
١٩٨٨/٨٧	٢٨,٥٦	٠,٠٤	٩,٥١	١,٥٣	٤,٥٦	١٦,٠٣	١١,٤٣	١٢,٣١	١,٦٦	١,٣١	٨٤	١,٢	٥,٠	١٠٠
١٩٨٩/٨٨	٣٤,٨٣	٠,٠٦	٨,٧٤	١,٤٧	٣,٩١	١٤,٥٥	٩,١٦	١٥,٨٤	١,٥٩	١,٢٨	٨٠	١,١	١,٩	١٠٠

السنة	الزراعة والثروة الحيوانية	التعدين والبتروول	الصناعة، ولصنوعات اليدوية	المياه والكهرباء	البناء والتشييد	تجارة التجزئة ولصناعات	نقل والاتصالات	خدمات التأمين لعقارات والتمويل	خدمات الاجتماعية	لصناعات ليلية	لصنعت حكومية	لصنعت خاصة غير الربحية	رسوم لوردات	الخدمة
١٩٩٠/٨٩	٢٩,٣٩	-٠,٩	٨١٩	١,٥٢	٥,١٧	١٢,٣٢	٩,٥٦	١٦,٣٨	١,٧٦	١,١-	١٢,١٢	١٢,١٢	١٠٠	
١٩٩١/٨٠	٢٦,٩٧	-٠,٩	٧٩٠	١,٥٠	٦,٩٤	١٢,٩٢	١٢,٥٠	١٢,٥٧	١,٧١	١,٢٤-	١٢,١٢	١٢,١٢	١٠٠	
١٩٩٢/٨١	٣١,٥١	-٠,١٧	٩,٦٤	١,٧٢	٣,٧٢	١٧,٨١	١٢,٥٦	١٠,٧٧	١,٥٨	١,٩٨-	١٢,١٢	١٢,١٢	١٠٠	
١٩٩٣/٨٢	٣٠,٦٣	-٠,١٧	٩,٠١	١,٦٨	٤,٧٠	١٧,٣٠	١٢,٨٠	١٢,٠٩	١,٥٤	٢,٥٤-	١٢,١٢	١٢,١٢	١٠٠	
١٩٩٤/٨٣	٢٩,٢	-٠,١٩	٧,٨٥	١,٨٠	٤,٩٩	١٧,٨٨	١٢,٨٥	١٢,٦٦	١,٦٤	١,٩٣-	١٢,١٢	١٢,١٢	١٠٠	
١٩٩٥/٨٤	٢٩,٢	-٠,١٩	٧,٨٥	١,٨٠	٤,٩٩	١٧,٨٨	١٢,٨٥	١٢,٦٦	١,٦٤	١,٩٣-	١٢,١٢	١٢,١٢	١٠٠	
١٩٩٦م	٣٧,٨٤	-٠,٣	٩,٦١	٢,٤١	١,٩٠	١١,١٢	١٠,٥٢	١٤,٠١	١,٥٢	١,٦٦-	١٢,١٢	١٢,١٢	١٠٠	
١٩٩٧م	٣٩,١٤	-٠,٣	٩,٢٠	٢,٤٢	١,٩٢	١١,٨١	٩,٧٨	١٢,٤٧	١,٤٨	٢,٥٥-	١٢,١٢	١٢,١٢	١٠٠	
١٩٩٨م	٣٨,٦٣	-٠,٣٧	٩,١٢	٢,٢٧	٤,٦٣	١٠,٨٨	٨,٩٧	١٤,٢٥	١,٤٠	٣,٠٦-	١٢,١٢	١٢,١٢	١٠٠	
١٩٩٩م	٣٨,٢٢	١,٨٠	٩,٤٠	٢,٢٦	٢,٧٨	١٠,٤٣	٨,٦٠	١٢,٩٠	١,٤٠	١,٦٥-	١٢,١٢	١٢,١٢	١٠٠	
٢٠٠٠م	٣٧,٩٤	٤,٨٥	١٠,٣٧	١,٧٦	١,٩٤	٩,٨٦	٨,٥٤	١٢,٩٧	١,٤٥	١,٥١-	١٢,١٢	١٢,١٢	١٠٠	
٢٠٠١م	٣٦,٤٥	٦,٢٣	١٠,١٩	١,٧٣	٢,٧٠	١٠,١٦	٨,١٢	١٢,٨	١,٣٣	١,٥٤-	١٢,١٢	١٢,١٢	١٠٠	
٢٠٠٢م	٣٩,١٠	٦,٧٧	٩,٧٢	٢,٢٢	٢,٧١	١٠,٨	٧,٩٩	١٢,٤٦	١,٣٥	١,٥١-	١٢,١٢	١٢,١٢	١٠٠	
٢٠٠٣م	٣٦,٢٦	٧,١٩	٩,٧١	٢,٢٢	٢,٧١	١٠,٨٩	٧,٩٥	١٢,٢١	١,٢٦	١,٥١-	١٢,١٢	١٢,١٢	١٠٠	
٢٠٠٤م	٣٦,٦٥	٧,٤٣	٩,٤٤	٢,٢٦	٢,٧١	١٠,٤١	٧,٨٤	١٢,٥٨	١,٢٢	١,٤٧-	١٢,١٢	١٢,١٢	١٠٠	
٢٠٠٥م	٣٩,٦	١٥,٨	٧,٠	١,٤	٤,١	-							١٠٠	
٢٠٠٦م	٣٩,٢	١٥,٨	٦,٩	١,٤	٤,١	١٤,٥							١٠٠	
٢٠٠٧م	٣٦,٢	٢٠,٧	٧,٢	١,٤	٣,٧	١٤,٧							١٠٠	
٢٠٠٨م	٣٥,٩	١٨,٨	٧,٤	١,٤	٣,٨	١٤,٤							١٠٠	

المصدر: إعداد الباحث من تقارير الجهاز المركزي للإحصاء

نلاحظ من الجدول رقم (١) أن مساهمة قطاع التعدين والبتروك قد ارتفعت عقب استخراج وتصدير البترول من ١,٨% من الناتج المحلي الإجمالي في ١٩٩٩م إلي ٢٠,٧%، ١٨,٨% في عامي ٢٠٠٧م و٢٠٠٨م على التوالي وبالرغم من اكتساب قطاع التعدين والبترول أهمية متزايدة بعد العام ٢٠٠٠م إلا أنه لم يهيمن على الناتج المحلي الإجمالي. ويبرز الجدول تدني مساهمة القطاع الصناعي (الصناعة والمصنوعات اليدوية) في الناتج المحلي الإجمالي فقد كانت، تقريبا ، ثابتة طيلة الثلاثين عاماً الماضية ولم تتعد ١٠% ويسجل الجدول الزيادة المطردة في مساهمة قطاع الخدمات والتي بلغت، خلال الفترة ٢٠٠٥م-٢٠٠٨م، ضعف مساهمة القطاع الصناعي.

إن النظرة الفاحصة للجدول رقم (١) تبرز ما يعانيه الاقتصاد السوداني من خلل هيكلي يتجلى في تقليدية تركيبته واعتماده المفرط على المواد الأولية الزراعية ثم البترولية لاحقاً، والتقلب المستمر في مساهمة قطاعاته المنتجة الأمر الذي يقود لانكشاف ظهر الاقتصاد الوطني وتراجع قدرته على امتصاص الصدمات ومواجهة الأزمات وهذا ما حدث عقب انفصال الجنوب وفقدان البلاد لحوالي ٩٥% من عائدات الصادر و ما يقارب ٤٥% من الإيرادات العامة.

إن هذا الواقع هو بعينه ما تحاول الدراسة تداركه ولتنبه بان قطاع السياحة مورد مهم يتميز باستدامته ومقدراته على خلق التوازن في توزيع الدخل وإذا ما أحسن توظيفه فهو قادر على المساهمة في تصحيح الخلل الهيكلي بالاقتصاد السوداني .

٢- ٢. أداء الاقتصاد السوداني:

٢- ٢. ١. معدلات نمو الاقتصاد:

يعد التقلب وعدم الانتظام سمة ملازمة لنمو الاقتصاد السوداني؛ ففي خلال الفترة ١٩٩٠م-٢٠٠٩م مثلاً بدأ الاقتصاد بمعدل نمو سالب ٥,٥% في ١٩٩٠م ليرتفع إلي ٧,٥% في ١٩٩١م ثم لينخفض باستمرار خلال الأعوام الثلاثة التالية

مسجلاً ٦,٦%، ٦,٤%، ١% في الأعوام ١٩٩٢م، ١٩٩٣م، ١٩٩٤م، على التوالي، ثم ليعاود الارتفاع في ١٩٩٦م ليبلغ ١١,٦% و لينخفض إلي ٦,١% في العام ١٩٩٧م وفقاً لما يبينه الجدول رقم (٢).

وبالرغم من هذا التذبذب فقد أرتفع معدل النمو من ٢,٨% في المتوسط خلال النصف الأول من التسعينات إلي حوالي ٧,٢% في النصف الأخير من التسعينيات وحافظ على هذا المعدل خلال الفترة (٢٠٠٠م - ٢٠٠٩م) حيث بلغ في المتوسط ٧,٤%.

جدول رقم (٢): معدلات نمو الاقتصاد السوداني (١٩٩٠م - ٢٠٠٩م)

العام	معدل النمو	العام	معدل النمو
١٩٩٠	٥,٥-	٢٠٠٠	٨,٤
١٩٩١	٧,٥	٢٠٠١	١٠,٨
١٩٩٢	٦,٦	٢٠٠٢	٦,٠
١٩٩٣	٤,٦	٢٠٠٣	٦,٣
١٩٩٤	١,٠	٢٠٠٤	٥,١
١٩٩٥	٦,٠	٢٠٠٥	٥,٧
١٩٩٦	١١,٦	٢٠٠٦	٩,٩
١٩٩٧	٦,١	٢٠٠٧	٨,١
١٩٩٨	٨,٢	٢٠٠٨	٧,٨
١٩٩٩	٤,٢	٢٠٠٩	٦,١

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء ، ٢٠١٠م

٢-٢-٢. الادخار، الاستثمار والتضخم:

تبرز إحصاءات الجدول رقم (٣) ضعف حجم المدخرات فهي لم تتعد، في أحسن أحوالها، منسوبة للنتاج المحلي الإجمالي ١٨,٧% في ٢٠٠٤م الأمر الذي يشير لتضاؤل القدرات الذاتية للاقتصاد السوداني.

ووفقاً للجدول فقد شهدت نسبة الادخار للنتاج المحلي الإجمالي الكثير من التقلبات خلال فترة التحليل (١٩٨٠-٢٠٠٨م) ويلاحظ أنها قد تضاغت من ٦,٥% في المتوسط خلال الثمانينات إلي حوالي ١١,٤% خلال التسعينيات لتواصل الارتفاع إلي حوالي ١٣,٢% للفترة ٢٠٠٠-٢٠٠٤م وإذا ما استثنينا عامي ٢٠٠٠م ٢٠٠١م يرتفع المتوسط إلي ١٤,٥% للألفية الثالثة.

أما الاستثمار فنلاحظ أيضاً الاختلاف الكبير في نسبته للنتاج المحلي الإجمالي بين عقدي الثمانينات والتسعينات؛ فمثلاً ارتفعت هذه النسبة من ٩,٩% خلال النصف الثاني من الثمانينات إلي نسبة بلغت حوالي ١٨% خلال النصف الثاني من التسعينات أي بنسبة زيادة بلغت حوالي ٨٢% ، وواصلت نسبة الاستثمار الارتفاع لتصل إلي حوالي ٣٤% في المتوسط خلال الفترة ٢٠٠٥م-٢٠٠٨م ومن المعلوم أن السبب الرئيسي لارتفاع الاستثمار خلال هذه الفترة هو البترول وما أحدثه من حراك ويلاحظ أن الزيادة المشار إليها لم تترجم إلي زيادة في الإنتاج الزراعي والصادرات الزراعية أو إلي زيادة في فرص الاستخدام والعمالة.

جدول رقم (٣) : بعض المؤشرات الكلية للاقتصاد السوداني (١٩٨٠-٢٠٠٨م)

السنوات	الادخار / الناتج المحلي الإجمالي (%)	الاستثمار / الناتج المحلي الإجمالي (%)	معدل التضخم (%)
١٩٨٣-١٩٨٠م	٧,٣	١٢,٧	١٩,٦
١٩٨٩-١٩٨٤م	٥,٧	٩,٩	٦٥,٣
١٩٩٥-١٩٩٠م	١١,٥	١٨,٠	١٠٥,٤
١٩٩٩-١٩٩٦م	١١,٢	٢٢,٨	٥٢,٧
٢٠٠٠م	٨,٩	٢٢,٦	٨,١
٢٠٠١م	٨,٢	١٧,٦	٤,٩
٢٠٠٢م	١٣,٤	١٩,٤	٨,٣
٢٠٠٣م	١٥,٣	٢٠,٠	٧,٤
٢٠٠٤م	١٨,٧	٢٢,٦	٨,٤
٢٠٠٥م	١٤,٨	٣٨,٠	٨,٥
٢٠٠٦م	١٣,٦	٣٤,٣	٧,٢
٢٠٠٧م	١٣,٣	٣٤,١	٩,٨
٢٠٠٨م	١٢,٧	٣٠,٢	١٤,٣

المصدر : تقارير بنك السودان لأعوام مختلفة، (IMF, 2006)

سجلت معدلات التضخم زيادة مطردة منذ ١٩٨٠م وحتى ١٩٩٥م حتى بلغ

في ١٩٩٥م- ١٩٩٦م مرحلة التضخم الجامح، وبدأ في الانخفاض بعد تطبيق

سياسات مالية ونقدية انكماشية في ١٩٩٦م (عثمان، ٢٠٠١) ويلاحظ أن معدلات

التضخم بعد أن حافظت على رقم أحادي خلال الفترة ٢٠٠١ م - ٢٠٠٧ م عاودت الارتفاع لتسجل رقماً ثنائياً في ٢٠٠٨ م (٣,٤١%).

٢-٢-٣. هيكل الصادرات والميزان التجاري:

اعتمد هيكل الصادرات السودانية على المواد الأولية (الزراعية ، الحيوانية) بشكل كامل ثم أخذ البترول بعد تصديره في ٢٠٠٠م يحتل المرتبة الأولى في مكون الصادرات كما يوضح الجدول رقم (٤) ، ويبرز الجدول الخلل الواضح في هيكل الصادرات والذي مازال يعتمد بشكل رئيسي على المواد الأولية والتي تتميز أسعارها والطلب عليها بالتقلبات الواسعة في الأسواق العالمية . يؤكد الجدول هشاشة الصادرات السودانية والانهييار الواضح الذي أصاب عائداتها؛ وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه سابقاً أن الخلل في الاقتصاد السوداني هو خلل هيكله لم يسهم استخراج البترول في علاجه بل عززه بزيادة الاعتماد على مادة أولية لتصل مساهمته ما تجاوز (٨٦-٩٠%) من قيمة الصادرات وتم العزوف عن الصادرات التقليدية

جدول رقم (٤): هيكل الصادرات السودانية (١٩٩٠م-٢٠٠٨م)

السلعة	١٩٩٠-١٩٩٤ %	١٩٩٥-٢٠٠٠م	٢٠٠٠م-٢٠٠٥م	٢٠٠٥-٢٠٠٨م
ضأن	١٩%	١٥%	٣%	٠,٠١%
كركي	٥%	٤%	٠,٧%	٠,٠٢%
جلود	٢%	١%	١%	٠,٠٣%
فول سوداني	١%	١%	٠,١%	٠,٠٠١%
سمسم	٢٠%	٢٤%	٥%	٠,٠٢%
حب بطيخ	٣%	٢%	٠,٦%	٠,١٠%
قطن	٢٩%	٢١%	٣%	١٠%
صمغ عربي	١٤%	٥%	١%	٠,٠٤%
فواكه	٢%	٠,٤%	٠,١%	٠,٠٠٠١%
سكر	٦%	٤%	٠,٤%	٠,٠١%

المصدر:- إعداد الباحث من تقارير الجهاز المركزي للإحصاء

إن الاعتماد على مجموعة محددة من المواد الأولية للتصدير وتقليدية هيكل الاقتصاد الوطني وتنامي حجم الواردات هو الذي قاد إلي عجز ميزان المدفوعات كما يبرز الجدول (٥) كما أن عدم تنوع هيكل الصادرات يعرض لانكشاف ظهر الاقتصاد الوطني ويؤدي إلي تراجع قدراته على تجاوز الأزمات وهذا ما يعاني منه الاقتصاد السوداني عقب انفصال الجنوب.

حاولت بعض الدراسات أبرزها (UNDP، ٢٠٠٦) تقسيم تاريخ الاقتصاد السوداني لحقب لكل خصائصها حيث تؤكد الدراسة التقلب الواضح وعدم الاستقرار الذي لازم الاقتصاد السوداني في مؤشراته الأساسية؛ فمعدل النمو تجاوز ١١% خلال

الحقبة ١٩٩٦م - ٢٠٠٠م بينما كان قد سجل ٩% في ١٩٨٩م - ١٩٩٥م ونفس السمة من النقلب تسرى على معدل التضخم فمن حوالي ١٤% في ١٩٧٠م - ١٩٧٨م نجده قد وصل مرحلة التضخم الجامح في ١٩٨٩م - ١٩٩٥م متجاوزاً ١١٨% ، كما يلاحظ أن البلاد ومع تمتعها بتدفق استثمارات وقروض عربية نتيجة للزيادة الكبيرة للفوائض النفطية خلال عقد السبعينات إلا أن ذلك لم يؤدي لاستقرار الاقتصاد السوداني وجعله يتمتع بنمو مستدام.

جدول رقم (٥): الميزان التجاري (٢٠٠٠م - ٢٠٠٩م) بالآلاف الجنيهات

السنة	الواردات	الصادرات	إعادة الصادرات	الميزان التجاري
٢٠٠٠	٤٢٦١٨٤٠	٤٨٣٢٥٦٣	٥٠٠٩٢	٦٢٠٨١٤
٢٠٠١	٥٠٦٤٦٨٩	٤٦٨٧١٥٥	١٦٩١٧٣	(٢٠٨٣٦٠)
٢٠٠٢	٦٠٤٦٤٥٨	٥٢٨٧٢٠٠	٢٧٦٨٩٤	(٤٨٢٣٦٤)
٢٠٠٣	٧٥٥٢٨٤٨	٦٤٥٠٨٨٠	٣٥٢١١٤	(٧٤٩٨٥٤)
٢٠٠٤	١٠٢٠٧٤٥٣	٨٧٣٥٣٠٨	٥٧٩٣٠١	(٨٩٠١٤٣)
٢٠٠٥	١٦٩٨٢٧٠٩	١٠٦٠١٧٨١	٣٦١٢٩٥	(٦٠١٩٦٣٤)
٢٠٠٦	١٩١١١٨٩٠	١١٥٧٥٢٤٤	٢٩٩٨٢٦	(٧٢٣٦٨٢٠)
٢٠٠٧	١٩٢٥٤٣٨٢	١٧٨٩٣٣٥٩	١٣٥٨٨٥	(١٢٢٥١٣٨)
٢٠٠٨	٢٥٩٣٠٧٧٦	٢٤٦١٢٠٠٨	٧١٥٩٧	(١٢٤٧١٧١)
٢٠٠٩	١٩٠٦٤٢٤٧	١٧١٣٥٧٨٦	١٢٥٣١٩	(١٨٠٣١٤٢)

شكل ميزان المدفوعات السوداني عجزاً مستمراً خلال الفترة (٢٠٠٠م - ٢٠٠٩م) وذلك كنتيجة طبيعية لضعف الهياكل الانتاجية وتقليديتها وعدم تطوير قطاعات الاقتصاد الحقيقي.

ولعلاج هذه الاختلالات، العجز في ميزان المدفوعات وضعف القطاعات الإنتاجية وتصاعد المديونية الخارجية، بدأت الدراسات والتحركات والمبادرات لتجاوز هذه المرحلة وأهم الحلول المقترحة :-
تشجيع وفتح الأبواب لقطاع الخاص.
جذب واستقطاب الاستثمار الأجنبي.
تنويع وتوسيع قاعدة الصادرات.

ومن خلال هذا المنحى يأتي الحديث عن ضرورة استغلال الموارد السياحية بالبلاد والتي تتنوع من الآثار، الحياة البرية ، النيل ، البحر الأحمر ، الصحراء ، نمط الحياة وغيرها من موارد يمكن ان تشكل إضافة حقيقية للاقتصاد السوداني ؛ بل يمكنها أن تقدم عائدات أكبر واسع وعوائد للنمو واسعة النطاق يستفيد منها مجاميع متعددة من مواطني البلاد.

٣. السياحة في السودان:

لماذا السياحة؟

أن السياحة كظاهرة انتقال بشري قديمة قدم التاريخ غير أنها تطورت بشكل لافت خلال القرن العشرين لتصبح نشاطاً إنتاجياً وتدخل في مجال الخدمات ولتتحول من مجرد ترفيه وحركة غير مفسرة إلي صناعة لها اقتصادياتها ونظرياتها وتداخلاتها مع القطاعات الاقتصادية الأخرى (صلاح الدين عبد الوهاب ، ١٩٩٨م) .

وقد لاحظت بعض الدراسات أبرزها ((Ashley, 2002) أن تطوراً كبيراً قد حدث في مفهوم اقتصاديات السياحة واتجاهات التفكير والتخطيط السياحي فمن اهتمام بالعائدات المالية ومعدلات النمو في عقد السبعينات الي إدماج البعد البيئي في المشروعات خلال الثمانينات بينما شهد التسعينات التحول لدور المجتمع المحلي وما مدي استفادته من المشروعات السياحية.

تتميز السياحة بعدة خصائص تقف بها على رأس القطاعات التي تقود الدول النامية للانتعاش والرخاء الاقتصادي وأهم هذه الخصائص:

١. التوظيف:

يتكون هيكل العرض السياحي ؛ في المقصد السياحي ، من عدد من الصناعات والأنشطة مثل الفنادق ، النقل ، الإقامة وأنشطة الترويج إضافة للوكالات السياحية ولا يخفي أن هذا الطيف الواسع من الأنشطة مؤشر على مساهمة القطاع السياحي في التوظيف وخلق العمالة (نبيل الروبي ، ١٩٨٨ م) وقد أُجريت دراسات مسحية عن مدي تأثير السياحة على العمالة فتبين أن هذا الأثر يختلف من مجتمع لآخر ولكن بشكل عام فقد خلصت الدراسات الي ما يلي :-

١. بالنسبة للفنادق ، يتم خلق وظيفة واحدة جديدة على الأقل لكل غرفة فندقية .
٢. باقي نشاطات السياحة ؛ يتم خلق وظائف جديدة بنسبة ٧٥ % من عدد الوظائف التي تنشأ في القطاع الفندقي .
٣. في القطاعات الأخرى، تنشأ وظائف جديدة بنسبة ١٠٠% من الوظائف التي تحلقها الفنادق

٤. ويشكل كلي فقد تبين أن السياحة تخلق ٢,٧٥ وظيفة جديدة لكل غرفة فندقية.

٢. ميزان المدفوعات:

تقاس الأهمية الاقتصادية للسياحة بآثارها على ميزان المدفوعات في الدولة وتمثل السياحة جزءا من المعاملات غير المنظورة وتأخذ مكانها ضمن مختلف الصادرات غير المنظورة كالملاحة، التأمين، المعاملات المصرفية وغيرها . يبنى تقدير العائدات السياحية على تحديد حجم الإنفاق والذي يتم حسابه باعتبار أن الليلة السياحية هي وحدة الإنفاق حيث أن الزائر لابد أن يقضي ليلة على الأقل في الدولة التي يزورها لكي يعتبر سائحا دولياً.

٣. غالباً ما تعتمد الدولة السياحية على موارد لا يمكن استغلالها ولا تغل عائداً بغير طريق السياحة مما يجعل هذا النشاط يعظم من توظيف الموارد وحسن إدارتها.
٤. تعد السياحة من الصناعات كثيرة التنوع والمبنيّة على قاعدة واسعة من الموارد، طبيعية، ثقافية وأخرى، مما يجعل منها نشاطاً مناسباً لتعظيم استفادة القطاع غير المنظم وتوسيع قاعدة المنتجين في الريف والحضر.
٥. تؤكد الدراسات أن السياحة تمثل نشاطاً اقتصادياً ضخم يخلق متواليّة هندسية في هيكل قطاع الأعمال ويصل عدد الصناعات التي تغذي النشاط السياحي وترتبط به حوالي ٧٠ صناعة (أسامة الرافي، ٢٠٠٢م).
٦. إن المنتج السياحي كسلعة يتم استهلاكه في نقطه الإنتاج، حيث يحضر المستهلك للمنتج في موقعه وغالباً ما تكون الموارد السياحية في الريف مما يتيح خلق وتوليد عدد من الأنشطة المصاحبة في الموقع.
٧. إن قدرة النشاط السياحي على زيادة معدلات النمو الاقتصادي تؤدي مباشرة لتخفيف وطأة الفقر الريفي؛ فقد أكدت دراسات عديدة أن الفقر الريفي أكثر استجابة للنمو من الفقر الحضري.
- أن هذه الخصائص وغيرها هي التي جعلت السياحة قطاعاً صاعد بقوة في الاقتصاد العالمي ليساهم بحوالي ٣٠% من صادر الخدمات بل استطاع الصمود في وجه النكسات وتعافى قبل غيره من القطاعات في الأزمة المالية العالمية، ليسجل في ٢٠١١م زياده في حركة السياحة بحوالي ٤,٥% عن العام ٢٠١٠م.

٣.١ السياحة في السودان

إن السودان بمساحته الشاسعة والامتداد الجغرافي الكبير قد أفرز تنوعاً وثراءً ضخماً في الأقاليم المناخية من الصحراء في أقصى الشمال إلي السافانا الغنية ومناخ البحر الأبيض المتوسط (الطيب حياتي ١٩٩٧م) وشكلت هذه الرقعة الجغرافية الواسعة موطناً للحضارات منذ ما قبل التاريخ وذلك نسبة لما يتمتع به

الإقليم من موقع استراتيجي حيث يعتبر القنطرة ما بين إقليم البحر الأبيض المتوسط والداخل الأفريقي وما بين إقليم البحر الأحمر والغرب الأفريقي الممتد. وقد جعل هذا الموقع الفريد السودان موئلاً لأجناس وأعراق ومحط هجرات لمجموعات سكانية من مختلف أنحاء العالم الأمر الذي قاد لتشكيل المجتمع السوداني الحالي بتعدده المبدع وتنوعه الخلاق.

٣.١ الموارد السياحية في السودان:

يتمتع السودان بتوافر طيف من الموارد السياحية (ثقافية / طبيعية/حياة برية... الخ) ولكن لم يجر بالبلاد حتى الآن مسح شامل للموارد السياحية وتصنيفها بالنوع والدرجة لتكون مرجعية أساسية لبرامج التنمية وتوجيه الاستثمار لهذا القطاع. وفيما يلي نعطي فكرة موجزة حول ماهية هذه الموارد ولكن ينبغي التذكير أولاً أن هذه الموارد ليست سوى أمثلة والسودان زاخر بالعشرات بل بالمئات منها، وذلك على النحو التالي:

الموارد الثقافية :

وتضم كل أشكال وأنماط التاريخ والفعل الثقافي من آثار وتراث شعبي، وتقاليد وأنماط معيشية وغيرها، ولعل أبرز مكونات هذا المحور هو الآثار حيث يتمتع السودان بتوافر مناطق ومقتنيات أثرية من جميع العصور (منذ ما قبل التاريخ وحتى العصر الحديث) ويشار إلي أن هذه الآثار تتوزع على معظم أنحاء البلاد مع تركيز واضح بولايتي بنهر النيل والشمالية.

الموارد الطبيعية:

ويقصد بها جميع أنواع المناظر والمناطق ذات السمة الطبيعية والمميزة، والسودان بتعدد مناخاته وتوافر المسطحات المائية والسلاسل الجبلية والهضاب في شرق وغرب البلاد، ويعد ساحل البحر الأحمر الممتد على مدي ٦٤٠ كم ويمتاز بأحيائه المائية وشعبه المرجانية أحد أهم الجوانب السياحية بالبلاد.

الحياة البرية :

إن تنوع المناخات وتباين الأراضي وكميات المياه جعلت البلاد تتمتع بطيف واسع من الحيوانات البرية تضمها ١٤ محمية طبيعية أشهرها محمية الدندر. الصحراء :

تغطي الصحراء مساحة السودان وتمتد على جانب النيل في الشمالية ونهر النيل وغرباً إلى شمال كردفان وشمال دارفور خاصة المنطقة الغربية الممتدة من ضفاف النيل الغربية إلى جبل عوينات وجنوباً لوادى هور ويوضح الجدول رقم (٦) بعضاً من المناطق السياحية في البلاد:

جدول رقم (٦): بعض المناطق السياحية في البلاد

الولاية	أهم المناطق السياحية	أنواع الحيوانات البرية	الحظائر السياحية المتاحف - الفنادق
كسلا	جبال التاكا، نهر القاش، الضريح، السواقي الجنوبية والشمالية، والمواقع الأثرية الإيطالية بمنطقة الختمية، حديقة الحيوان.	الضباع، القروء، الغزال ، الطيور، القطط الخلوية، الزواحف	١٢ فندق
النيل الأبيض	منطقة الباجا ، المزارات الدينية ، منطقة الكحلة (الحيوانات البرية)	الغزلان ، الطيور المختلفة ، الثعالب	١٠ فنادق
شمال كردفان	غابة شيكان، محمية الصافية أبو عروق	الغزلان ، الأرنب البري، الثعالب، القروء، الطيور	فنادق + متحف شيكان
جنوب كردفان	آثار مملكة تغلي بالعباسية، حصن المهدي في جبل قدير، كر الميراوي ، شلال كلبى، خزان ميري، بحيرة كيلك ، غابة الدندور	الغزلان، الأرنب، الضباع، القروء، النمر، الفهود، الطيور	نزل سياحية بكادوقلي والدلنج
الشمالية	صاي، صلب، كرمة ، دنقلا العجوز، الكرو، البركل، نوري، القعب، واحة سليمة، حمامات	الغزال العادة، الأرنب البري، كبش مي، الثعالب	متحف البركل ٦ فنادق

الولاية	أهم المناطق السياحية	أنواع الحيوانات البرية	الحظائر السياحية المتاحف - الفنادق
	عكاشة، بحيرة النوبة		
نهر النيل	البحر الأحمر، النقة والمصورات، المدينة الملكية، معبد الأسد، الأهرامات	الغزلان ، الأرانب ، الطيور ، الثعالب البرية	متحف ١ فندق ٦ نزل سياحية
النيل الأزرق	محمية الدندر ، جبال الأنقسنا ، خزان الروصيرص	النسانيس الحمر، القروذ البلدية، النعام ، دجاج الوادي، طائر الحبار، الأسود، الضباع، الجاموس، النمر الأفريقي	فندق + نزل
البحر الأحمر	سواكن، جزيرة سنجنيب، أركويت، قرية عروس، الشعب المرجانية	القطا، الحباري، ماعز الجبل، الغزال العادة، كباش مي	فنادق + محمية خليج دنقنا
الخرطوم	السياحة النيلية، المتاحف، آثار الطابية، بيت الخليفة، المنتزهات والحدائق.	الطيور المائية ، الغزلان	متاحف + فنادق

المصدر: التقرير الاستراتيجي الوطني ، مجلس الوزراء ، الخرطوم ، ٢٠٠٨.

٣- ٢ المنشآت السياحية:

يتكون العرض السياحي في أي دولة من (الموارد السياحية + البنيات الأساسية + رأس المال البشري + الطاقات الايوائية) ويجب على الدولة لتصبح مقصد سياحي مميز أن تعمل على توجيه الموارد لتعظيم حجم العرض السياحي وتوفير التسهيلات اللازمة وفقاً لإستراتيجية التنمية السياحية وتطوير المقاصد المعنية في الدولة. كانت معظم المنشآت السياحية (فنادق/ نزل سياحية/ مطاعم كبيرة) منذ بداية الحكم الوطني عقب الاستقلال مملوكة للدولة وتدار بواسطة (الهيئة

العامة للسياحة والفنادق) والتي تمت تصفيتها في برنامج التحرير الاقتصادي مطلع التسعينات من القرن العشرين وخصخصة المنشآت التابعة لها. تعاني البلاد من ضعف كبير في حجم المنشآت السياحية ونشوه في توزيعها الجغرافي كما يوضح الجدول رقم (٧).

جدول رقم (٧): المنشآت السياحية بالبلاد

الولاية	الفنادق	الوكالات والشركات السياحية	البصات السياحية والموانئ	المتاحف والمنتزهات	المطاعم والكافتريات
الخرطوم	٣٧	٣١٦	١١٧	٢١	٣٥
الجزيرة	٧	٢٥	-	-	١٧
كسلا	٧	٢١	-	-	-
النيل الأبيض	٥	٢١	-	-	٣٠
القضارف	٢	٣٩	-	-	١١
الشمالية	٢	٥	-	-	-
سنار	١	١٥	-	-	٦
نهر النيل	١	-	١	-	٩
النيل الأزرق	٢	-	-	-	١٠
جنوب دارفور	-	-	-	-	-
شمال دارفور	١	-	-	-	-
البحر الأحمر	٧	٢٩	-	-	١٩
شمال كردفان	٤	٧	-	-	-
جنوب كردفان	-	٢	-	-	-

الولاية	الفنادق	الوكالات والشركات السياحية	البصات السياحية والمواني	المتاحف والمنتزهات	المطاعم والكافتریات
غرب دارفور	-	٥	-	-	-
الجملة	٧٦	٤٨٥	١١٨	٢١	١٣٧

المصدر: التقرير الاستراتيجي الوطني، الأمانة العامة لمجلس الوزراء ، ٢٠٠٨
 إن معظم السياحة القادمة للبلاد إنما تستهدف موارد السياحة الثقافية- الآثار بشكل واضح- وتبدو المفارقة كبيرة ما بين الموارد وتركزها في أقاليم جغرافية معينة (الشمال) وتخصيص الطاقات الايوائية (القرى والنزل والسياحة) لأقاليم أخرى، فالخرطوم تستأثر -مثلاً- بمعظم المنشآت السياحية فتوجد بها ٤٨% من الفنادق بالبلاد و٦٥% من الوكالات والشركات السياحية، ونجد بالمقابل ضعف حجم المنشآت بالشمال - ولايتي نهر النيل والشمالية - حيث سجلت ٠,٣٩% من الفنادق بالبلاد و٠,٠١% من الوكالات والشركات السياحية. ولابد من الإشارة هنا إلي أن مثل هذا الوضع يقود لضعف حجم العرض السياحي وتدني الأهمية النسبية للبلاد كمقصد إقليمي للسياحة.

يستوعب القطاع السياحي بالبلاد (٢٣١٠٩) شخص وفقاً لإحصاءات وزارة السياحة والحياة البرية المنشورة في التقرير الاستراتيجي الوطني للعام ٢٠٠٨ وذلك على النحو التالي:

جدول رقم (٨): العمالة في القطاع السياحي بالبلاد

الولاية	إجمالي العاملين
الخرطوم	١٨٢٩٤
الجزيرة	١٢١٩
كسلا	٤٠٥
النيل الأبيض	٣٥٨
القضارف	٦٨
الشمالية	٣٥٧
سنار	١١٧
نهر النيل	١٩٧
النيل الأزرق	٧٢
جنوب دارفور	٧٠
شمال دارفور	١٧
البحر الأحمر	١٢١٢
شمال كردفان	٦٠
جنوب كردفان	١٢٤
غرب دارفور	٣٩
القطاع الرسمي	٥٠٠
الإجمالي	23109

وقد بدأت السياحة كاهتمام حكومي بالبلاد ما بين ١٩٥٩-١٩٦١م حيث تم تأسيس إدارة للسياحة بوزارة الاستعلامات وبدأت الرصد المنظم لحركة الأجانب بواسطة الشرطة وحصرهم في جميع المداخل (المطار/ الميناء/ المداخل البرية).

٣-٣ إحصاءات حركة السياحة للسودان:

منذ بداية تنظيم شؤون السياحة بالبلاد في ١٩٦٢م كانت السلطات تعتمد إحصاءات القادمين الأجانب (Arrivals) باعتبارهم سواحاً، ومعلوم أن هنالك فارقاً بين المقيم والسائح خاصة في نمط ومعدل الإنفاق ومدة الإقامة إلا أن وزارة

السياحة والحياة البرية قد اعتمدت نموذجاً للتفريق بين الأجنبي المقيم والسائح بل وأضافت الوطني المغترب وافترضت معدلاً معيناً لإنفاق كل وقد تم ذلك في ٢٠٠٨م . سنستعرض فيما يلي إحصاءات حركة السياحة وفقاً للمنهج القديم ثم نتبعه بالإحصاءات الحديثة .

سجلت حركة السياحة للسودان نمواً مطرداً منذ ١٩٦٢م وحتى ٢٠٠٨م بل قد شهدت السنوات ٢٠٠٥م وما بعدها زيادة واضحة في أعداد السواح القادمين للبلاد كما يوضح الجدول رقم (٩).

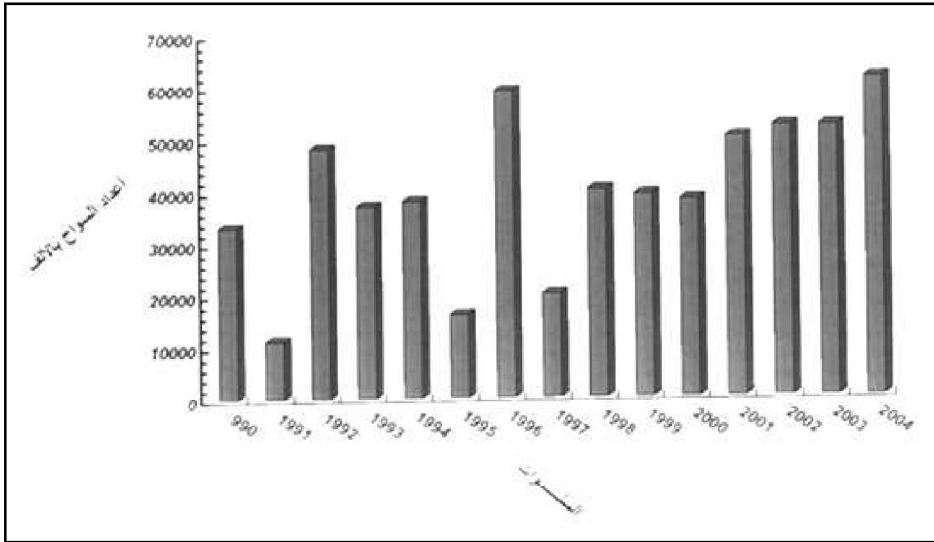
جدول رقم (٩): حركة السياحة الوافدة للبلاد ١٩٦٢-٢٠٠٨م

السنة/الحقبة الزمنية	متوسط / عدد السواح	معدل النمو السنوي
١٩٦٦-١٩٦٢	٨٠١١,٦	
١٩٧١-١٩٦٧م	٢٣٨٨٥,٦	١٩٨
١٩٧٦-١٩٧٢م	٣١٨٤٢,٢	٣٣
١٩٨٤-١٩٨٠م	٣١٩١٠,٧	٠,٢
١٩٩٤-١٩٩٠م	٣٣٤٠٠	٤
١٩٩٩-١٩٩٥م	٣٤٨٠٠	٤
٢٠٠٤-٢٠٠٠م	٥٠٦٠٠	٤٥
٢٠٠٥م	٢٤٦٠٠٠	٣٨٦
٢٠٠٦م	٣٢٨٠٠٠	٣٣
٢٠٠٧م	٣٤٦٠٠٠	٥
٢٠٠٨م	٤٤٠٠٠٠	٢٧

المصدر : إعداد الباحث من تقارير وزارة السياحة+ الجهاز المركزي للإحصاء .

يلاحظ من الجدول الزيادة الكلية لأعداد القادمين الأجانب خلال الفترة (١٩٦٢-١٩٧٧م) بمعدل نمو ١٩٨% وهو معدل لم تسجله الإحصاءات إلا في ٢٠٠٥م ويعزي ذلك لتأثر السياحة بالأوضاع الأمنية والسياسية في المقصد المعين ويبرز ذلك بوضوح في الانخفاض الكبير لإعداد السواح خلال الفترة (١٩٩٠-١٩٩٩م) حيث سجلت الإحصاءات نفس الأرقام التي زارت البلاد قبل عشرين عاماً (١٩٧٢-١٩٧٦م). ويؤكد الجدول (٩) أن السياحة نشاط إنساني له علاقة طردية بالاستقرار السياسي والاقتصادي في المقصد لذا سجلت السنوات (٢٠٠٥-٢٠٠٨م) معدلات عالية لحركة السياحة و قدوم الأجانب في تزامن مع بدء تطبيق اتفاقية السلام الشامل وتدفق الاستثمارات الأجنبية .

شكل بياني (١): تطور أعداد السواح ١٩٩٠م ٢٠٠٤



المصدر : التقرير الإستراتيجي الوطني (٢٠٠٨)

٣- ٤ السياحة والاقتصاد السوداني:

تعد الدولة مقصداً سياحياً عندما تكون الطاقة الحاملة بها (Carrying Capacity) قادرة على استيعاب إنفاق السياح، ويقصد بالطاقة الحاملة حجم

المنشآت السياحية واتساع نطاق السوق ومدى جاهزية مكونات العرض السياحي لاستقبال حركة الوافدين للبلاد.

وقد طورت منظمة السياحة العالمية نموذجاً لإحصاءات السياحة برصد كل إشكال إنفاق السائح وتتبع أثرها المضاعف في الاقتصاد الوطني . سنحاول في هذا القسم استعراض حجم ومساهمة المنشآت السياحية تحديداً الفنادق والمطاعم في الناتج المحلي الإجمالي ثم ندلف لتطبيق نموذج إنفاق السائح والذي اعتمدته وزارة السياحة والحياة البرية بالبلاد ٢٠٠٨م.

أ. مساهمة المنشآت السياحية في الناتج المحلي الإجمالي :

بدأ قطاع الفنادق والمطاعم في البلاد منذ الاستقلال بشكل أهلي - مع بعض الممتلكات الحكومية- ولكن تغيرت تركيبة الملكية بسرمان سياسات التأميم والمصادرة في ١٩٧٠م ثم تقنين ذلك بإنشاء (هيئة السياحة والفنادق) الحكومية المعنية بإدارة المنشآت السياحية في كل أنحاء البلاد، ومع بدء سياسة التحرير الاقتصادي في ١٩٩٢م تمت خصخصة الهيئة ومكوناتها وعادت هذه المنشآت ليكون القطاع الخاص هو المعني بتطويرها وتنميتها .

يبرز الجدول رقم (١٠) مساهمة قطاع الفنادق والمطاعم والتجارة في الناتج المحلي الإجمالي خلال الفترة (١٩٨٢/٨١-٢٠٠٣م). ويلاحظ أن مساهمة القطاع إتسمت بالتقلب وعدم الانتظام خلال الفترة المذكورة ولم تشهد نمواً مستمراً لمدة ثلاثة أعوام متصلة إلا في الأعوام ٢٠٠١م ، ٢٠٠٢م ، ٢٠٠٣م والتي سجل القطاع فيها ١٠,١٦% ، ١٠,٨% ، ١٠,٨٩% على التوالي. ومع هذا التقلب إلا أن مساهمة القطاع في الناتج المحلي الإجمالي تعد مقبولة خاصة عند مقارنتها بالقطاع الصناعي - أنظر جدول رقم (١) - وذلك يدل على قدرة القطاع وإمكاناته الكامنة لبناء طاقة حاملة تستند عليها حركة السياحة بالبلاد.

جدول رقم (١٠): مساهمة قطاع التجارة، الفنادق والمطاعم في الناتج المحلي الإجمالي للسنوات ١٩٨١-٢٠٠٨م (كنسبة مئوية)

السنة	التجارة الفنادق والمطاعم	السنة	التجارة الفنادق والمطاعم
١٩٨٢/٨١م	١٢,٩٦	١٩٩٦م	١١,١٢
١٩٨٣/٨٢م	١٣,٤٨	١٩٩٧م	١١,٨١
١٩٨٤/٨٣م	١٢,٠٦	١٩٩٨م	١٠,٨٨
١٩٨٥/٨٤م	١٣,٦٧	١٩٩٩م	١٠,٤٣
١٩٨٦/٨٥م	١٢,٢٧	٢٠٠٠م	٩,٨٦
١٩٨٧/٨٦م	١٧,٣٢	٢٠٠١م	١٠,١٦
١٩٨٨/٨٧م	١٦,٠٣	٢٠٠٢م	١٠,٨
١٩٨٩/٨٨م	١٤,٥٥	٢٠٠٣م	١٠,٨٩
١٩٩٠/٨٩م	١٣,٣٢	٢٠٠٤م	١٠,٤١
١٩٩١/٩٠م	١٢,٩٢	٢٠٠٥م	-
١٩٩٢/٩١م	١٧,٨١	٢٠٠٦م	١٤,٥
١٩٩٣/٩٢م	١٧,٣٠	٢٠٠٧م	١٤,٧
١٩٩٤/٩٣م	١٧,٨٨	٢٠٠٨م	١٤,٤
١٩٩٥/٩٤م	١٧,٨٨	---	---

المصدر : إعداد الباحث من تقارير الجهاز المركزي للإحصاء

تبنت وزارة السياحة والحياة في ٢٠٠٨م نموذجاً لإحصاء الوافدين وذلك

على النحو التالي:

يعتمد النموذج على إحصاءات السفر فقط.

حدد النموذج السواح بأنهم الأجانب القادمين بقصد السياحة مضافا إليهم المغتربين السودانيين القادمين لقضاء إجازاتهم (التقرير الاستراتيجي الوطني ٢٠٠٨م) ويتم الحصول على المعلومات كما يلي:

أ. القادمين: يتم إحصاء وحصر مباشر للأجانب القادمين عبر مطار الخرطوم والمنافذ الأخرى ثم طرح القادمين من الدبلوماسيين والعاملين في البلاد من الأجانب ويشكل الناتج عدد السواح.

ب. المغتربون: ترصد من تقارير جهاز العاملين بالخارج. من المؤكد أن كل السواح القادمين لا يدخلون عبر مطار الخرطوم فقط فهناك منافذ أخرى لكن القوم عبر مطار الخرطوم بشكل ٧٠% من حركة القادمين كما تؤكد مسوح واستبيانات الوزارة.

يخلص النموذج إلي أن العدد الكلي للسياح هو:

مجموع السواح : القادمون عبر مطار الخرطوم - العاملين الأجانب × ١٠٠

٧٠

حدد النموذج حساب إيرادات السياحة كما يلي:

الأجانب = عدد السواح الأجانب × ١٥٠ دولار (متوسط إنفاق اليوم) × ٨ أيام

المغتربون = عدد السواح الوطنيين × ٦٥ دولار (متوسط إنفاق اليوم) × ٢٠ يوم

تؤكد وزارة السياحة أن تحديد متوسط إنفاق اليوم للسائح الوطني والأجنبي تم بناءً على مسوح تفصيلية لمكونات إنفاق السائح ومجموعه، وان كنا قد اعتمدنا هذه الأرقام باعتبارها صادرة من جهة رسمية مختصة إلا أن التعميم فيما يخص الإنفاق غير دقيق؛ فالنمط الإنفاقي للسواح وفقاً لجنسياتهم متباين كما أن مكونات الإنفاق يتم فيها إحلال وإبدال بناءً على أولويات السائح ونمطه الإنفاقي.

أنبني النموذج على أن المبلغ الذي يتم حسابه كإيراد سياحي لا يدخل في خزينة الدولة وإنما يذهب مضاعفاً لدخول أفراد آخرين ينفقونه على حاجاتهم

ويدخرون جزءاً منه وهكذا حتى يأخذ دورته الكاملة حيث يتضاعف لعدة مرات حسب قيمة المضاعف

ووفقاً للنظرية الاقتصادية يتم حساب المضاعف بناءً على الميل الحدي للاستهلاك وهو التغير الذي يطرأ على الاستهلاك، نتيجة للتغير في الدخل

ويعرف بالمشتقة $\frac{dc}{dy}$ وتقوم الفكرة على ان أي دخل إضافي للفرد يذهب جزء منه إلي الاستهلاك والجزء الآخر للادخار، ولذا فان المعدل الحدي للاستهلاك دائماً ما يكون أكبر من الصفر و اقل من الواحد الصحيح، ومعادلة المضاعف الكنزي هي:-

$$K = \frac{1}{1-MPC}$$

حيث أن :

المضاعف = K

الميل الحدي للاستهلاك = MPC

وقد افترض النموذج الذي اعدته الوزارة ان:

$$MPC = 0.8$$

وعليه يصبح المضاعف:-

$$k = \frac{1}{1-MPC}$$

$$k = \frac{1}{1-0.8} = 5$$

أي انه لحساب مساهمة السياحة في الناتج المحلي الإجمالي يضرب المضاعف وهو ٥، وفقاً لنموذج الوزارة في الإيرادات السياحية وذلك بشرط أن تتم دورة هذا الإيراد خلال عام كامل¹.

لمزيد من التفاصيل انظر التقرير الاستراتيجي الوطني الأمانة العامة لمجلس الوزراء ٢٠١٠م¹

وقد لاحظ النموذج أن هنالك تسربات أخرى تخرج عن الاستهلاك حيث أن الدولة تفرض ضريبة دخل هي ١٠% إضافة للمبالغ التي تصرف على الاستيراد وقد قدرها النموذج بـ ٥% وعليه يكون التسرب ١٥% .

بنى النموذج، الذي اعتمده الوزارة، على افتراضات أساسية وهي :

أولاً:

إن مجموع التسربات التي تحذف من الدخل الكلي السياحة هي ٣٥% وهي عبارة

عن

٢٠% ادخار

١٠% ضريبة دخل

٥% استيراد

ثانياً:

إن كل دولار من الإنفاق السياحي يتولد منه حوالي ٣ دولار بعد إكمال دورته خلال العام، وأن خلق وظيفة جديدة واحدة في القطاع السياحي يحتاج إلي (١٠٠٠) دولار.

ثالثاً :

يعتمد الدخل الأولي للدولة في الميزانية على ضريبة القيمة المضافة، وهي

١٥% في السودان ، وعليه يصبح الدخل:

جملة الإيرادات السياحة × ١٥% وقد حاولت الوزارة تطبيق افتراضات النموذج

على إعداد السواح في ٢٠٠٨م وخلصت إلي ما يلي:2:

١. مساهمة السياحة في ميزانية الدولة

جملة الإيرادات السياحية × ١٥% = ن (ضريبة القيمة المضافة)

جملة الإيرادات السياحة في ٢٠٠٨م = ٥٤٨،٧٤٢

قيمة ن = ٨٢،٣١١ دولار

مساهمة السياحة في توظيف العمالة:

وبإخضاع المبلغ لمعادلة المضاعف نجد أن مساهمة السياحة في ميزانية الدولة هي

$$ن \times ٨٢،٣١١ \times ١٠٠ = ٢٣٥،١٧٤ \text{ دولار}$$

٣٥

هي الدولة ميزانية في السياحة يساهمة ن انفاق عن حج ل3 هي ار فئة

3

عدد الوظائف التي تنتج عن انفاق ك دولار هي 100

$$١٦٤٦ \text{ وظيفة} = ٣ \times ٥٧٨،٧٤٢$$

١٠٠٠

مع التأكيد على أن ما اعتمده وزارة السياحة والحياة البرية يشكل منطلقاً لحساب اقتصاديات السياحة في البلاد إلا أن هنالك عدداً من الملاحظات على النموذج:

يعتمد حساب السياحة الفرعي Tourism Satellite Account T SA ، الذي اعتمده منظمة السياحة العالمية منهجاً في قياس الآثار الاقتصادية في السياحة؛ على إنفاق السائح كعنصر أساسي تتبني عليه كل النتائج الأخرى - كالإيراد السياحي / والقيمة المضافة/ العمالة - ويتم تحديد الإنفاق وفقاً لمسوح تحدد مكونات الإنفاق للسائح وتوزيعها بالنسب والنمط الانفاقي وفقاً للجنسية، فالهيئة العليا للسياحة والآثار في المملكة العربية السعودية مثلاً اعتمدت حساب السياحة الفرعي وأكملت مطلوباته من مسوحات وتقديرات وخلصت لمعدل إنفاق السياحة حسب الغرض من الزيارة وبنود الأنفاق في ٢٠٠٢م - مثلاً - كما يوضح الجدول التالي:

جدول رقم (١١): معدل الإنفاق السياحي حسب الغرض من الزيارة وبنود الإنفاق في السعودية ٢٠٠٢م (مليون ريال سعودي)

الغرض من الزيارة	الإيواء	المأكولات والمشروبات	المواصلات	الترفيه	التسوق	أخرى	المجموع
معدل إنفاق السائح المحلي الترفيه / التسلية / لعطلات	٤,٢٦١	٤,٢٠٦	٢,١٧٨	٢,٩٢٥	٤,٦٠٢	٤٩٨	١٨,٦٨٠
التسوق	١١٩	٩٣	٥٨	٦٧	٤٨١	٥	٨٢٢
زيارة الأهل والأصدقاء	٧٠٤	٢,٠١٣	١,٥٣٠	١,٤٠٣	٢,٧٨٣	٥٣٢	٨,٩٦٤
التجارة	١,٠٧٥	١,٠٥٤	١,٠١٢	٣٨٨	٥,٠٤٤	٥٣٧	٩,١١١
أغراض بنينة	٢,٦١١	٢,٠٩٥	١,٣٩٠	٦٦٦	٢,٥٧٠	٢٠٤	٩,٥٣٦
أغراض صحية	١٥٠	١٢٧	٢١٦	٣٤	٢٧٥	٣٨١	١,١٨٢
أخرى	٢٨٩	٤٣٨	٣٧٦	٢٨٧	٨٢٩	٢١٠	٢,٤٢٠
مجموع إنفاق السائح المحلي	٩,٢٠٩	١٠,٠٢٥	٦,٧٦٨	٥,٧٧٠	١٦,٥٨٤	٢,٣٦٧	٥٠,٧٢٣
مجموع إنفاق السائح لقادم	٣,١٠٠	١,٨٠٠	١,٦٠٠	٦٠٠	٥,٢٠٠	٥٠٠	١٢,٨٠٠
المجموع الكلي	١٢,٣٠٩	١١,٨٢٥	٨,٣٦٨	٣,٣٧٠	٢١,٧٨٤	٢,٨٦٧	٦٣,٥٢٣
النسبة	١٩	١٩	١٣	١٠	٣٤	٥	١٠٠

المصدر: الناتج المحلي الإجمالي للسياحة في السعودية ، مطبوعات الهيئة العليا للسياحة والآثار، الرياض - ٢٠٠٣م

ويبرز الجدول نسب إنفاق السائح - محلي أو قادم بالتفصيل على أنماط الإنفاق المختلفة وذلك وفقاً لدوافع السياحة. أن مثل هذا العمل المبني على مسوحات

وتقارير ميدانية هو ما نفتقده في السودان وهو ما جعل تطبيق نموذج الوزارة قاصراً لأنه لم يكمل استخدام حساب السياحة الفرعي الموصى به عالمياً.

١. يفصل حساب السياحة الفرعي TSA أنواع السياحة للآتي:-

سياحة وافدة / سياحة مغادرة/ زوار اليوم الواحد/ الرحلات السياحية، ويرصد الإنفاق ومكوناته لكل نوع ليستخرج عدداً من المؤشرات المهمة وهي:-

(أ) الميزان السياحي: السياحة القادمة - السياحة المغادرة

GDP

(ب) الانفتاح السياحي = السياحة القادمة + السياحة المغادرة

GDP

إنفاق السياحة القادمة (ج) التغطية السياحة =

إنفاق السياحة المغادرة

ويلاحظ أن النموذج الذي اعتمده وزارة السياحة والحياة البرية لم يهتم بهذه المؤشرات لأنها تتطلب معلومات وإحصاءات تفصيلية ومسوح لم تتم، وبغياب هذه المؤشرات تصبح صورة الأثر الاقتصادي للسياحة في البلاد ناقصة وتنتظر الإكمال.

٢. يعتمد حساب الأثر الاقتصادي للسياحة على ما يسمى (القيمة المضافة للسياحة)

ويعني به قياس القيمة المضافة الناتجة عن نفقات السواح وفقاً لنمط الإنفاق - إيواء/ مأكولات ومشروبات/ ترفيهه/ مواصلات/ تسوق/ أحيي- وبغير تحديد إجمالي النفقات وفقاً لنمطها يتعذر تحديد القيمة المضافة وهذا ما لم يتطرق إليه النموذج.

٣. يعتمد تقدير حركة السياحة لدولة ما على تقدير دالة الطلب؛ وقد توسعت

الدراسات الحديثة في عدد المتغيرات المستقلة المحددة لحجم الطلب؛ ففي دراسة

(Naude & Saayman,2004) عن محددات الطلب على السياحة في

أفريقيا ذهب إلي أن المتغيرات المستقلة هي:

أ. دخل السائح . ب.أسعار المقاصد المنافسة. ت. تكلفة النقل
الجوي. ث. البنيات الأساسية. ج. الترويج. ح. الاستقرار السياسي. خ.
الأمان والطمأنينة.

إن مساهمة السياحة في خلق العمالة تحتاج لمزيد من الدرس والمسوح علماً
بان الوظيفة في القطاع السياحي لا يمكن وصفها بأنها سنوية ولكنها ترتبط بالمنشأة
وعمرها وقدرتها على التوظيف، أي لا يمكن القول بأن الوظائف تخلق سنوياً بهذا
العدد. رغماً عن هذه التحفظات فإننا نعتبر ما ورد في النموذج يمكن أن يصلح
كمؤشر وهادي على أن يستكمل بالمسوح التفضيلية والدراسات المعمقة.

مما سبق يتضح أن هنالك حركة، صحيح أنها قليلة ولكنها قابلة للزيادة
والتطوير واستغلال جميع الموارد السياحية وتحويلها لمقصد الأمر الذي يتيح
عائدات أكبر وتوزيع لمداخل النشاط السياحي على مجاميع كبيرة من المواطنين.

٤. الخاتمة:

استقصت هذه الدراسة أداء الاقتصاد السوداني وأهم ما يميزه وموقع
السياحة منه حيث تبين أن الاقتصاد السوداني يعاني خلاً هيكلياً ناتج من ضعف
القاعدة الإنتاجية وعدم تنويعها الأمر الذي يجعله عرضة لأي تقلبات واضطرابات
في الأسواق العالمية سيما وأن الصادرات الرئيسية للبلاد مواد أولية (كانت زراعية
ثم انتقلت للبتترول) كما أن اعتماد هيكل الصادرات على المواد الأولية جعل ميزان
المدفوعات يعاني من خلل مزمن للزيادة المطردة في حجم الواردات وقيمتها وتدني
قيم الصادرات (بما فيها البترول).

تقدم السياحة فرصة للاقتصاد السوداني لتنوع هيكله الإنتاجية التي طالما
ظلت أسيرة للمواد الأولية ؛ بل أن تنظيم برامج للسياحة الداخلية يتيح إعادة توزيع

الدخل بالبلاد ما بين الريف والحضر لاسيما وأن معظم الموارد السياحية تتركز بالريف الذي يحتاج لتدخلات تنموية واليات تضمن استدامة النمو.

إن السياحة في العالم والتي تسهم بحوالي ٣٠% من صادرات الخدمات أكدت أنها قطاع صاعد بقوة في حركة الاقتصاد العالمي واستطاعت الصمود في وجه الأزمات والتقلبات التي تعرض لها العالم وأبرزها الأزمة المالية ٢٠٠٨م وتعافي قطاع السياحة قبل غيره من القطاعات ليسجل في العام ٢٠١١م معدلات معقولة وتزيد حركة السياحة بحوالي ٤,٥% عن العام ٢٠١٠م (٢٠١١) *WTO*، إن قطاعاً بهذه الحيوية والتأثير يحتاج منا لوقفة وتخطيط ورؤى منهجية لتعظيم استفادة الاقتصاد السوداني منها خاصة وأن البلاد تزخر بموارد سياحية متعددة ومتباينة والتي لا يمكن استغلالها وإدماجها في حركة الاقتصاد الوطني بغير تحويلها لمقاصد سياحية ووضع الخطط والبرامج اللازمة لتطويره ولاسيما وأن موقعين أثريين بالبلاد قد تم تسجيلهما في قائمة التراث العالمي باليونسكو - هما موقع جبل البركل وموقع جزيرة مروى / الجراوية - هذا بالإضافة إلى جواذب الموارد الطبيعية التي تزخر بها البلاد .

قائمة المراجع:

(أ) المراجع العربية:

- أسامة الرفاعي ٢٠٠٢م: الاتجاهات الحديثة في السياحة، القاهرة.
- صلاح الدين عبد الوهاب ١٩٨٨م: تخطيط الموارد السياحية، مطابع دار الشعب، القاهرة.
- (محرر) ١٩٩٨م: الكتاب السنوي للسياحة والفنادق، الجمعية المصرية لخبراء السياحة العلميين، منشأة دار المعارف، الإسكندرية
- الطيب حياتي (محرر) ١٩٩٧م: السياحة في السودان، دراسات وتوصيات مؤتمر أركويت الثاني عشر ديسمبر ١٩٩٦م، مطبعة دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم.
- عبد الوهاب عثمان ٢٠٠١م: منهج الإصلاح الاقتصادي في السودان، مطابع السودان للعملة، الخرطوم
- نبيل الروبي ١٩٨٨م: نظرية السياحة، الجزء الأول، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية.

(ب) المراجع الإنجليزية:

- Ashley, C. 2002: "Sustainable tourism & Poverty Elimination study", a report to DID.
- Naude, W. & Saayman , A. 2004: "The determinants of Tourist Arrivals in Africa : A Panel data regression analysis," Paper Prepared for the International Conference, 2004.
- UNWTO 2010: World Tourism Bulletin

(ج) تقارير ودوريات ونشرات:

- التقرير الاستراتيجي الوطني ٢٠٠٨م: الأمانة العامة لمجلس الوزراء، مطابع السودان للعملة، الخرطوم.
- الجهاز المركزي للإحصاء ٢٠٠٣م: الكتاب الإحصائي السنوي ، الخرطوم.
- وزارة المالية، العرض الاقتصادي، الخرطوم.

نتائج الموسم الأول للمسح الأثري (٢٠١٠-٢٠١١م) في منطقة الفليج بولاية صحم (سلطنة عمان)

ناصر سعيد الجهوري

وليد سلطان المزييني

نعمة محمد الأغبري

مقدمة:

إن آثار منطقة الفليج لم يتم تسليط الضوء عليها تماماً ، حيث لم تخضع لأي دراسات أثرية سابقة، باستثناء توثيق مُختصر أُجري عام ٢٠٠٩م لجزء بسيط من الموقع بين المنطقة D والمنطقة E من المسح، والذي أُطلق عليه موقع القُصير من قبل دائرة التنقيب والدراسات الأثرية بوزارة التراث والثقافة، فقد شمل التوثيق أخذ إحدائيات لبعض الشواهد الأثرية. كما أن الموقع تعرض، و لا يزال، للتدمير والتجريف بسبب الزحف التنموي والنمو السكاني الذي تشهده المنطقة (انظر المهددات لاحقاً). من هنا كان لابد من العمل على توثيق وتسجيل كل الشواهد الأثرية في المنطقة توثيقاً وتسجيلاً كاملاً باستخدام تقنيات المسح المختلفة والحديثة، بالطريقة التي تساعدنا على فهم نمط الاستيطان الذي حدث في المنطقة، والتطورات والتغيرات التي رافقت هذا الاستيطان عبر الزمن، وأيضاً التعرف على المهددات البشرية والطبيعية المختلفة التي تتعرض لها الشواهد الأثرية من أجل حماية ما تبقى منها وصونها وحفظها في السجل الأثري العماني. ومن ثم العمل على تفسير هذه الشواهد والمواد الأثرية المكتشفة منها في ضوء ما تم اكتشافه من شواهد و مواد أثرية من مواقع أخرى ضمن نفس الحيز الجغرافي الذي تقع فيه آثار منطقة الفليج كمنطقة دهوى التي تضم عدداً من مواقع فترتي حفيت وأم النار. ومن المؤمل أن تساعد نتائج هذا العمل على إعطاء صورة عن نمط الاستيطان في

واحدة من مناطق سهل الباطنة الذي لعبت فيه عوامل التجوية والترسيب، خصوصاً المواقع القريبة من الساحل، دوراً هاماً في طمس وإزالة الكثير من المواقع الأثرية، وبالتالي غياب الكثير من المعلومات التي تساعدنا على فهم وتفسير تاريخ ونمط الاستيطان في هذه السهل الغريني مقارنة بالمناطق الأخرى التي، نوعاً ما، كُشف فيها عن شواهد أثرية أكثر حفظاً وأكثر كثافةً، كما هو الحال على سبيل المثال في محافظات الشرقية والداخلية والظاهرة (قارن - Al-Jahwari 2008, pp 208-263)، وذلك ربما يعود إلى أن ظروف الحفظ الطبيعية أكثر ملائمة في مثل هذه المناطق التي تتميز بالمرتفعات والمناطق الجبلية والسهلية، بينما مواقع الساحل فهي أكثر عرضة لعوامل التجوية والتعرية والترسيب.

إن ما تم الكشف عنه أثناء المسح في منطقة الفليج رغم أنه يساعدنا على فهم نمط الاستيطان في هذه المنطقة إلا أنه لا يزال هناك بعض الغموض الذي يكتنف تفسير بعض الشواهد الأثرية من فترات معينة، وغياب الدليل الأثري من فترات أخرى، مما يدفعنا إلى طرح بعض التساؤلات حول ماهية النشاط الاستيطاني الذي كان سائداً في الفليج منذ على الأقل العصر الحجري المتأخر إلى الفترات الإسلامية. إن الإجابة على مثل هذه التساؤلات في الوقت الراهن ستكون مؤقتة وفرضية بناءً على ما تم الكشف عنه إلى الآن، وهذا بطبيعة الحال يفرض علينا إجراء المزيد من البحث والتقصي في هذه المنطقة، وهذا ما سيتم خلال المواسم القادمة. إن الهدف الأساسي من هذه الورقة هو إلقاء الضوء على المكتشفات التي تم توثيقها في منطقة الفليج، ومحاولة إعطاء تفسيرات أولية لها.

كانت الزيارة الأولى للموقع في عام ٢٠٠٨م حيث أتضح غنى هذه المنطقة بالشواهد الأثرية التي هي عرضة للزوال بسبب عوامل التجوية والظروف البيئية، إضافةً إلى عوامل التهديد البشرية ومنها شق الطرق وبناء المساكن، والتي سنتحدث عنها بشيء من التفصيل لاحقاً. لوحظ أثناء هذه الزيارة وجود عدد كبير من قبور

عصور ما قبل التاريخ في مناطق وارتفاعات وحالات حفظ مختلفة، إضافة إلى بقايا النشاطات سكنية وصناعية وحرفية. كما سمحت الزيارة بالتعرف على طوبغرافية المنطقة وحدودها، وانتشار الشواهد الأثرية فيها، وبالتالي ساعدت على وضع المنهجية المناسبة للمسح.

إن حالة الشواهد الأثرية في منطقة الفليج بولاية صحم والظروف التي تحيط بها، علاوة على تنوع ما تم ملاحظته من شواهد أثرية، حتم ضرورة العمل على توثيقها وتسجيلها، بطريقة تساعد على حفظها وتفسيرها وتسجيلها ضمن السجل الأثري للسلطنة، مما سيساعد على فهمنا لتاريخ الاستيطان في المنطقة. من هنا تم إجراء مسح أثري أولي في منطقة الفليج أثناء زيارات ميدانية قصيرة في الفترة الممتدة من ٢٠١٠/١٠/٥م إلى ٢٠١١/٤/٢٨م لمعرفة الأهمية الأثرية لهذا الجزء الداخلي من سهل الباطنة الساحلي، ودوره في تعزيز فهمنا لتاريخ الاستيطان الذي حدث عبر الزمن، ومن هنا ستعرض هذه الورقة النتائج الأولية لهذا المسح.

الموقع والحيز الجغرافي:

تتبع قرية الفليج في التقسيم الإداري ولاية صحم بمحافظة شمال الباطنة (الشكل ١)، وتقع تحديداً في الجهة الغربية من مركز الولاية الساحلي، حيث تبعد الفليج عن الساحل بحوالي ١٥ كيلومتر، وهي مسافة ليست بالبعيدة، الأمر الذي سهل على سكانها التنقل ما بين الساحل والداخل والتواصل مع سكان الساحل. تُعتبر هذه القرية واحدة من أكبر القرى في صحم، وتُحيط بها مجموعة من القرى الأخرى مثل دهوى، والروضة، والجدعة، والثقاب، والمهاب، وتسكنها حالياً مجموعة من القبائل أهمها البوسعيد، والحرث، والعميريين، وقد شهدت القرية خلال السنوات الماضية نزوح أعداد كبيرة من أهلها إلى المناطق الساحلية وذلك نظراً لتوافر الخدمات أو بحثاً عن العمل تلبيةً لمتطلبات الحياة العصرية.

تتميز القرية بموقع فريد، حيث تتوزع مراكز الاستيطان القديمة والحديثة فيها على منطقة سهلية واسعة تحيط بها السلاسل الجبلية التي تعتبر امتداداً لسلسلة جبال الحجر الغربي، والهضاب الصخرية والحصوية (الشكل ٢). وقد ساعدت جيولوجية المنطقة غير الوعرة في أغلب الأحيان، بما فيها من تضاريس على جعل المنطقة مركز جذب للاستيطان عبر الفترات الزمنية المختلفة، وهذا ما تؤكدته الشواهد الأثرية التي تم الكشف عنها في القرية والمنطقة المجاورة لها، حيث استغل السكان إمكانات البيئة المحيطة بهم في تحسين ظروف معيشتهم فصنعوا الأدوات من الحجارة، كما قاموا بقطعها من أجل بناء القبور والمستوطنات بحسب ما يشير إليه الدليل الأثري المكتشف من الموقع، والذي سيتم الحديث عنه لاحقاً.

١. الإطار الجغرافي والجيولوجي لمنطقة الدراسة (قرية الضليج) .

١ - ٢. مهددات الموقع الأثري .

١ - ٣. منهجية الدراسة .

يخترق القرية عدة أودية أهمها وادي المحموم ووادي السخن وغيرها، والتي وفرت لسكان هذه القرية المياه اللازمة لقيام الاستيطان فيها عبر الزمن. ويشير الدليل الأثري إلى أن السكان عبر العصور استغلوا الموارد المائية في القرية فقاموا باستصلاح الأراضي الزراعية، التي يستدل عليها من بقايا المصاطب الزراعية التي تعرف محلياً باسم الظفر، كما قاموا بشق الأفلاج من أجل تسهيل عملية وصول المياه إلى الأراضي الزراعية ، ومن أشهر أفلاج القرية فلج الفليج الذي سميت القرية باسمه، إضافةً إلى الآبار لاستغلال المياه الجوفية. كما أن موسم سقوط الأمطار الغزيرة في بعض الأحيان أدى إلى جريان هذه الأودية، ومن ثم توافرت المياه السطحية وشبه السطحية. يقوم السكان حالياً بزراعة أشجار النخيل، إضافةً إلى أنواع أخرى من المزروعات أهمها القمح والشعير خلال فصل الصيف، وتُسمى هذه المزروعات "زراعة الصيف". أما عن الحياة البرية فتنتشر في القرية

وحولها مجموعة من الأشجار مثل شجر السدر والسمر والغاف ونباتات الحنظل، والحرمل، والجعد وغيرها. كما مارس السكان حرفة الرعي إلى جانب الزراعة، ومازالت هذه الحرفة قائمة في القرية إلى وقتنا الحاضر حيث يُربي السكان الأغنام والماعز والضأن إلى جانب الأبقار والإبل، ويستفيد سكان القرية من الثروة الحيوانية في الحصول على الغذاء أو المتاجرة والمقايضة بها مع غيرهم من السكان في المناطق المجاورة وكذلك مع مناطق الساحل.

مهددات الموقع:

كشفت الزيارة الأولية للموقع عن حجم الضرر الذي تعرضت له الشواهد الأثرية في منطقة الفلج بسبب الكثير من المهددات والعوامل البشرية والطبيعية، فإذا ما نظرنا إلى العوامل البشرية التي تُهدد آثار الفلج فإنه يُمكن حصرها في عملية نقل حجارة المباني أو القبور القديمة واستخدامها في البناء أو في بعض الأحيان استخدام بقايا حُفر المقابر كأماكن لحفظ صغار الماعز من قبل سكان القرية الذين يمارسون الرعي، إضافةً إلى استخدامها كأبراج مراقبة. وأخيراً أحدثت التنمية في المنطقة تغييرات جذرية على الشواهد الأثرية، حيث أدت إلى زوالها أو تدمير جزء منها، وينطبق هذا الأمر على إنشاء الطرق الداخلية وبناء المساكن وخطوط الأعمدة الكهربائية، ووضع علامات فوق القبور لتحديد ملكيات الأراضي إما من قبل السكان أنفسهم أو من قبل وزارة الإسكان (الشكل ٣)، إضافةً إلى استغلال أجزاء من المنطقة كمحاجر لاقتلاع الحجارة ونقل التربة. أما عن المهددات الطبيعية في الموقع فقد لوحظ أن الأودية التي تمر بالموقع عند حدوث الأمطار عملت على نحت وتعرية بعض الشواهد الأثرية، فبعض القبور في الموقع تعرضت للتدمير بسبب مياه الأمطار، وذلك لوقوعها بالقرب من مجاري الأودية، إضافةً إلى تعرض بعض اللقى الأثرية المتناثرة على السطح كالفخار وبقايا الأصداف إلى عملية النقل من مواضعها الأصلية وتعرض البعض منها للتحطم

والنحت بسبب حركتها مع المياه كما في المنطقتين (E ، C) اللتان كانتا أكثر تضرراً بسبب مرور الوادي على حوافهما وتدمير جزء منهما.
تاريخ البحث الأثري في الموقع:

في الثمانينات من القرن العشرين أجرى باولو كوستا مسحاً لأهم الأسوار والتحصينات الدفاعية التي تقع في المنطقة الساحلية من سهل الباطنة، وسجل ١٠ مواقع في صحم أطلق عليها الأسوار من ٦٠ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٥ إلى ٦٩ و ٨٣ (Costa 1985,pp.109-210)، وأرخت جميعها للفترات الإسلامية المتأخرة والحديثة. وفي السبعينيات من القرن العشرين أيضاً زارت بعثة جامعة هارفرد الأمريكية المنطقة الداخلية من صحم، وتحديداً وادي بني عمر الغربي، وسجلت عدداً من مواقع المستوطنات الداخلية التي تعود إلى الفترات الساسانية والإسلامية المبكرة والمتأخرة والحديثة (Costa, P. M. & Wilkinson 1987,p. 213). وفي عام ١٩٧٢ عثرت البعثة الأثرية الألمانية على مستوطنة ساحلية في صحم من العصر الحديدي وفترة سمد (Yule 2001,p. 399).

وكما ذكرنا آنفاً فإنه في عام ٢٠٠٩م قامت دائرة التنقيب والدراسات الأثرية التابعة لوزارة التراث والثقافة بولاية صحار بمسح موقع القُصير المُجاور لموقع الفُليج، حيث تم إجراء توثيق مبدئي للشواهد الأثرية في المنطقة، وذلك لتعرض عدد كبيرٍ من هذه الشواهد للتدمير والتخريب بسبب عمليات استخراج الرخام في المنطقة، هذا وتضمن المسح توثيق جزء من القبور في المنطقة (D) من موقع الفُليج، حيث تم اخذ إحدائيات تلك القبور وتسجيلها في سجلات الوزارة، كما قامت الدائرة بتسجيل بعض اللقى الأثرية، ومنها عدد من الكسر الفخارية، والتي تم العثور عليها أثناء عمليات تمديد أنابيب المياه بجانب الشارع العام المؤدي إلى موقع الفُليج (المنطقة الصناعية).

في عام ٢٠١٠م تم بالصدفة العثور على عددٍ من اللقى الأثرية تتضمن جراراً وأواني فخارية ومعنوية وأسلحة معدنية ربما تعود إلى الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد، وذلك في مزرعة لأحد المواطنين من قرية خور الحمام على ساحل ولاية صحم، حيث قامت وزارة التراث والثقافة بالتقيب في الموقع وتوثيقه (عبد الله الجهوري ٢٠١٠).

منهجية العمل في الموقع:

يمكن تقسيم منهجية العمل إلى خمس مراحل:

١- مرحلة جمع البيانات والمعلومات التاريخية والجغرافية عن الموقع من المصادر المختلفة، خصوصاً الشفهية منها من خلال مقابلات مع سكان المنطقة.

٢- مرحلة العمل الميداني من خلال الزيارات المبدئية للموقع، والمسح الأثري، والتوثيق للشواهد الأثرية، وجمع البيانات الخاصة بها.

٣- مرحلة العمل المخبري والمكتبي، والذي يتضمن معالجة البيانات باستخدام برامج الحاسوب المختلفة، والرسم والتصوير لقطع الأثرية.

٤- مرحلة استخراج المعلومات الإحصائية أو الكمية من خلال قاعدة البيانات المُعدة لهذا الغرض.

٥- مرحلة التفسير والتحليل الكمي والكيفي.

هدفت المرحلة الأولى إلى التعرف على الأدبيات المنشورة وغير المنشورة عن المنطقة، والتي تتناول بعض المعلومات التاريخية والأثرية والجغرافية، إضافةً إلى المعلومات الإثنوغرافية التي تم التوصل إليها من خلال المقابلات مع السكان المقيمين بالمنطقة، وهذا بطبيعة الحال يمكن أن يساعد على فهمنا لنمط الاستيطان، والممارسات السكانية الحديثة، ومقارنتها بالدليل الأثري المتوافر بين أيدينا، وبالتالي تفسير وتحليل هذا الدليل.

بينما هدفت المرحلة الثانية إلى إجراء الزيارات والأعمال الميدانية المرتبطة بالمعاينة والمسح والتنقيب، والتي تم تنفيذ الموسم الأول منها، وما زال العمل مستمراً في هذه المرحلة، حيث ستتضمن إجراء مزيد من المسوحات المكثفة، والتنقيبات المحتملة في بعض من الشواهد الأثرية التي تحتاج إلى توثيق سريع وعاجل أو تلك التي يمكن أن تقدم معلومات هامة عن تاريخ وأنشطة الاستيطان في الموقع. وتضمن الموسم الأول، الذي ستناقش هذه الورقة نتائجه، إجراء سلسلة من الزيارات المبدئية القصيرة لتحديد الإطار الجغرافي للمنطقة الأثرية ومُحيطها، والتعرف على طوبوغرافيتها واللاندسكيب الذي تمثله، والتعرف على حالة وتوزيع وكثافة الشواهد الأثرية، وبالتالي تحديد آلية ومنهجية المسح التي تتناسب مع طبيعة الموقع والشواهد الأثرية فيه، ومن ثم توثيقها وتسجيلها. كانت أول زيارة للموقع في يونيو ٢٠٠٣م حيث تم فيها الكشف لأول مرة عن الموقع، إلا أنه لم يتم إجراء أي مسح آنذاك بل معاينة لأجزاء من الموقع، وفي ديسمبر ٢٠٠٨م أجريت زيارة أخرى سريعة لمعاينة الشواهد الأثرية وتوزيعها وحالتها وتم فيها إجراء مسح سريع لبعض المناطق بالموقع وتبين أنها تضم عدداً من الشواهد الأثرية من بينها قبور الركامات الحجرية من فترة حفيت، وقبور فترة أم النار، إضافةً إلى تناثرات سطحية لبعض الكسر الفخارية من فترات مختلفة منها أم النار، والعصر الحديدي، والفترات الإسلامية الوسيطة والمتأخرة والحديثة.

بعد هذه الزيارات المبدئية القصيرة للموقع تم إجراء المسح الأثري الأولي للموقع والمنطقة المحيطة به في الفترة الممتدة من أكتوبر ٢٠١٠م إلى إبريل ٢٠١١م بهدف توثيق الشواهد الأثرية المختلفة مما سيساعد على إعداد خارطة يتم فيها توزيع هذه الشواهد حسب النوع والفترة الزمنية التي تنسب إليها، ومن ثم التعرف على نمط وتاريخ الاستيطان والأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والممارسات الدفنية المترافقة معها. نتج عن هذا المسح تقسيم الموقع إلى ست

مناطق أثرية (A, B, C, D, E, F) سيتم لاحقاً الحديث عن محتواها الأثري (الشكل ٤). واعتمد هذا التقسيم على الحدود الجغرافية الطبيعية كالهضاب والتلال والأودية التي تتوزع وتنتشر عليها الشواهد الأثرية في موقع الفلج، حيث كان لابد من إجراء هذا التقسيم بسبب الامتداد الواسع للموقع، فبالنظر إلى مساحته سيساعد هذا التقسيم على تسهيل عملية المسح أثناء توثيق الشواهد الأثرية الكثيرة في الموقع.

اعتمدت المنهجية التي تم إتباعها في مسح وتوثيق الشواهد واللقى الأثرية أولاً على المسح العام للموقع باستخدام السيارة، وذلك للتعرف على أهم الشواهد الأثرية وتوزيعها، خصوصاً تلك البارزة على السطح، ومن ثم تحديد أهم المناطق أو المواقع الأثرية التي سيتم من خلالها إجراء المسح سيراً على الأقدام، خصوصاً تلك التي تقع في مناطق ذات ملامح تضاريسية يصعب الوصول إليها، ولخاصية التوزيع الرأسي والأفقي للمواد المنتشرة على الموقع، والتي تُحتم استخدام هذه الطريقة للوصول إلى جميع الشواهد الأثرية المنتشرة في المنطقة، بحيث تكون نسبة فقدان أي ملمح أثري قليلة. وقد أتبعنا طريقة المسح المتموج لمسح المنطقة سواء في المسح باستخدام السيارة أو سيراً على الأقدام، إضافةً إلى توثيق كل ما تم مشاهدته على سطح الموقع عن طريق أخذ إحدائيات لكل ملمح أثري، بغض النظر عن حجمه وكثافته وامتداده الأفقي أو الرأسي، وقياساته وارتفاعاته ووصف كامل له وتوثيقه بالرسم والتصوير، إضافةً إلى التقاط بعض العينات العشوائية من المواد السطحية ككسر الفخار وغيرها، بهدف معرفة التسلسل الزمني لها مما سيساعد على تحديد الفترات الزمنية التي تعاقبت على الموقع، والتعرف على كثافة الاستيطان فيه.

أما المرحلة الثالثة من العمل فتضمنت إدخال البيانات التي تم تسجيلها أثناء المسح الميداني، خصوصاً الإحدائيات التي أخذت بجهاز الجي بي أس (GPS)، والعمل على معالجتها باستخدام بعض برامج الحاسوب كالأكسل والأكسس

والفوتوشوب وجلوبال ماب وجوجل إيرث مما سيساعد على عمل خرائط تضم أهم الشواهد الأثرية وتوزيعها، ورسم بعض المخططات لعينات من الشواهد الأثرية. كما شملت هذه المرحلة العمل على رسم وتصوير بعض القطع الأثرية كالفخار.

في حين تضمنت المرحلة الرابعة العمل على تصميم قاعدة بيانات تضم كل الشواهد الأثرية، خصوصاً القبور، حيث تم تصميمها عن طريق برنامج الأكسس، وضمت عدداً من الحقول التي تحوي بيانات عن الشواهد الأثرية مثل أرقام الشواهد الأثرية، والمنطقة الأثرية التي توجد فيها، إضافة إلى الإحداثيات، ووصف عام للشواهد الأثرية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه القاعدة لا تزال غير مكتملة حيث سيتم تكملتها بشكلها النهائي بعد الانتهاء من كافة مراحل المسح الأثري في الموقع، وبعد ذلك سيتم استخراج البيانات الإحصائية وتحليلها وتفسيرها. أما المرحلة الأخيرة من العمل فقد شملت تفسير المادة الأثرية وتحليلها كما وكيفاً.

مكونات الموقع الأثرية:

يتكون موقع الفليج من عدد من الشواهد الأثرية التي تتوزع على المناطق الست (الشكل ٤) التي تم تخصيصها بهدف إجراء هذا المسح الأثري، وشملت هذه الشواهد بقايا تمثل فترات زمنية مختلفة (الشكل ٥) ربما يعود أقدمها إلى فترة العصر الحجري المتأخر والتي هي ممثلة بتناثرات سطحية لأدوات وبقايا أدوات صوانية كما هو الحال في المنطقة (A)، وحقول قبور ركامية وعلى هيئة خلية نحل من فترة حفيت (حوالي ٣٤٠٠-٢٥٠٠ ق.م)، وبقايا مستوطنات سكنية وقبور من فترة أم النار (٢٥٠٠-٢٠٠٠ ق.م)، وقبور تعود إلى العصر الحديدي (١٣٠٠-٣٠٠ ق.م)، وبقايا مستوطنات وقبور وتناثرات فخار ومباني ذات وظائف أخرى من الفترات الإسلامية.

وتتوزع هذه الشواهد الأثرية على المناطق الست، وذلك على النحو الآتي:

أولاً : المنطقة (A):

تقع في الجهة الشمالية الشرقية من قرية الفليج الحالية (الشكل ٤)، وهي عبارة عن منطقة جبلية مرتفعة وتضم عدداً من قبور الركامات الحجرية (الأشكال ٥ و ٦) التي تعود إلى فترة حفيت (حوالي ٣٤٠٠-٢٥٠٠ ق.م)، حيث تم توثيق حوالي ١٦٤ قبراً، بُنيت كلها على شكل ركامات حجرية من حجارة الجابرو والحجر الجيري غير المشذبة والمتوافرة في قاع الأودية ومصاطبها وضافها، وتم إنشاء هذه القبور على مناطق مستوية منخفضة نوعاً ما فوق الهضبة الصخرية مما جعلها عرضة للنهب والتخريب المتواصل. كما عثر في هذه المنطقة على قبور تميل نوعاً ما في شكلها إلى شكل قبور قرص العسل من العصر الحديدي، حيث تضم مجموعة من غرف الدفن يصل أقصى عدد لها إلى ست غرف ثلاث منها ترتبط بها غرفة دفن جانبية صغيرة من الجهة الشرقية.

ثانياً : المنطقة (B) :

تقع أيضاً في الجهة الشمالية الشرقية من قرية الفليج (الشكل ٤)، وشمال المنطقة (A)، وهي عبارة عن منطقة مستوية تضم عدداً من الشواهد الأثرية (الشكل ٥) ومنها حوالي ٢٥٣ قبراً من قبور فترة حفيت ذات الركامات الحجرية، وتأخذ نفس الخصائص المعمارية لتلك المكتشفة في المنطقة (A) (الشكل ٧). كما عثر أيضاً على ثمانية قبور إسلامية، ومستوطنة تعود للفترات الإسلامية، وتنتشر في الجهة الشرقية من المنطقة بين المستوطنة والقبور بعض التناثرات السطحية لأصداف بحرية (الشكل ٨). كما تنتشر في هذه المستوطنة كميات كبيرة من بقايا خبث النحاس وبعض الفخار المختلط بخبث النحاس (الشكل ٩) وبعض قوالب الطين المحروق، والذي يضم طبقات اليد أو الكف (الشكل ١٠)، وبقايا أدوات حجرية كالمطارق. كما عثر على بناء مربع ذو أساسات حجرية يبلغ قطره ٢٥م (الشكل ١١) يوجد فيه القليل من الكسر الفخارية التي تعود لفترة أم النار والفترات

الإسلامية. حيث تنتشر الكسر الفخارية التي تعود إلى الفترات الإسلامية بكميات كبيرة في الجهة الشرقية من المنطقة بين الشواهد الأثرية وأحياناً في داخل الشواهد وفي المستوطنة ونادراً ما توجد في الجهة الغربية من المنطقة .

تم في هذه المنطقة الكشف عن بقايا أساسات حجرية تعود إلى فترة أم النار معظمها غير مكتمل بسبب تعرضها لعمليات إعادة الاستخدام خلال الفترات اللاحقة، ويبرز قبرين على أحد جدران هذه الأساسات مما يقترح إلى أنهما ربما بُنيا في فترة لاحقة عن بناء الجدران. وخلال زيارة قامت بها آن مورتيمر (Anne Mortimer) وشارلوت كابل (Charlotte Cable) من البعثة الأمريكية العاملة في بات في ٢٠١١م، فقد رجحنا أن يعود القبرين إلى فترة وادي سوق اعتماداً على خصائصهما المعمارية. كما أشارتا إلى احتمال وجود بقايا لبناء بُرجي من فترة أم النار بني في نفس الموقع، وذلك اعتماداً على وجود تلة صغيرة تظهر عليها بقايا حجارة جيرية كبيرة الحجم ومقطوعة على هيئة مستطيل.

تجدر الإشارة إلى أنه تم أيضاً في هذه المنطقة العثور على مستوطنة لصهر النحاس حيث عثر على بقايا فرن للصهر مبني من الطين ويأخذ الشكل الدائري. ويلاحظ أن طبيعة الأرض الطينية في موقع المستوطنة تختلف عن بقية الأماكن في المنطقة، ومن هنا فبالإضافة إلى طبيعة الأرض الطينية وقرب المستوطنة من المياه التي ربما توافرت موسمياً في مجرى الوادي القريب منها لمسافة لا تزيد عن خمسة أمتار ووجود الفلج الممتد بمحاذاتها فإن هذا ربما كان سبباً لاختيار هذا الموقع ليكون مستوطنة لعمليات صهر النحاس.

ثالثاً : المنطقة (C) :

تقع هذه المنطقة إلى الشمال الشرقي من قرية الفليج (الشكل ٤)، وهي عبارة عن منطقة جبلية مرتفعة، وتضم عدداً من الشواهد الأثرية (الشكل ٥)، ومن بينها ٣٣٤ قبراً ربما يعود تاريخ بعضها إلى فترة أم النار (الشكل ١٢) وذلك بناءً

على شكلها المعماري والكسر الفخارية المنتثرة على سطحها وبين أنقاضها (الشكل ١٣). فهذه القبور دائرية الشكل ومبنية من حجارة الحجر الجيري المشدبة نوعاً ما، والتي تشبه قطع السكر، ويبلغ قطرها ما بين ١,٥ - ٣ أمتار، وحالة حفظ هذه القبور سيئة ولم يبق منها ما يساعد على التعرف عليها سوى القاعدة الدائرية المنخفضة المبنية من الحجر الجيري. كما تم ملاحظة بقايا مقالع يتم من خلالها قطع الحجر الجيري المستخدم في بناء القبور وربما المستوطنات السكنية.

رابعاً: المنطقة (D) :

هي ثاني أكبر المناطق الأثرية مساحةً وامتداداً بعد المنطقة (F)، وتقع إلى الشمال من قرية الفليج (الشكل ٤) والمناطق (A, B, C)، وتتميز بكونها منطقتين جبليتين مرتفعتين في جزء منها ومستوية منخفضة في جزء آخر، وتضم عدداً من الشواهد الأثرية (الشكل ٥)، ومنها القبور التي من خلال شكلها المعماري يمكن أن تعود لفترة أم النار (الشكل ١٤). وهناك مجموعة من القبور ربما تعود لفترة وادي سوق (الشكل ١٥) وهي دائرية الشكل يتراوح قطر بعضها ما بين ١ م إلى ١,٥٠ م، وتتميز بوجود حلقتين دائريتين من الحجارة شبيهة بتلك التي تم العثور عليها في موقع بوشر بمحافظة مسقط (ناصر الجهوري وعلي التجاني الماحي ٢٠٠٧م، محمد علي البلوشي وعلي التجاني الماحي ٢٠٠٩م). كما عثر في هذه المنطقة على بقايا مستوطنة إسلامية عبارة عن بقايا أساسات حجرية وأراضي زراعية إضافة إلى تناثرات لكسر فخارية إسلامية، وقلعة مبنية من الطين والصاروج ربما تعود إلى الفترات الإسلامية المتأخرة أو الحديثة وذلك بناءً على الكسر الفخارية المنتثرة بين أنقاض القلعة والمنطقة المحيطة، خصوصاً الجهة الجنوبية منها، وترتبط ببقايا فلج ومصاطب زراعية (الظفر)، إضافة لعدد من المباني مختلفة الحجم والشكل. كما تم العثور على بقايا خبث النحاس في الجهة الشمالية الغربية من الموقع، وتناثرات سطحية تنتشر في المنطقة وهي عبارة عن

عدد كبير من الكسر الفخارية التي تعود لفترات زمنية مختلفة مثل أم النار (الشكل ١٦) والعصر الحديدي والفترات الإسلامية، إضافة إلى قطع لما يمكن أن يكون أدوات صوانية (الشكل ١٧). كما تم ملاحظة بقايا مقالع أو مناطق يتم من خلالها قطع الحجر الجيري المستخدم في بناء القبور وربما المستوطنات السكنية.

خامساً : المنطقة (E) :

تقع هذه المنطقة في أقصى الشمال من قرية الفليج والمناطق الأخرى سابقة الذكر (الشكل ٤)، وهي عبارة عن منطقة مستوية منخفضة في بعض أجزائها ومرتفعة في أجزاء أخرى، وتضم عدداً من قبور فترة حفيت ذات الركامات الحجرية وخلايا النحل (الأشكال ٥ و ١٨-١٩)، والتي يصل ارتفاع بعضها إلى مترين ومبنية من الحجر الجيري وحجارة الجابرو. كما توجد في الموقع بقايا لمستوطنة تعود إلى الفترة الإسلامية المتأخرة، حيث عثر بين أنقاضها على عدد من فخار هذه الفترة خصوصاً فخار جلفار، وتضم بقايا أساسات حجرية مختلفة الأحجام والأشكال. كما تم ملاحظة بقايا مقالع حجرية. كما أن المنطقة عثر فيها على تباثرات لأدوات مختلفة منها كسر فخارية مثل فخار أم النار (الشكل ٢٠)، وبقايا لقطع صوانية وحجرية.

سادساً : المنطقة (F) :

هي أكبر المناطق الأثرية وتقع هذه المنطقة في الجهة الشمالية الغربية من قرية الفليج والمناطق الأخرى سابقة الذكر، وهي عبارة عن منطقة تضم هضبة صخرية وحصوية مختلفة الارتفاعات (الشكل ٤)، وتضم عدداً من قبور فترة حفيت ذات الركامات الحجرية (الشكل ٥) التي تتمركز غالبيتها في المناطق المرتفعة من الهضبة، إضافة إلى مجموعة أخرى من المدافن التي ربما تعود إلى فترة أم النار وذلك بناءً على خصائصها المعمارية والكسر الفخارية المتواجدة على سطحها. وهناك مجموعة أخرى من المدافن في أعلى إحدى الهضاب المنتشرة في الموقع

والتي لا تساعد بقاياها في التعرف على افتره الزمنية التي تعود لها. كما توجد في الموقع بقايا لمستوطنة وقلعة تعود إلى الفترة الإسلامية وقد تم تأريخها بناءً على ما تم العثور عليه من كسر فخارية كثيرة تعود إلى هذه الفترة، وتضم المستوطنة بقايا أساسات حجرية، إضافةً إلى بقايا برج دائري ومسجد وكلها مرتبطة بالأراضي الزراعية المنتشرة حولها.

اللقى الأثرية:

١- الفخار:

عثر أثناء المسح وتوثيق الشواهد الأثرية على عددٍ كبيرٍ من الكسر الفخارية متناثرة على سطح الموقع وتعود إلى فترات مختلفة، حيث تم أخذ عينات منها بهدف تأريخ الشواهد الأثرية ومن ثم التعرف على الأنواع المختلفة من الفخار المكتشف، والذي يعود أقدمه إلى منتصف ونهاية الألف الثالث قبل الميلاد أي فترة أم النار (٢٥٠٠-٢٠٠٠ ق.م)، إضافةً إلى العصر الحديدي (١٣٠٠-٣٠٠ ق.م)، وفترة سمد (٣٠٠ ق.م-٣٠٠ م)، والفترات الإسلامية المبكرة (حوالي ٦٥٠-١٠٠٠ م) الوسيطة (١٠٠٠-١٣٠٠ م) والمتأخرة (١٣٠٠-١٨٠٠ م) والحديثة (١٨٠٠ م-الوقت الحاضر). وسنحاول في هذا الجزء وصف هذه الأنواع بشكل مختصر.

أولاً- فخار فترة أم النار (٢٥٠٠-٢٠٠٠ ق.م)، (الشكل ٢١).

عثر على كميات كبيرة من الكسر الفخارية التي تعود إلى فترة أم النار، حيث كما أشرنا مسبقاً أنه عثر على نماذج منها في المناطق (B, C, D). ومن بين أنواع الفخار المكتشف من هذه الفترة هو الفخار الرمادي الناعم المصقول (Fine Gray Ware) وهو فخار محروق بشكل جيد، وتميل سطوحه إلى اللون الرمادي الباهت (Munsell 5YR, 7/1) والرمادي (Munsell 5YR, 5/1)، وتتراوح سماكته ما بين ٢ مم إلى ١ سم، وعادة ما يكون هذا الفخار خالي من الزخارف

باستثناء بعض النماذج التي زخرفت بزخارف محززة وأشرطة بارزة عن جسد الإناء. نماذج لهذا الفخار عثر عليها في مواقع مختلفة من شبه الجزيرة العمانية ومنها هيلي (Hili Tomb 1059 (Pl.70, figs. X, Y; Pl.79; Pl.80) ومستوطنة جزيرة أم النار (al-Tikriti 1981,pp 153-158: Pl.110, fig. A; (Pl.122, figs. A-D).

هناك أيضاً الفخار الرمادي المصقول والمطلبي (Painted Gray Ware) وهو فخار رمادي محروق بشكل جيد ومطلبي باللون الأسود، وتميل سطوحه إلى اللون الرمادي المائل للإحمرار (Munsell 10R, 5/1) والأحمر (Munsell 2.5YR, 5/6)، وتتراوح سماكته ما بين ٢ مم إلى ٦ مم، ومصنوع بالدولاب. وعثر على نماذج لهذا الفخار في مواقع كثيرة منها مستوطنة هيلي ٨ (Cleuziou 1978/9: 58 (fig.30, No.6, pp: 58)، وقبور هيلي كالقبر ١٩٥٩ (al-Tikriti 1981,pp 153-156: Pl.78, figs. A-B, E; Pl.79, figs. B, G, J, N).

عثر على الفخار الخشن الرمادي (Coarse Gray Ware) وهو فخار خشن نوعاً ما محروق بشكل جيد، وتميل سطوحه ما بين اللون الرمادي (Munsell 5YR, 6/1) إلى الرمادي الفاتح المائل للون الأخضر (Munsell 1 (CHROMA, 7/1)، وتتراوح سماكته ما بين ٣ مم إلى ٨ مم. وهو فخار يتضمن زخارف عبارة عن خطوط أفقية و متموجة محززة. ومن الأمثلة على هذا الفخار ما عثر عليه في مواقع مختلفة مثل الصفوح (Benton 1996, fig. 126)، ومستوطنة أم النار (Frifelt 1995,pp. 81-108). هناك أيضاً الفخار الخشن (Coarse Ware) وهو فخار خشن محروق بشكل جيد وله جدران سميكة، وتميل سطوحه إلى اللون الأحمر الفاتح (Munsell 2.5YR, 7/8) والأحمر (Munsell (2.5YR, 6/8) والأصفر المائل للإحمرار (Munsell 5YR, 7/6)، وتتراوح سماكته ما بين ١ مم إلى ٤،١ سم، ومصنوع بالدولاب. وهو فخار مزخرف أحياناً

بطلاء أحمر على السطوح الخارجية والداخلية للإناء. وهو شائع في مواقع كثيرة منها قبور ومستوطنات أم النار (Frifelt 1991,fig. 135,p. 67; Frifelt 1995,pp 81-108).

من فخار أم النار أيضاً الفخار الأحمر المصقول والمطلي (Fine Red Painted Ware) وهو فخار أحمر محروق بشكل جيد، وتميل سطوحه إلى اللون الأحمر الفاتح (Munsell 10R, 6/8) والأحمر (Munsell 10R, 4/8)، وتتراوح سماكته ما بين ١ مم إلى ٨ مم، ومصنوع بالدولاب. وظلي الجسد الخارجي بأكمله بصبغة وأشربة حمراء مع طلاء أسود، إلا أن بعض الفخار خالي من الزخارف، أما السطح الداخلي فيميل إلى اللون الأصفر الضارب إلى الحمرة، وغالباً مع أشربة مطلية سوداء حول الحافة، وأحياناً لمسة حمراء على الحافة وداخلها. عثر على نماذج لهذا الفخار في مواقع مختلفة كما هو الحال في مستوطنة هيلي ٨ (Cleuziou 1978/9, fig.22-23, pp.54-55)، وقبور ومستوطنة جزيرة أم النار (al-Tikriti 1981,p164 &,pp.172-175, Pl.106, figs.) (B-E; Pl.107).

الفخار الأسود المصقول والمطلي (Fine Black Painted Ware) هو الآخر عثر عليه في الموقع، وهو فخار محروق بشكل جيد، وتميل سطوحه إلى اللون الأصفر المائل للون الأحمر (Munsell 5YR, 7/6)، وتتراوح سماكته ما بين ١ مم إلى ١ سم، ومصنوع بالدولاب. وظلي الجسد الخارجي بطلاء أسود، وهو فخار يتضمن زخارف عبارة عن أشربة مطلية باللون الأسود على وحول الحافة وأحياناً بدن الإناء، إلا أن بعض الأواني غير مزخرفة. وهذا الفخار شائع في كثير من مواقع فترة أم النار ومنها على سبيل المثال قبور ومستوطنة جزيرة أم النار (Frifelt 1991, Figs. 59-67,pp. 41-44; 93-103,pp. 52-58; 105-) (106: 59).

من الأنواع الأخرى التي عثر عليها بكميات أقل هو الفخار الأحمر الرفيع المصقول (Thin Fine Red Ware) وهو فخار أحمر ناعم ومصقول، وتميل سطوحه إلى اللون الأحمر الفاتح (Munsell 10R, 6/8) والأحمر (Munsell 10R, 5/8)، وتتراوح سماكته ما بين ١ مم إلى ٦ مم. وهناك أيضاً الفخار الأصفر المائل للون الأحمر (Reddish Yellow Ware) وهو فخار خشن ومحروق بشكل جيد، وتميل سطوحه إلى اللون الأصفر المائل للون الأحمر (Munsell 7.5YR, 7/6)، وتتراوح سماكته ما بين ٣ مم إلى ٨ مم، وغالبية الفخار عبارة عن جرار كبيرة.

ثانياً- العصر الحديدي المبكر (١٣٠٠-٣٠٠ ق.م)، (الشكل ٢٢):

عثر في الفليج على فخار من العصر الحديدي المبكر مثل الفخار الطلي (Painted Ware) وهو فخار خشن مطلي إما باللون الأحمر الداكن أو الأسود، ومحروق بدرجات حرارة متوسطة، وتميل سطوحه إلى اللون الأحمر (Munsell 2.5YR, 6/8)، أو اللون الأحمر مع طلاء أسود، وتتراوح سماكة هذا الفخار ما بين ٤ مم إلى ٦ مم، ويتضمن زخرفة عبارة عن خطوط أفقية و متموجة وأشربة مطلية على سطوحه الداخلية والخارجية وحول وتحت الحافة والعنق والكتف. ويشبه هذا الفخار ما عثر عليه في مواقع العصر الحديدي مثل مستوطنة رميلة (Boucharlat & Lombard 1985, pl.49, Nos.3-7, 10, 15-24). هناك

أيضاً الفخار الناعم المصقول والمطلي (Fine Painted Ware):

هو فخار ناعم ومصقول ومحروق بدرجات حرارة ليست عالية، وتميل سطوحه إلى اللون الأحمر (Munsell 2.5YR, 6/8 or 10Y, 5/6)، وتتراوح سماكته ما بين ٣ مم إلى ٥ مم، ويضم أحياناً زخارف عبارة عن أشربة مطلية باللون الأحمر الداكن على سطوحه الداخلية والخارجية. ولعل من النماذج الشبيهة له ما عثر عليه في موقع هيلي ٢ (Al-Rahman 1978/9, p. 9 & fig. 6, p.)

(18) وتل أبرق () (Magee 1996,fig.3,) (Potts 1991,fig.112, no.6, p. 85;) (p. 242).

عثر على أنواع من الفخار السميك الخشن مثل الفخار السميك والمحروق بشكل جيد (Thick Hard Fired Ware) وهو فخار مصقول وسميك وثقيل الوزن ومحروق بشكل جيد، وتميل سطوحه إلى اللون الأصفر المائل للإحمرار (Munsell 5YR, 6/6)، وتتراوح سماكة هذا الفخار ما بين ٤ مم إلى ١,٢ سم. وعثر على نماذج له في مواقع مثل رميلة (Boucharlat & Lombard) (Potts) (1985,pl.51, No.6; pl.53, Nos.2, 5 & pl.56, No.7)، وتل أبرق () (Coarse Ware) (1991,fig.112, No.5; p. 85). إضافة إلى الفخار الخشن (Coarse Ware) وهو فخار خشن ويتضمن حبيبات بنية كبيرة ناعم ومحروق بدرجات حرارة متوسطة، وتميل سطوحه إلى اللون الأحمر (Munsell 2.5YR, 6/8) أو اللون الأصفر المائل للإحمرار (Munsell 5YR, 7/8)، وتتراوح سماكة هذا الفخار ما بين ٦ مم إلى ١,٤ سم. وقدمت الحفريات في مستوطنة رميلة (Boucharlat & Lombard 1985,pl.47, No.6,7,15; pl.48, nos.2,3) الفخار. وهناك أيضاً الفخار الأصفر المائل للإحمرار (Reddish Yellow Ware) وهو فخار خشن وقليل السماكة ومحروق بدرجات حرارة متوسطة، وتميل سطوحه إلى اللون الأصفر المائل للإحمرار (Munsell 5YR, 7/6)، وتتراوح سماكة هذا الفخار ما بين ١ مم إلى ٤ مم. وقدمت مستوطنة رميلة فخار مشابه له (Boucharlat & Lombard 1985,pl.23,pp. 14-18).

ثالثاً- العصر الحديدي المتأخر أو فترة سمد (٣٠٠ ق.م-٣٠٠م)، (الشكل ٢٣):

إن من بين فخار فترة سمد في الفلج الفخار الرمادي أو الأحمر الناعم (Fine Gray or Red Ware) وهو فخار رمادي أو أحمر ناعم وقليل السماكة ومحروق بدرجات حرارة متوسطة، وتميل سطوحه إلى اللون الرمادي (Munsell)

للإحمرار (10YR, 5/1) أو اللون الأحمر (Munsell 10R, 5/8) والأصفر المائل للإحمرار (Munsell 7.5YR, 7/6)، وتتراوح سماكة هذا الفخار ما بين ١ مم إلى ٥ مم، ويتضمن أحياناً زخارف محززة عبارة عن تهشيرات تشبه عظام الأسماك ونقط. وقدمت حفريات مواقع سمد وميسر فخار مشابه له (قارن Yule 2001). كما عثر على الفخار الأصفر المائل للإحمرار والخشن (Coarse Reddish Yellow Ware) وهو فخار خشن وسميك ومحروق بدرجات حرارة متوسطة، وتميل سطوحه إلى اللون الأصفر المائل للإحمرار (Munsell 5YR, 7/8)، وتتراوح سماكة هذا الفخار ما بين ٣ مم إلى ٢ سم. نماذج لهذا الفخار عثر عليها في مواقع مختلفة من شبه الجزيرة العمانية ومنها:

كما عثر على عدد من الفخار الخشن (Coarse Ware) وهو فخار متوسط الخشونة وقليل السمك ومحروق بدرجات حرارة قليلة إلى متوسطة، وتميل سطوحه إلى اللون الأحمر (Munsell 2.5YR, 6/6) والأحمر الفاتح (Munsell 2.5YR, 7/6)، أو اللون الأصفر المائل للإحمرار (Munsell 5YR, 6/8)، وتتراوح سماكة هذا الفخار ما بين ١ مم إلى ١ سم، ويتضمن زخارف محززة عبارة عن تهشيرات تشبه عظام الأسماك ونقط ودوائر وأشربة بارزة أحياناً مع زخرفة محززة عبارة عن تهشيرات مائلة أو شكل شبكة أو متقاطعة أو متموجة أو أفقية. وقدمت حفريات مواقع سمد وميسر فخار مشابه له (قارن Yule 2001). وهناك أيضاً الفخار الخشن ذو الحبيبات الكبيرة (Large Gritted Coarse Ware) وهو فخار خشن وسميك مع حبيبات كبيرة ومحروق بدرجات حرارة قليلة، وتميل سطوحه إلى اللون الأحمر الفاتح (Munsell 2.5YR, 7/8) والأحمر (Munsell 2.5YR, 6/6)، وتتراوح سماكة هذا الفخار ما بين ١ مم إلى ٢,٤ سم، ويتضمن زخارف محززة عبارة عن تهشيرات تشبه عظام الأسماك ونقط وخطوط متموجة

وأشرطة بارزة وزخرفة تشبه أشعة الشمس. وعثر على نماذج له ضمن حفريات مواقع سمد وميسر فخار مشابه له (قارن Yule 2001).

رابعاً- الفترة الإسلامية المبكرة (٦٥٠-١٠٠٠م)، (الشكل ٢٤):

لم يعثر على فخار من هذه الفترة باستثناء ربما بعض الكسر من الفخار الأخضر المزجج (Green Glazed Ware)، وهو فخار خشن مزجج ومحروق بدرجات حرارة متوسطة، ويتراوح لون التزجيج ما بين الأخضر والأصفر والتركوازي، وتميل سطوحه إلى اللون الأصفر الباهت (Munsell 2.5Y, 8/2)، وتتراوح سماكة هذا الفخار ما بين ١ مم إلى ٦ مم. وقدمت حفريات مواقع كوش والمطاف فخار مشابه له (Kennet 2004, pp. 29-31, fig.5, p. 102).

خامساً- الفترة الإسلامية الوسيطة (١٠٠٠-١٣٠٠م)، (الشكل ٢٥):

من أنواع هذه الفترة هو الفخار الخشن (Coarse Ware) وهو فخار خشن ومحروق بدرجات حرارة عالية ومتوسطة، وتميل سطوحه إلى اللون الأحمر الفاتح (Munsell 10R, 6/6 and 2.5YR, 7/6) والرمادي المائل للإخضرار (Munsell 1CHROMA, 6/1)، واللون الأحمر (Munsell 2.5YR, 6/8) والأصفر المائل للإحمرار (Munsell 5YR, 7/8)، وتتراوح سماكة هذا الفخار ما بين ١ مم إلى ٢ سم، ويتضمن أحياناً زخارف عبارة عن أشرطة بارزة مع أو بدون خطوط متموجة، وأحياناً خطوط أفقية متموجة محزة، غالباً تحت الحافة وحول العنق. وقدمت حفريات موقع كوش فخار مشابه له (Kennet 2004, p. 64; figs.39-40, pp. 133-134).

تتميز هذه الفترة بالفخار النبهاني (Nabhani Ware) وهو فخار من الفترة النبهانية، أحمر ورمادي اللون وخشن ومحروق بدرجات حرارة متوسطة، وتميل سطوحه إلى اللون الأحمر الفاتح (Munsell 10R, 6/6) والرمادي المائل للإحمرار (Munsell 10R, 6/1)، وتتراوح سماكة هذا الفخار ما بين ١ مم إلى ١

سم، ويتضمن زخارف عبارة عن مجموعة من الأشربة الأفقية المطلية بعرض حوالي ٢-٥ مم ويتراوح لون الطلاء ما بين الأصفر الباهت (Munsell 2.5Y, 8/3) إلى الرمادي الفاتح (Munsell 2.5Y, 7/1). وعثر على نماذج من هذا الفخار في كثير من المسوحات الأثرية ومنها ما عثر عليه في موقع جلفار (de Cardi & Doe 1971, fig.13, Nos.40-42, p. 265).

يعتبر فخار السكرافياتو (Sgraffiato Ware) مميزاً لهذه الفترة، وهو فخار يتميز بتقنية زخرفة تعتمد على تصاميم تخطيط محرز من خلال صبغة بيضاء توضع قبل التزجيج، وغالباً، خصوصاً في الفترات اللاحقة، كانت الصبغة بيضاء أو صفراء باهته والجسد أحمر مما يجعل التحريزات تقف على لون داكن. يتم أحياناً ملء هذا النمط الذي تشكل بواسطة الخطوط المحززة بحزم من ألوان التزجيج الخضراء والبنية والصفراء. بحلول القرن ١٠م بدأت تقنية السكرافياتو في جنوب العراق، وبحلول القرنين ١١-١٢م أصبحت شائعة ومعروفة بشكل جيد في مناطق أخرى مثل إيران وأفغانستان ومصر وسوريا وشمال العراق ووسط آسيا. في بداية القرن ١٣م وصلت التقنية إلى أوروبا من خلال شمال إيطاليا. هذا الفخار يتراوح ما بين الناعم إلى الخشن ومحروق بدرجات حرارة متوسطة، وسطوحة عادة مزججة بألوان مختلفة خضراء وبيضاء وخضراء فاتحة و زيتوني و صفراء وبنية وخضراء مائلة للأصفر. تتراوح سماكة التزجيج ما بين ١ مم إلى ٥ مم، ويمكن أن يكون على كلا الوجهين الداخلي والخارجي للإناء، بينما تتراوح سماكة الإناء ما بين ١ مم إلى ١ سم. يتضمن الفخار أحياناً زخارف محززة عبارة عن صبغة وتزجيج تشكل زخارف هندسية ونباتية. وقدمت حفريات موقع كوش (Kennet 1997, pp. 292-294, figs, 7.9-11, 8, 9) فخار مشابه له.

سادساً- الفترة الإسلامية المتأخرة (١٣٠٠-١٨٠٠م)، (الشكل ٢٦):

تتميز هذه الفترة بفخار بهلاء (Bahla Ware)، وهو مزجج ومحروق بشكل جيد، وتميل سطوحه الأصلية قبل التزجج إلى اللون الأصفر الباهت والرماد الفاتح والأحمر القرنفلي، ويغطي بعد ذلك بطبقة من التزجج على السطوح الداخلية والخارجية للإناء وأحياناً من الخارج فقط. وتتراوح ألوان هذا التزجج م بين الأخضر والأخضر الفاتح والبنّي والبنّي المخضر والأسود. وتتراوح سماكته ما بين ١ مم إلى ٢ سم. وهو فخار شائع العثور عليه أثناء المسوحات والحفريات الأثرية في معظم المواقع التي تعود للفتترات الإسلامية. ومن الفخار المحلي أيضاً فخار جلفار (Julfar Ware) وهو فخار خشن وذو صناعة يدوية ومحروق بدرجات حرارة متوسطة، ودائماً غير مزجج ومصنوع كأواني للطبخ. وتميل سطوحه للون الأسود والرمادي والأحمر، وتتراوح سماكته ما بين ١ مم إلى ٨ مم، وأحياناً يتضمن زخارف محززة عبارة عن خطوط أفقية و متموجة وأشربة بارزة مع أو بدون زخرفة محززة. وعثر على هذا الفخار في مواقع كثيرة من أنحاء شبه الجزيرة العمانية.

إن هذه الفترة تتميز أيضاً بفخار مستورد مثل الخزف الصيني الأزرق والأبيض (Chinese Blue and White Porcelain)، وهو نوع من البورسلين (الخزف الصيني) مغطى بطبقة مزججة من فلز قلوي كلسي شفاف، ومزخرف بالكوبالت الأزرق المخضر، وتتراوح سماكته ما بين ١ مم إلى ١ سم، ويتكرر وجوده في كثير من المواقع الأثرية في شبه الجزيرة العمانية. هناك أيضاً فخار السيلادون (Celadon Stone Ware) وهو فخار مستورد من الصين وهو ذو جودة عالية، وتميل سطوحه للون الرمادي الفاتح ومغطى بتزجج أخضر سميك، وهناك بعض التباين في تركيبة ولون التزجج. هذا الفخار مستورد من غرب المحيط الهندي والشرق الأوسط والبحر الأبيض المتوسط. تتراوح سماكته ما بين ١

مم إلى ٨ مم. وهو فخار شائع العثور عليه أثناء المسوحات والحفريات الأثرية في معظم المواقع التي تعود للفترات الإسلامية المتأخرة.

سابعاً- الفترة الإسلامية الحديثة (١٨٠٠م-الوقت الحاضر):

من أنواع فخار هذه الفترة المكتشف في الفليج هو البورسلين الأوروبي (European Porcelain) وهو فخار حديث مستورد من أوروبا، وهو خزف تم إنتاجه وتصديره على نطاق واسع بما فيه شبه الجزيرة العمانية، وتم استخدامه حتى فترات حديثة في السبعينيات من القرن العشرين. وهو مزخرف بزخارف هندسية ونباتية مطلية ومزججة، وتبلغ سماكته ١ مم إلى ٨ مم. هناك أيضاً البورسلين الحديث (Modern Porcelain) وهو نوع من أنواع الخزف الصيني، وغالباً مصنوع في اليابان في القرن العشرين، وعادة ما يكون مزخرف بزخارف بسيطة، وتبلغ سماكته ١ مم إلى ١ سم. وهذين النوعين من الفخار تم إنتاجهما وتصديرهما إلى مناطق مختلفة من العالم بما فيه شبه الجزيرة العمانية وتم استخدامه حتى فترات حديثة في السبعينيات من القرن العشرين. وهو فخار شائع العثور عليه أثناء المسوحات والحفريات الأثرية في معظم المواقع التي تعود للفترات الإسلامية الحديثة في شبه الجزيرة العمانية.

٢- الأصداف:

عثر في المنطقتين (B و D) على تناثرات سطحية لأنواع من أصداف الرخويات البحرية (الشكل ٢٧)، خصوصاً بطينيات الأقدام (gastropods) وذوات الصدفتين (bivalves)، وهما نوعان يكثر استهلاكهما كغذاء وكأدوات بين المجموعات السكانية في شبه الجزيرة العمانية، وعثر عليها بكميات كبيرة في محتويات أثرية لمواقع من فترات مختلفة، وهذه الأنواع من الرخويات متوافرة في بحر عمان الذي لا يبعد عن موقع الفليج إلا بحوالي ١٥ كم.

٣- مواد مرتبطة بعمليات الصهر:

عثر في المنطقة (B) على بقايا مستوطنة لصهر النحاس من الفترات الإسلامية تتضمن كميات كبيرة من خبث النحاس وفخار مختلط بنسبة من خبث النحاس، وعدد قليل من الأدوات الحجرية كالمطارق (الشكل ٢٨) التي كانت جزءاً من الأدوات التي استخدمت في عملية صهر النحاس، إضافةً إلى بعض قوالب الطين المحروق التي احتوت طبقات كفوف وأصابع (الشكل ١٠). وعثر في المنطقة (B) أيضاً على بقايا فرن للصهر مبني من الطين ويأخذ الشكل الدائري. كما عثر في المنطقة (D) على بقايا خبث النحاس في الجهة الشمالية الغربية من موقع الفليج. وهذا بطبيعة الحال مؤشر على ممارسة سكان الموقع لعمليات صهر النحاس.

٤- المواد الحجرية:

عثر في الموقع على بعض الأدوات والمواد الحجرية التي ربما تكون أدوات حجرية أو بقايا عمليات صنع هذه الأدوات، إضافةً إلى شظايا أخرى ربما ليست بأدوات وإنما شكلتها الطبيعة فبدت كأدوات من صنع البشر. تكثر هذه التناثرات للمواد الحجرية في الجزء الغربي من المنطقة (A)، وتوجد بكميات أقل في المناطق (B، C، D، E). ولعل من بين ما يمكن أن يطلق عليه أدوات صوانية هي بعض المكاشط والفؤوس والنصال، إضافةً إلى بقايا أدوات ونوى (الشكل ١٧)، وما يمكن أن يشير إلى عمليات تصنيع لمثل هذه الأدوات. كما عثر على بعض الأشكال التي تشبه الأواني الصغيرة، والتي تأخذ الشكل المربع والمستطيل والدائري تشبه ما يمكن أن يكون أكواب أو صناديق صغيرة الحجم، ولكن هناك شك في كون أن الطبيعة هي من شكلها بهذه الطريقة.

٥ - العظام:

عثر في أنحاء متفرقة من الموقع في المناطق الست، خصوصاً تلك التي احتوت قبوراً من فترة حفيت وأم النار، على بقايا شظايا عظمية بشرية، وهي في حالة حفظ سيئة وعادة ما تكون صغيرة الحجم لا تساعد على إعطاء أي مؤشرات عن حياة سكان الفلج. ربما سنكتشف الحفريات المستقبلية في بعض من هذه القبور عن بقايا لهياكل عظمية تساعد على التأريخ والتعرف على أعمار وأجناس المتوفين وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية والدينية.

تاريخ الموقع:

يزخر موقع الفلج بأنواع متباينة من الشواهد واللقى الأثرية التي تتوزع على جميع مناطقه الست. ومن المحتمل أن يعود تاريخ الاستيطان والنشاط البشري في الموقع إلى العصر الحجري المتأخر، وذلك من خلال العثور على بعض الأدوات أو بقايا الأدوات الصوانية المتناثرة بدرجات متفاوتة على سطح كافة مناطق الموقع، حيث لوحظ أنها تكثر في الجزء الغربي من المنطقة (A)، وتقل تدريجياً كلما اتجهنا شرقاً في نفس المنطقة. أما في المنطقتين (B، C) فقد لوحظ أن هذه البقايا الصوانية قليلة وتوزيعها محدود، وأحياناً تكاد تكون معدومة كما هو الحال في الجزء الجنوبي الشرقي من المنطقة (B)، والجزء الشرقي من المنطقة (C) على ضفة وادي المحموم الشمالية، وهي أيضاً نادرة في المنطقة (D). وتضم المنطقة (E) تناثرات لحجارة الصوان الطبيعية وربما بقايا لتصنيع أدوات، والتي يمكن العثور عليها بكثرة في الجهة الشمالية الغربية من المنطقة، وتقل كلما اتجهنا باتجاه جنوب غرب. هذه التناثرات عبارة عن شظايا حجرية ربما لا تشير إلى أدوات مُصنّعة وإنما تشكلت نتيجة للظروف الطبيعية التي عملت على نحتها وتشكيلها وهي بالتالي تحتاج إلى دراسة مفصلة. من بين الأدوات الصوانية التي تم العثور عليها مكاشط وفوؤس ونصال، والتي يصعب تأريخها لأنه ليس من بينها ما

يمكن أن ينسب بشكلٍ مؤكدٍ إلى العصر الحجري، كما أن صناعة الأدوات الحجرية استمرت في الفترات اللاحقة، وإن كانت على نطاق ضيق، لذلك لا نستطيع الجزم وبكل تأكيد أن النشاط الاستيطاني في الفلج بدأ في العصر الحجري، لذلك فإن هذه الأدوات الحجرية وما يمكن أن يكتشف من أدوات حجرية أخرى في المواسم القادمة يحتاج إلى دراسة تفصيلية.

يشير الدليل الأثري من الفلج إلى أن بداية الاستيطان الفعلي في هذا الموقع بدأ في فترة حفيت (حوالي ٣٤٠٠-٢٥٠٠ ق.م)، وهو ما تشير إلى حقول المقابر الكبيرة التي تنتشر عليها مئات من قبور حفيت ذات الركامات الحجرية وخلايا النحل. وتعتبر فترة حفيت من أكثر الفترات الزمنية المُمثلة في موقع الفلج، حيث تكاد لا تخلو منطقة في الموقع من قبور هذه الفترة، وقد بُنيت في أماكن مرتفعة على حواف ومنحدرات التلال، وعلى الهضاب الصخرية، إضافةً إلى مصاطب الأودية (وادي المحموم، وادي السخن) والمناطق الحصوية المنبسطة. ويلاحظ أن قبور الركامات الحجرية عادةً ما تكون في هيئة مجموعات، حيث بلغ عددها في المنطقة (154) A قبراً ومعظمها في حالة حفظ سيئة إما بسبب العوامل الطبيعية أو العوامل البشرية، في حين بلغ عددها في المنطقة (37) B قبراً، والمنطقة (53) C قبراً، بينما لم يتم العثور عليها في المنطقتين (D، E). تتميز هذه القبور بمجموعة من الخصائص فهي عبارة عن ركام حجري مبني من حجارة الوادي والحجر الجيري ذات أحجام وألوان مختلفة، وعادةً من الصعب تمييز مداخلها وجدرانها الحلقية، وتضم غرفة دفن وسطية دائرية أو شبه دائرية بقطر يتراوح ما بين ١ - ٢,٥٠م، في حين أن القطر الكلي للقبر يتراوح ما بين ٣م إلى ٨ م وارتفاع بعضها يصل إلى ٣م. كما تتمثل فترة حفيت في موقع الفلج بنوعية أخرى من القبور والتي لا تتواجد إلا في المنطقة (E) وهي قبور خلايا النحل التي تنتشر على التلال الصخرية وحواف وادي السخن ومنحدراته المحيطة بالقرية. وتتميز

هذه القبور بمجموعة من الخصائص المعمارية منها تأخذ شكل خلية النحل مع قمة محدبة، ومدخلها يأخذ الشكل المستطيل ويصل ارتفاعه في أغلب الأحيان إلى ٠,٧٥م وعرضه إلى ٠,٥٠م، ويتكون من بلاطة حجرية علوية كعتبة للباب، وغالباً ما يكون المدخل مفتوح لعملية الدفن الثانوي اللاحق. كما أن جدران هذه القبور مبنية على منصة حجرية دائرية، ويبلغ سمك جدران بعضها حوالي المتر وتضم غرفة دفن واحدة وسطية دائرية أو شبه دائرية بقطر ١,٥ م، وأرضية هذه القبور مبلطة بحجارة مسطحة من الحجر الجيري، وتحتوي على سقف بارز من حجارة مسطحة وأحياناً تكون مختلطة بحجارة الوادي الصغيرة. معظم هذه القبور في حالة حفظ سيئة، إلا أن القليل منها بقي محفوظاً بشكل يساعد في التعرف على خصائصها المعمارية. يبلغ القطر الكلي لهذه القبور ما بين ٣م إلى ٥م، وارتفاع بعضها يصل إلى ٣م، وبنيت من حجارة خشنة أو مقطوعة بشكل مسطح من نفس التلال الصخرية التي بنيت فوقها أو من التلال الصخرية المجاورة .

يشير الدليل الأثري إلى أن الاستيطان في الفلج لم ينقطع بل استمر في الفترة اللاحقة لفترة حفيت حيث عثر على عدد من القبور وبقايا مستوطنات وتناثرات سطحية لفخار من فترة أم النار (٢٥٠٠-٢٠٠٠ ق.م). عثر في المنطقة (C) من الموقع على ١٢ قبراً من هذه الفترة، وقد بُنيت على نفس الهضبة الصخرية التي شيدت فوقها قبور فترة حفيت ذات الركامات الحجرية، والتي تقع على الضفة الشمالية من وادي المحوم، اثنان فقط من هذه القبور على أرض منبسطة في الجهة الشرقية من المنطقة، مما أدى إلى تعرضهما للتدمير سواء بسبب الوادي أو بسبب العوامل البشرية والتنمية. رغم حالة الحفظ السيئة لكثير من هذه القبور، إلا أن النذر اليسير منها ساعد على تمييز بعضاً من خصائصها المعمارية ومنها قاعدتها الدائرية المبنية من الحجر الجيري، وقد بنيت القبور من قوالب الحجري الجيري المسطحة فوق هذه القاعدة المنخفضة، ويتراوح قطر القبور

ما بين ١,٥م إلى ٣ م. لم يكن بالإمكان التعرف على غرفة الدفن ومدخلها بسبب انهيار جدران هذه القبور وتساقطها وتكدسها على هيئة ركامات حجرية، ولكن تم ملاحظة ما يمكن أن يكون تقسيمات داخلية، مما يشير ربما إلى تقسيم القبور إلى غرف للدفن وهي خاصة من خصائص قبور فترة أم النار، وعثر بين أنقاض بعض من هذه القبور على كسر فخارية قليلة من فترة أم النار.

أما عن البقايا السكنية التي تشير إلى استخدام موقع الفليج في فترة أم النار فقد عثر عليها في المنطقة (B)، وهي عبارة عن بقايا أساسات حجرية، إضافة إلى ما أشرنا إلى احتمالية كونه بقايا بناء برج من فترة أم النار بني على تلة صغيرة حيث لا تزال بقايا بعض حجارة جدرانها ظاهرة حول هذه التلة. كما عثر على بقايا سكنية أخرى محتملة من فترة أم النار في الجهة الشمالية الغربية من المنطقة (D)، حيث عثر على بقايا أساسات حجرية لجدران وحدات مختلفة الحجم والشكل، إضافة إلى عدد من الكسر الفخارية من نوع أم النار. إضافة إلى القبور وبقايا هذه المستوطنة، فقد عثر في موقع الفليج على دليل آخر يؤرخ لفترة أم النار ويتمثل في الكسر الفخارية المتناثرة على السطح والتي عثر على القليل منها في المناطق (A، D، E)، وبكثرة في المناطق (B، C)، وكما أشرنا أثناء حديثنا في الأعلى عن الفخار فإن هذا النوع من الفخار يتميز بأنه بعضه مطلي بزخارف سوداء من الخارج مع اللون الأحمر من الداخل، وهو فخار ذو جودة عالية، وذو سطح أملس غير خشن، مع وجود فخار آخر خشن.

هذا ويبدو أنه حدث انقطاع وانحسار للاستيطان في موقع الفليج خلال فترة وادي سوق (٢٠٠٠-١٣٠٠ ق.م) اللاحقة لفترة أم النار، وهذا بطبيعة الحال نمط مشابه لما حدث في هذه الفترة في كل أنحاء شبه الجزيرة العمانية، باستثناء ربما الجزء الشمالي منها (Al-Jahwari 2008, pp.335-346). هناك ربما احتمال لوجود بعض القبور من فترة وادي سوق في المنطقة (D)، والتي بُنيت على هضبة

حصوية على الضفة الشمالية من وادي المحموم. جميع هذه القبور في حالة حفظ سيئة مما لا يساعدنا في التعرف على نوعها بشكلٍ دقيق، إلا أن بعض خصائصها المعمارية ربما تتشابه مع الخصائص المعمارية لقبور فترة وادي سوق المكتشفة في مواقع أخرى من شبه الجزيرة العمانية، فهذه القبور تتميز بالدفن تحت الأرض إضافةً إلى أنها مغطاة ومعلمة بالحجارة وإن كانت غير مكتملة في كثير من القبور. يوجد على سطح معظم هذه القبور مجموعة من بلاطات الحجر الجيري، والذي ربما يشير إلى تعرض هذه القبور للنش في الفترات اللاحقة لبنائها. إن الدليل الأثري المكتشف لا يُظهر أي إشارة لفخار من فترة وادي سوق، مما يُصعب عملية تأريخ هذه القبور، من هنا لا نستطيع القول وبكل تأكيد على أن هذه القبور من فترة وادي سوق.

فيما يتعلق بالاستيطان من العصر الحديدي (١٣٠٠-٣٠٠ ق.م) في موقع الفُليج فهو قليل، فهناك فقط ما يشير إلى وجود بعض القبور في المنطقة (A) وربما المنطقة (D)، وهي عبارة عما يمكن أن يكون مقبرة قرص العسل وتضم حوالي ٤٤ غرفة دفن، وبُنيت على هضبة حصوية شرق المنطقة، وهي ربما من النوع المعروف بمقبرة قرص العسل في موقع بوشر الأثري بمحافظة مسقط والمؤرخة بالعصر الحديدي المبكر (Costa et al. 1999,p.28). إن الدليل الأثري لا يساعدنا على إعطاء تأريخ دقيق لهذا النوع من القبور في موقع الفُليج، ولا يمكن التأكد من نوعها إلا بعد القيام بالتنقيبات الأثرية في المنطقة، كما أن الدليل المكتشف من الموقع لا يظهر أي إشارة إلى وجود مستوطنات تعود إلى فترة العصر الحديدي، باستثناء ربما مستوطنة تقع في الجهة الشرقية من المنطقة (D)، وذلك استناداً إلى وجود بقايا لفج قديم، إضافةً إلى تناثرات للكسر الفخارية المنتشرة في المستوطنة والتي تعود إلى العصر الحديدي، وهو فخار خشن، غالباً ما يكون جرار فخارية كبيرة الحجم. إن نقص الدليل الأثري من العصر الحديدي في الفُليج

يُغايِر نمط الاستيطان المُكتشف في غالبية المواقع التي عادةً ما تضم دليلاً على فترات مختلفة ومنها العصر الحديدي، وهذا ما نجده في كثير من مواقع هذا العصر في أنحاء كثيرة من شبه الجزيرة العمانية (Al-Jahwari 2008, 2011b; Al-Jahwari & Kennet 2008). وهذا يثير التساؤل عن سبب هذا النقص؟ إن السبب الكامن وراء هذا النقص ربما يعود إلى أن المسح الأثري في هذا الموقع لم يكتمل بعد، وبالتالي فإن العمل القادم ربما يكشف عن بقايا أثرية من هذا العصر الذي شهد كثافةً عاليةً من الاستيطان في كافة أنحاء شبه الجزيرة العمانية. وينطبق هذا الأمر على فترة سمد اللاحقة (٣٠٠ ق.م - ٣٠٠م)، حيث لم يعثر إلا على كميات قليلة من الكسر الفخارية التي تُنسب لهذه الفترة، وذلك في المناطق (ب، د، هـ)، بينما لم يعثر إلى الآن على آثار قبور ولا مستوطنات من هذه الفترة، وهذا أيضاً نمطاً مغايراً لنمط الاستيطان السائد من هذه الفترة في كل أنحاء شبه الجزيرة العمانية (Al-Jahwari 2008, 2011b; Al-Jahwari & Kennet 2008)، ربما لنفس السبب السابق ذكره وهو عدم اكتمال المسح.

يبدو أن الاستيطان في الفترة الساسانية والإسلامية المبكرة أيضاً انقطع في منطقة الفُليج، فربما تم هجر الموقع خلال هذا الوقت، كما كان عليه الحال في بقية أنحاء شبه الجزيرة العمانية التي شهدت انحساراً في الاستيطان خلال هذه الفترات، لأسباب غير واضحة (قارن 2011b & Al-Jahwari 2008, pp.363-365). إلا أن الاستيطان عاد من جديد في الموقع أثناء الفترات الإسلامية الوسيطة والمتأخرة والحديثة، والتي تعتبر من أكثر الفترات المُمثلة في الفُليج من حيث وفرة الشواهد واللقى الأثرية. ولعل من بين أهم المكتشفات الأثرية من هذه الفترة بقايا مستوطنة في الجهة الجنوبية الشرقية من المنطقة (B)، وهي عبارة عن بقايا أساسات حجرية، وبها بناء مربع الشكل تبلغ قياساته ٨م × ١٤م، وتتناثر وسط هذا المبنى وحوله كسر فخارية من الفترات الإسلامية المتأخرة والحديثة، وتنتشر

هذه الكسر الفخارية على الحافة الشرقية والجنوبية الشرقية من المنطقة. كما عثر في المنطقة (D) على بقايا مستوطنة (تم الإشارة إليها سابقاً عند الحديث عن العصر الحديدي) تحتوي على بقايا قلعة ومباني شُيدت من الطين، إضافةً إلى المصاطب الزراعية المعروفة محلياً باسم (الظفر)، وبقايا قنوات للري، مع وجود تناثرات للكسر الفخارية التي تؤرخ للفترة الإسلامية المتأخرة والحديثة. ومن بين بقايا المستوطنات الإسلامية أيضاً مستوطنة في الجهة الغربية من المنطقة (E)، وتقع في وسط وادي السخن حيث يُحيط بها الوادي في حالة جريانه من جميع الجهات وتأخذ شكل الجزيرة. تتشابه المعثورات في هذه المستوطنة مع ما تم الكشف عنه في المستوطنتين السابقتين، إلا أنها تتميز بوجود كثرة من فخار جلفار الذي يتميز بلونه الأحمر الداكن والمُزين بخطوط سوداء والمؤرخ بالفترة الإسلامية المتأخرة.

النتقاش:

على الرغم من أن المسح الأثري الذي أجري في موقع الفليج بولاية صحم، والذي عرضنا نتائجه في هذه الدراسة، هو مبدئي، إلا أنه قدم لنا بعض الومضات عن نمط الاستيطان في هذا الجزء الشمالي الداخلي-الساحلي من شبة الجزيرة العمانية. فمن خلال المسح تبين غنى الموقع بالشواهد الأثرية التي تشير إلى استيطان ربما يمتد منذ على الأقل العصر الحجري ويستمر إلى الفترات الإسلامية الحديثة، مع ربما حدوث انقطاع للاستيطان في خلال بعض الفترات مثل وادي سوق والفترات الساسانية-الإسلامية المبكرة. كما يشير الدليل الأثري المكتشف إلى تعدد النشاطات والمظاهر الاقتصادية والدفنية والاجتماعية التي مارسها سكان الموقع، وهذا بالتالي مؤشر إلى مدى التطور الحضاري الذي توصلت إليه هذه المجموعات السكانية، ويمكن استعراض بعضاً من هذه الأنشطة والمظاهر، خصوصاً الاقتصادية والدفنية.

١- الاقتصاد المعيشي:

إن الدليل الأثري المتوافر حالياً بن أيدينا لا يزال شحيح ولا يساعد على إعطاء صورة واضحة عن نوعية الاقتصاد المعيشي لسكان الفليج، ولكن من خلال ما تم الكشف عنه من معلومات أثناء المسح الأولي، واعتماداً على المقارنات مع ما تم الكشف عنه في مواقع أخرى في شبه الجزيرة العمانية يمكن إعطاء صورة مبدئية عن نوعية الاقتصاد المعيشي في الفليج.

تجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المعلومات تم الكشف عنها من خلال المسح الأثري الأولي الذي أجري للموقع، إذ لا يزال العمل جاري في الموقع والذي سيتضمن مسحاً مكثفاً، وإجراء بعض الحفريات الاختبارية على بعض الشواهد الأثرية للتعرف على الكثير من جوانب الحياة وأنماط الاستيطان في الموقع، ولعل منها محاولة التعرف بشكل أكثر دقة على ماهية اقتصاد سكان الفليج، خصوصاً في عصور ما قبل التاريخ، وذلك في ظل المعطيات المتوافرة ومنها حرفة تعدين وصهر النحاس. ويحتاج هذا الأمر استخدام تقنيات تساعد على اكتشاف المواد العضوية النباتية والحيوانية الدقيقة الموجودة في المحتوى الأثري، ومنها مثلاً استخدام تقنية الغربلة (sieving).

أظهرت المشاهدات الميدانية على أن منطقة الفليج محاطة بوادي المحموم ووادي السخن، وكما هو الحال بالنسبة لأودية كثيرة في عمان (cf. Al-Jahwari 2008, pp.6-8 & 106-108; Al-Jahwari & Kennet 2008)) فإن قنوات ومصاطب هذه الأودية تم تعديلها واستصلاحها عبر الزمن مما ترك رواسب لتربة صالحة للزراعة. هذه التربة الخصبة، ووجود المياه السطحية والجوفية أدت إلى إنشاء

مستوطنات في مثل هذه الأماكن حيث تم زراعة أشجار النخيل. إلى الآن لم تجر أي حفرة في الموقع، وبالتالي لا يوجد أي دليل لمواد عضوية كالنوى أو الفحم النباتي يمكن أن يؤكد على وجود الزراعة في فترات ما قبل التاريخ في الفلج، خصوصاً الألف الثالث قبل الميلاد، ولكن من خلال المعطيات الموجودة في الموقع والمتمثلة في بساتين النخيل الحالية والأفلاج والحقول القديمة (الظفر)، ومن خلال ما تم اكتشافه من أدلة أثرية في مستوطنات تعود للألف الثالث قبل الميلاد من مواقع أخرى في شبه الجزيرة العمانية وتشير إلى ممارسة الزراعة في هذه المستوطنات (قارن Al-Jahwari 2009)، فإنه يمكن القول بأن سكان الفلج ربما مارسوا الزراعة منذ أقدم العصور. حالياً يمارس سكان الفلج زراعة النخيل حيث تضم عدداً من بساتين النخيل، والذي ربما كان هو الحال عليه في عصور ما قبل التاريخ. عثر أثناء المسح على مصاطب زراعية (الظفر) قديمة ضمت مجموعة من الكسر الفخارية، منها ما يعود لفترات أم النار والعصر الحديدي وسمد، وكميات أخرى من فخار الفترات الإسلامية. وهذا ربما يكون مؤشراً على أن هذا النوع من المنشآت الزراعية في الفلج ربما بدأ في الألف الثالث قبل الميلاد واستمر عبر الزمن، إلا أن هذه الفرضية لا تزال بحاجة إلى تدعيم بالدليل الأثري، ولعل استخدام تقنية إحصاء الفخار من قرى الوادي في الفلج، وهي تقنية استخدمها أحد باحثي هذا العمل في منطقة وادي عناد بمحافظة الشرقية (Al-Jahwari 2008, Al-Jahwari & Kennet 2008)، قد تؤيد هذه الفرضية.

إن اكتشاف بقايا قنوات أفلاج قديمة، ومنها قناة فلج والتقاب المرتبطة به، تمتد محاذية على طول الشارع العام بالقرب من مستوطنة صهر النحاس ربما يكون مؤشراً على الزراعة منذ على الأقل العصر الحديدي، إذا ما وضعنا في

اعتبارنا أن نظام استحداث قنوات الأفلاج بدأ في هذا العصر (Boucharlat) cf. 1984; Lombard 1985; Magee 1998, pp. 51-54, 2003, 9 and (2004, p. 41; Magee and Carter 1999, p. 174; al-Tikriti 2002).

من المحتمل أيضاً أن سكان الفُليج مارسوا منذ عصور ما قبل التاريخ رعي وتربية الحيوانات كالماعز والأغنام، واستغلوا منتجاتها من لحوم وألبان وجلود، إلا أن الدليل من المحتويات الأثرية في الفُليج لا يزال لم يكتشف بعد بشكل كامل، حيث مازال العمل جارياً ولم تتم أي حفريات، وبالتالي لم يتم الكشف عن بقايا عظام حيوانات. حالياً يمارس سكان الفُليج الرعي وتربية الحيوانات. إن دراسة المجتمعات التقليدية الحديثة تساعد في كثير من الأحيان على فهمنا لاقتصاد المجتمعات التي استقرت سابقاً في نفس الحيز الجغرافي أو المناطق المجاورة لها، وبالتالي يمكن القول بأن سكان الفُليج في عصور ما قبل التاريخ ربما مارسوا الرعي وتربية الحيوانات شأنهم في ذلك شأن أجيالهم الحالية، ولكننا مازلنا بحاجة إلى دليل مادي يدعم هذا الافتراض.

كان سكان الفُليج بطريقة ما أيضاً على اتصال بساحل بحر عمان، والذي يبعد عن الموقع بحوالي ١٥ كم، وهي مسافة قصيرة يمكن لسكان الفُليج قطعها في حوالي ٥ ساعات مشياً على الأقدام، ربما كان سكان الفُليج إما يمارسون نوعاً من أنواع الصيد البحري وجمع الرخويات أنفسهم بحكم قرب المسافة، أو أنهم كانوا على علاقات تبادل مع سكان الساحل، حيث عثر في موقع الفُليج على أصداف الرخويات البحرية في المنطقة (B)، خصوصاً بطينيات الأقدام (gastropods) وذوات الصدفتين (bivalves)، وهما نوعان يكثر استهلاكهما كغذاء وكأدوات بين المجموعات السكانية في شبه الجزيرة العمانية. ويبدو أن المجتمعات التي استقرت على الساحل ربما حملت معها منتجاتها البحرية إلى مجتمعات الداخل خلال

حركتهم الموسمية الصيفية (أبريل-سبتمبر)، وربما كانت الفلج جزءاً من هذا التبادل التجاري والمقايسة. ولا تقتصر أهمية الرخويات وأصدافها على الجانب الغذائي، ولكن أيضاً في الجانب الروحي والعائدي والزخرفي، فقد عثر بين أنقاض بعض القبور التي تم تسجيلها على أصداف وكسر لأصداف بحرية، ربما كانت تمثل جزءاً من العادات الدفنية لسكان الفلج.

إذا ما اتجهنا باتجاه الافتراض الأول وهو أن سكان الفلج أنفسهم مارسوا نوعاً من أنواع الصيد البحري وجمع الرخويات، فإن المُبرر لمثل هذا الاحتمال هو وجود الأصداف وأيضاً قرب الموقع من الساحل، ولكن لا يوجد دليل آخر مثل الأدوات التي كانت مستخدمة في الصيد البحري كصنارات الصيد وثقالات الشباك أو الحراب وغيرها، ولكن هذا لا ينفي كون سكان الفلج مارسوا الصيد فربما سبب عدم العثور على هذه الأدوات هو عدم اكتمال المسح الأثري وعدم إجراء أي حفريات في المنطقة. حالياً نرى أن الاحتمال الأكثر ترجيحاً هو أن سكان الفلج كانوا على تواصل مع سكان الساحل بحيث كانت تتم عمليات متاجرة ومقايسة للسلع، فربما قام سكان الساحل بتزويد سكان الفلج بالأسماك والرخويات الطازجة وأيضاً المجففة والمملحة واستبدلوها بمنتجات الفلج المُتمثلة في منتجات الألبان والجلود والزيوت وثمار النخيل وغيرها من المحاصيل الزراعية، ولكن يظل هذا الأمر افتراضاً إلى أن يكتمل العمل المستقبلي المقترح لموقع الفلج. يشير الدليل الأثري الحالي إلى أن هناك العديد من مواقع الداخل مثل منال ووادي الصفاير ومحلياء ورميلة وهيلي وجعلان وغيرها الكثير قدمت كميات من أصداف الرخويات، وفي المقابل أثمرت الحفريات الأثرية في عدد من المواقع الساحلية مثل رأس الجنز وجزيرة دلما عن العثور على نوى تمر، فالدليل من مواقع الداخل والساحل مؤشر قوي على وجود شبكة تبادل تجاري بين مجتمعاتها منذ أقدم العصور (Cf.)

AlJahwari 2008,334-335& 2011a; Potts 1978,1993a, 1993b, (423-427& 1994; Cleuziou & Tosi 1989 & 2007,pp.184-191).

إن كمية الكسر الفخارية المتناثرة على سطح الموقع وفي كل مناطقه الست ربما تكون مؤشراً إلى أن سكان الفليج ربما كان لديهم معرفة ودراية بإنتاج الفخار، ولكن يجب أن نكون حذرين في مثل هذا النوع من الافتراض، فالدليل الأثري الحالي لا يشير إلى أي بقايا أفران لصناعة الفخار في المنطقة. كما يجب أن نضع في اعتبارنا أن الأدلة الأثرية من مواقع أخرى في شبه الجزيرة العمانية تشير إلى أن صناعة الفخار، خصوصاً في فترات ما قبل التاريخ ومنها أم النار والعصر الحديدي وسمد، كانت محصورة على مواقع الداخل من شبه الجزيرة العمانية ويتم من خلالها تصدير الفخار إلى مواقع الساحل، ولعل من بين مواقع الداخل التي تم فيها إنتاج الفخار موقع هيلي حيث عثر على فرن لصناعة الفخار من الألف الثالث قبل الميلاد (Frifelt 1990)، إضافةً إلى أن الدليل الجيولوجي والأثري يشير إلى أن الفخار الرملي المكتشف في مستوطنات العصر الحديدي II كان يُنتج في مركز إنتاج واحد، والذي يُعتقد بأنه واحة العين (Magee et.al.,1998,p.236). هذه المواقع المنتجة للفخار بعيدة عن الساحل لمسافات تصل في كثير من الأحيان إلى مئات الكيلومترات، وموقع الفليج لا يبعد أساساً عن الساحل إلا لمسافة ١٥ كم، كما يبدو أن جيولوجية الموقع والمنطقة المحيطة به ربما لا تتوافر فيها التربة المستخدمة في صناعة الفخار، وهذا أمرٌ يحتاج إلى بحث ودراسة بالاستعانة بمتخصصين في دراسة التربة، إضافةً إلى أن العمل مازال لم يكتمل، وبالتالي ربما سيكشف العمل المستقبلي عن أدلة تساعد على تأكيد أو نفي هذا الافتراض.

أما فخار الفترات الإسلامية فهو مصنوع إما في مواقع الساحل مثل فخار جلفار، أو مواقع الداخل مثل فخار بهلاء، أو أنه مستورد من خارج شبه الجزيرة العمانية مثل الخزف الصيني الأبيض والأزرق والسيلاون

الصيني والبورسلين الأوروبي والياباني، وهي أنواع كلها عثر عليها في موقع الفليج. ويبدو أن هذه الأنواع من الفخار المستورد نقلت إلى الفليج عبر موانئ ومستوطنات الساحل مثل ميناء صحر، وهذا ربما أيضاً مؤشراً على التواصل بين سكان الفليج ومجموعات الساحل. استخدم سكان الفليج هذا الفخار عبر الزمن في حفظ طعامهم وشرابهم وأدواتهم، وحتى في معتقداتهم حيث دفنوه مع موتاهم إيماناً منهم بأن المتوفى سينتقل إلى العالم الآخر، وبالتالي سيحتاج إلى هذا الفخار الذي ربما احتوى طعامه أو شرابه أو أدواته.

تعتبر حرفة صهر النحاس من الحرف الأخرى التي مارسها سكان الفليج، ويستدل على ذلك من مستوطنة صهر النحاس في المنطقة (B) والتي عثر فيها على بقايا خبث نحاس ومطارق حجرية وفخار مختلط بنسبة من خبث النحاس وقوالب طين محروق عليها طبقات كفوف. هذه المستوطنة كما أشرنا مسبقاً تضم بقايا أساسات جدران حجرية وقناة فلج وفتحات لتنظيف الفلج، وربما حفرة لتجميع المياه، والتي ارتبطت بنشاط صهر النحاس. تشير بقايا الكسر الفخارية المتناثرة على السطح إلى أن المستوطنة تعود في تاريخها إلى ربما العصر الحديدي والفترات الإسلامية المتأخرة/الحديثة، وبالتالي فإن حرفة صهر النحاس في الفليج ربما بدأت في هذه الفترة أو ربما قبل ذلك. وهناك أيضاً بقايا خبث نحاس أخرى عثر عليها في المنطقة (D).

أما عن الصناعات الحجرية فتتمثل في استخدام الحجارة في بناء المستوطنات والقبور ومرافقها والتي عثر عليها في معظم مناطق المسح، وأيضاً في صناعة الأدوات الحجرية التي عثر عليها في الموقع كالأدوات الصوانية والمطارق وغيرها، والتي شكلها إنسان الفليج واستخدمها، منذ

ربما العصر الحجري المتأخر، كأسلحة وكأدوات يستخدمها لتحصيل رزقه سواء في تقطيع الحيوانات وتهشيم عظامها أو تقطيع جذور الأشجار أو جمع ثمار النباتات، أو حتى في الحرف الأخرى المرتبطة مثلاً بصهر النحاس. وتشير الملاحظة الميدانية إلى أن هناك بعض الأماكن التي استخدمت كمقالع للحجارة (المناطق C، D، E).

٢- عادات الدفن في موقع الفليج:

تم الكشف أثناء المسح عن عدد كبير من العمارة الجنائزية الدفنية والتي تتوزع على كل مناطق موقع الفليج الست (المناطق A، B، C، D، E)، حيث تتباين في توزيعها وكتافتها والفترات الزمنية التي تعود إليها. ويعود أقدم هذه القبور إلى فترة حفيت وهي من نوع الركامات الحجرية وخلايا النحل، وهناك أيضاً قبور فترة أم النار، والعصر الحديدي، إضافةً إلى القبور الإسلامية، وتم الحديث بشكل مختصر عن خصائصها في استعراضنا للدليل الأثري، ولذلك سنحاول هنا التطرق لبعض من المؤشرات على عادات دفنية مُورست من قبل سكان الفليج في دفن موتاهم. ورغم أنه لم يتم التنقيب في أي من هذه القبور، إلا أن ما هو ظاهر من السطح يُعطي دلالات ومؤشرات على بعض عادات الدفن التي ربما هي مشابهة لما تم الكشف عنه في قبور من نفس الفترات في مناطق أخرى من شبه الجزيرة العمانية، وبالتالي يمكن الحديث عن بعض من هذه العادات والممارسات الدفنية في ضوء ما هو متوافر من دليل.

أنشأ سكان الفليج في فترة حفيت أيضاً نوعاً من العمارة الجنائزية التي تظهر اهتماماً بالموتوفى في موقع الفليج، وتتمثل في نوعين من القبور هما قبور الركامات الحجرية وخلايا النحل. من المتعارف عليه في الوسط الأثري أن العصر البرونزي المبكر (فترتي حفيت وأم النار) في شبه الجزيرة العمانية بدأ بإنشاء عمارة القبور التي يتميز بها المشهد الأثري الجنائزي (funerary landscape)

لهذا العصر، وهذا بطبيعة الحال ينطبق على الدليل الأثري المكتشف في موقع الفليج، فالدليل الأثري يشير إلى وجود عدد كبير من القبور البارزة على السطح والتي تأخذ شكل الركامات الحجرية وخلايا النحل، وشُيدت في مواضع مختلفة على قمم التلال والهضاب الصخرية والحصوية وحوافها ومنحدراتها وسفوحها، مما أعطاهما خاصية كونها سهلة التمييز حتى من مسافات بعيدة (ناصر سعيد الجهوري ٢٠١١، ص ٩-١٠). وتم الاقتراح مؤخراً (Deadman 2011 & 2012; Al-Jahwari, forthcoming) على أن هذه الخاصية لقبور فترة حفيت كونها مُشيدة على ارتفاعات عالية وظاهرة للعيان، إضافة إلى تمركزها في كثير من الأحيان في مواضع قريبة من مجاري الأودية التي تحتجز كميات كبيرة من المياه، خصوصاً أثناء مواسم سقوط الأمطار، وبالتالي ربما قربها من الأراضي الصالحة للمرعى، ربما تشير إلى أن هذه القبور بُنيت لتكون علامات لتحديد ملكية المرعى أو الإقليم الخاص بالمجموعات التي أنشأتها، والتي ربما كانت تمارس الرعي. ويشير الدليل الأثري المكتشف من قبور فترة حفيت في مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العمانية إلى أن الدفن كان جماعياً في غرفة دفن واحدة، إذ يتراوح عدد الأشخاص المدفونين في القبر الواحد عادةً ما بين واحد إلى أربعة (Frifelt 1976, p. 57 & 1975b, p. 386; 1975a, 67)، بينما بلغ أكبر عدد من الأشخاص المدفونين - والذي تم التعرف عليه إلى الآن - نحو ٣٠ فرداً (Salvatori 2001).

عثر أيضاً في موقع الفليج على مقابر من فترة أم النار، وهي قبور جماعية فوق السطح، ومشابهة لما عثر عليه في مناطق أخرى من شبه الجزيرة العمانية، وهي مقابر تأخذ نوعاً ما بعض الخصائص المعمارية من النوع السابق لها أي خلايا النحل، ومن أهمها القاعدة الدائرية التي استخدمت لتدعيم بناء القبر، والتي يمكن مشاهدتها في معظم القبور التي تعود لهذه الفترة والموجودة في المنطقتين (C, D). وهذا يُظهر

تطوراً في عمارة القبر، إذ شُيّدت قبور جماعية متعددة الغرف (ما بين غرفتين إلى عشر غرف في بعض الأحيان) بعد أن كانت قبوراً ذات غرفة دفن واحدة في فترة حفيت السابقة، وأصبحت القبور الجديدة أكثر تعقيداً من حيث الحجم والشكل العام، ومن حيث عدد عمليات الدفن التي وصل أكثرها إلى نحو ٤٣٨ فرداً كما كان الحال في قبر أونار ١ (438) (Unar 1 فرداً) برأس الخيمة (Blau 2001, Table 1).

يبدو أن الدليل من موقع الفليج يشير إلى انحسار الاستيطان في فترة وادي سوق (العصر البرونزي الوسيط والمتأخر)، فهناك ربما احتمال لوجود بعض القبور من فترة وادي سوق في المنطقة (D) والتي بنيت على هضبة حصوية على الضفة الشمالية من وادي المحوم . كما أشرنا إلى احتمالية وجود قبرين من وادي سوق في المنطقة (B) بُنيتا على بقايا أساسات حجرية تعود إلى فترة أم النار. رغم حالة الحفظ السيئة لهذه القبور، إلا أن بعضاً من خصائصها المعمارية الظاهرة على السطح ربما تتشابه مع الخصائص المعمارية لقبور وادي سوق المكتشفة في مواقع أخرى من شبه الجزيرة العمانية، والتي تتميز بالدفن تحت الأرض، إضافةً إلى أنها مُغطاه ومُعَلمة بالحجارة، وإن كانت غير مكتملة في كثير من القبور، وتظهر مجموعة من بلاطات الحجر الجيري على سطح هذه القبور وهي جزء من البلاطات التي استخدمت في تسقيفها. هذه القبور دائرية الشكل يتراوح قطر بعضها ما بين ١ م إلى ١,٥٠ م، وتتميز بوجود حلقتين دائرتين من الحجارة.

أما في العصر الحديدي فقد عرف سكان الفليج نوعاً آخر من عمليات الدفن، وهو الدفن الفردي في قبور صندوقية في باطن الأرض، إضافةً إلى الاستمرار في استخدام نفس نوعية القبور السابقة المبنية فوق الأرض خلال العصر الحديدي المبكر، والتي اختفت خلال العصر الحديدي المتأخر، هذا وربما شيّدوا أيضاً قبور تأخذ شكل قرص العسل كما هو الحال في المنطقة (A).

أما في الفترات الإسلامية فقد عثر في كل مناطق المسح في موقع الفليج على قبور إسلامية، والتي من الصعب تمييز تاريخها على وجه الدقة كون أنها متشابهة في بناءها ولا يمكن التنقيب عنها، وبالتالي لا نستطيع نسبتها لأي من الفترات الإسلامية المبكرة أو الوسيطة أو المتأخرة أو الحديثة.

الخاتمة:

حاولت هذه الدراسة استعراض النتائج الأولية للمسح الأثري الذي أجري في منطقة الفليج بولاية صحم. على الرغم من أن نتائج هذا المسح مبدئية حيث أن العمل لم ينته بعد، إلا أنه ساعدنا على رسم صورة عامة وأولية عن نمط الاستيطان في هذا الجزء الشمالي الداخلي-الساحلي من شبه الجزيرة العمانية، حيث أن معلوماتنا عن هذا الجزء لا تزال شحيحة، فعدد المواقع الأثرية المكتشفة إلى الآن قليل جداً مقارنةً بعدد المواقع المكتشفة من مناطق أخرى من شبه الجزيرة العمانية (انظر 2011b & Al-Jahwari 2008, pp.279-298). وتشير النتائج إلى وجود دليل أثري لاستيطان المنطقة منذ على الأقل العصر الحجري مروراً بالعصر البرونزي (فترات حفيت وأم النار وربما وادي سوق)، والعصر الحديدي وفترة سمد والفترات الإسلامية. لقد كشف المسح عن عدد كبير من القبور التي تنتمي إلى فترة حفيت، والتي نقترح أنها ربما بُنيت من قبل مجتمعات مارست الرعي وحركة الهجرات الموسمية، ووظفت القبور كعلامات لتحديد ملكية الإقليم أو المرعى. كما أن النتائج لا تشير إلى وجود أي بقايا سكنية تعود إلى هذه الفترة، وذلك ربما لأن هذه المجموعات الرعوية شيدت مساكنها من مواد عضوية قابلة للتلف والتحلل عبر الزمن (ناصر سعيد الجهوري ٢٠١١م).

إن نتائج هذا المسح هي أولية وتطرح بعض التساؤلات عن أنماط الاستيطان الخاصة بالمجموعات السكانية التي استقرت في منطقة الفليج، والتي من المؤمل أن تجيب عليها الأعمال الميدانية القادمة في المنطقة، فلا يزال العمل جارٍ

في توثيق الشواهد الأثرية المختلفة. ستتضمن المرحلة القادمة من العمل الأثري في الفلج تكملة توثيق المناطق التي تم مسحها في الموسم الأول، إضافةً إلى مسح المناطق الأخرى التي لم يتم مسحها بعد. هذا ومن المؤمل أيضاً إجراء تنقيبات في بعض الشواهد الأثرية، خصوصاً قبور فترة حفيت ومستوطنات أم النار ومواقع صهر النحاس، مما سيساعد في تقديم معلومات هامة تسهم في إثراء معرفتنا عن تاريخ وأنماط الاستيطان والتطورات الحضارية التي رافقتها والتي حدثت عبر الزمن. فمن بين أهم الشواهد الأثرية التي عثر عليها أثناء المسح هي مواقع صهر وتعددين النحاس مما يشير إلى استغلال للنحاس في المنطقة، وتضم هذه المواقع شواهد أثرية مختلفة كأفران الصهر ومرافقها وبقايا عملية الصهر كخام وخبث النحاس ومطارق حجرية وقطع طين محروق يضم طبقات كفوف وأصابع وكبس فخارية. إن دراسة مثل هذه المواقع الأثرية سيعطينا بعض الومضات والتوضيحات عن تعددين وصهر النحاس في إقليم الباطنة بشكل خاص، وشبه الجزيرة العمانية بشكل عام، فقد عثر على مواقع تعددين وصهر نحاس مشابهه في منطقة وادي الجزري في الجزء الداخلي من صحار، وهي لا تبعد عن الفلج إلا بحوالي ٨٠ كم. من هنا فإن دراسة مثل هذه المواقع في الفلج سيضيف الكثير إلى معلوماتنا عن تاريخ تعددين وصهر النحاس الذي يعود في تاريخه إلى الألف الثالث قبل الميلاد، ويستمر إلى الفترات الحديثة، وسينعكس هذا الأمر على فهمنا للتطورات الاقتصادية والاجتماعية التي رافقت هذه الحرفة في عمان منذ بداية ظهورها.

أولاً: المراجع العربية:

- عبدالله الجهوري ٢٠١٠م، "مقتنيات أثرية تعود إلى الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد"، جريدة الوطن، العدد ٩٩٥٨، السنة ٤٠.
- محمد علي البلوشي وعلي التجاني الماحي ٢٠٠٨م، "حفريات موسم ٢٠٠٧م في موقع بوشر، سلطنة عمان: دور الموقع والمصادر الطبيعية في نشأة

المستوطنات"، *أدوماتو*، يوليو، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص ص ٢٠٠٨، ٧-٢٧.

- ناصر سعيد الجهوري ٢٠١٠م، "قبور الركامات الحجرية في شبه الجزيرة العمانية: إشكالية التأريخ لقبور فترة حفيت (نهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبل الميلاد)"، *مجلة الدراسات العمانية*، العدد ١٦، ص ص ٩٣-١١٢.

- ٢٠١١م، العصر البرونزي في الجزء الغربي من إقليم جعلان، سلطنة عمان، *أدوماتو*، العدد ٢٤، ص ص ٧-٢٢.

- ناصر سعيدالجهوري وعلي التجاني الماحي ٢٠٠٧م، "جغرافية الموقع وثقافة المكان: نتائج حفريات موقع بوشر"، سلطنة عمان، *أدوماتو*، العدد ١٥، ص ص ٧-٣٤.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- Al-Jahwari, N. & Kennet, D. 2008: A Field Methodology for the Quantification of Ancient Settlement in an Arabian Context. *ISeminar for Arabian Studies*, 38, pp. 203-214.

- Al-Jahwari, N. S. 2008:; *Settlement Patterns, Development and Cultural Change in Northern Oman Peninsula: A multi-tiered approach to the analysis of long-term settlement trends*. Unpublished PhD. Durham University, UK.

- Al-Jahwari, N. S. 2009: The Agricultural Basis of Umm an-Nar Society in the Northern Oman Peninsula (2500-2000 BC). *Arabian Archaeology and Epigraphy*, 20 (2), pp.122-133.

- Al-Jahwari, N. S. 2011a: A Late Iron Age Settlement in Mahleya, Oman. *Journal of Oman Studies*, 17, pp. 73-100.

- Al-Jahwari, N. S. 2011b: Quantified Analysis of Long-term Settlement Trends in Northern Oman Peninsula. *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies*, 41, pp.1-12.

- Al-Jahwari, N. S. (forthcoming): The Early Bronze Age Funerary Archaeological Landscape of the Western Part of Ja'alan Region: results of three seasons of investigation. To be *Published in Arabian Archaeology and Epigraphy*.
- Al-Rahman, S. 1978/9: Excavations of Hili 2 Settlement, 1976-1979: Report of the Local Archaeological Team of the Department of Antiquities and Tourism'. *Archaeology of the United Arab Emirates*, 2-3, pp. 8-18.
- Al-Tikriti, W. Y. 1981: *Reconsideration of the Late Fourth and Third Millennium B.C. in the Arabian Gulf with Special Reference to the United Arab Emirates, vols.1-2*. Unpublished PhD Thesis, November, 1981, Trinity College, The University of Cambridge.
- Al-Tikriti, W. Y. 2002: The South-East Arabian Origin of the falaj System'. *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies*, 32, pp.117-140.
- Benton, J. N. 1996: Excavations at Al Sufouh: A Third Millennium Site in the Emirate of Dubai. In: D. T. Potts & M. C. A. Macdonald (eds.) *ABIEL I: New Research on the Arabian Peninsula*. Brepols: Turnhout.
- Blau, S. (2001) Fragmentary Endings: A Discussion of 3rd-millennium BC Burial Practices in the Oman Peninsula. *Antiquity*, 75, pp.557-570.
- Boucharlat, R. & Lombard, P. 1985: The Oasis of Al Ain in the Iron Age: Excavations at Rumeilah 1981-1983, Survey at Hili 14. *Archaeology of the United Arab Emirates*, 4, pp. 44-73.
- Boucharlat, R. 1984: Les Périodes Pré-Islamiques Récentes aux Émirats Arabes Unis. In: R. Boucharlat & J.-F. Salles (eds.) *Arabie Orientale, Mésopotamie et Iran Méridional, de l'Age du Fer au début de la Période Islamique*, ERC: Paris, pp. 189-197.

- Cleuziou, S. & Tosi, M. 1989: The South-Eastern Frontier of the Ancient Near East'. In: K. Frifelt & P. Sørensen (eds.) *South Asian Archaeology* 1985, 4, pp. 14-47.
- Cleuziou, S. & Tosi, M. 2007: *In the Shadow of the Ancestors: the Prehistoric Foundations of the Early Arabian Civilization in Oman*. The Ministry of Heritage and Culture: Muscat, Oman.
- Cleuziou, S. 1978/9: French Archaeological Mission at Hili 8 Settlement: Report of the 1st and 2nd Seasons, December 1977/March 1978 and December 1978/March 1979. *Archaeology of the United Arab Emirates*, 2-3, pp. 19-65.
- Costa, P. M. & Wilkinson, T. J. 1987: The Hinterland of Sohar: Archaeological Surveys and Excavations within the Region of an Omani Seafaring City. *Journal of Oman Studies*, 9.
- Costa, P. M. 1985: Studies on the Built Environment of the Batinah. *Journal of Oman Studies*, 8(2), pp. 109-210.
- Costa, P. M., Graziosi, G., Yule, P., Kunter, M., Philipps, C. & al -Shanfari, A. A. 1999: Archaeological Research in the Area of Muscat. In: P. Yule (ed.) *Orient-Archäologie, Band 2: Studies in the Archaeology of the Sultanate of Oman*, pp.1-90. Verlag Marie Leidorf GmbH: Rahden.
- de Cardi, B. & Doe, D. B. (1971) Archaeological Survey in Northern Trucial States. *East and West*, 21(3-4 September-December 1971), pp. 225-289.
- Deadman, W.M. 2011: *Early Bronze Age tombs in Wadi Andam, Oman: Using Google Earth and geographic information systems to examine their distribution in the landscape*. Unpublished undergraduate dissertation, Durham University.
- Deadman, W.M. 2012: Defining the Early Bronze Age landscape: a remote sensing-based analysis of Hafit tomb distribution in Wadi Andam, Sultanate of Oman. *Arabian Archaeology and Epigraphy*, 23(1): 26-34.

- Frifelt, K. (1975a) A Possible Link between the Jemdet Nasr and the Umm an-Nar Graves of Oman. *Journal of Oman Studies*, 1, pp. 57-80.
- Frifelt, K. 1975b: On Prehistoric Settlement and Chronology of the Oman Peninsula. *East and West*, 25(3-4), pp.359-424.
- Frifelt, K. 1976: Evidence of a Third Millennium B.C. Town in Oman. *Journal of Oman Studies*, 2, pp. 57-73.
- Frifelt, K. 1990: A Third Millennium Kiln from the Oman Peninsula. *Arabian Archaeology and Epigraphy*, 1(1 October 1990), pp. 4-15.
- Frifelt, K. 1991: *The Island of Umm an-Nar: Vol.1, The Third Millennium Graves*. Jutland Archaeological Society Publications 26. Aarhus University Press, Aarhus.
- Frifelt, K. 1995: *The Island of Umm an-Nar: Vol.2, The Third Millennium Settlement*. Jutland Archaeological Society Publications 26. Aarhus University Press, Aarhus.
- Kennet, D. 1997: Kush: a Sasanian and Islamic-period Archaeological Tell in Ras al-Khaimah (U.A.E.). *Arabian Archaeology and Epigraphy*, 8, pp. 284-302.
- Kennet, D. 2004: (with a contribution by Regina Krahl) *Sasanian and Islamic Pottery from Ras al-Khaimah: Classification, Chronology and Analysis of Trade in the Western Indian Ocean*. Society for Arabian Studies Monographs No.1. BAR International Series 1248, 2004. Archaeopress, Oxford.
- Lombard, P. 1985: *L'Arabie Orientale à l'Âge du Fer*. Unpublished PhD Thesis. Submitted to the Université de Paris I, Paris.
- Magee, P. & Carter, R. 1999: Agglomeration and Regionalism: Southeastern Arabia between 1400 and 1100 BC. *Arabian Archaeology and Epigraphy*, 10(2 November 1999), pp. 161-179

- Magee, P. 1996: The Chronology of the Southeast Arabian Iron Age. *Arabian Archaeology and Epigraphy*, 7(2 November 1996), pp. 240-252.
- Magee, P. 1998b: Settlement Patterns, Politics and Regional Complexity in the Southeast Arabian Iron Age. *Paléorient*, 24(2), pp. 49-60.
- Magee, P. 2003: New Chronometric Data Defining the Iron Age II Period in South-Eastern Arabia. *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies*, 33, pp.1-10.
- Magee, P. 2004: The Impact of Southeast Arabian Intra-Regional Trade on Settlement Location and Organization during the Iron Age II Period. *Arabian Archaeology and Epigraphy*, 15(1 May 2004), pp. 24-42.
- Magee, P., Grave, P., al-Tikriti, W.Y., Barbetti, M., Yu, Z. & Bailey, G. 1998: New Evidence for Specialised Ceramic Production and Exchange in the Southeast Arabian Iron Age. *Arabian Archaeology and Epigraphy*, 9(2 November 1998), pp. 236-245.
- Potts, D. T. 1978: Towards an Integrated History of Culture Change in the Arabian Gulf Area: Notes on Dilmun, Makkan and the Economy of Ancient Sumer. *Journal of Oman Studies*, 4, pp. 29-51.
- Potts, D. T. 1991: *Further Excavations at Tell Abraq: The 1990 Season*. Munksgaard: Copenhagen.
- Potts, D. T. 1993a: A New Bactrian Find from Southeastern Arabia. *Antiquity*, 67(256 September 1993), pp. 591-596.
- Potts, D. T. 1993b: Four Seasons of Excavation at Tell Abraq (1989-1993). *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies*, 23, pp. 117-126.
- Potts, D. T. 1994: South and Central Asian Elements at Tell Abraq (Emirate of Umm Al-Qaiwain, United Arab Emirates),

c.2200 BC- AD 400. *South Asian Archaeology* 1993, 2, pp. 615-628.

- Salvatori, S. 2001: Excavations at the Funerary Structures HD10-3.1, 3.2, 4.1, 4.2 and 2.1 at Ra's Al-Hadd (Sultanate of Oman). *Estratto da Rivistadi Archeologia*, 25: 67-77. Giorgio Bretschneider Editore, Roma.

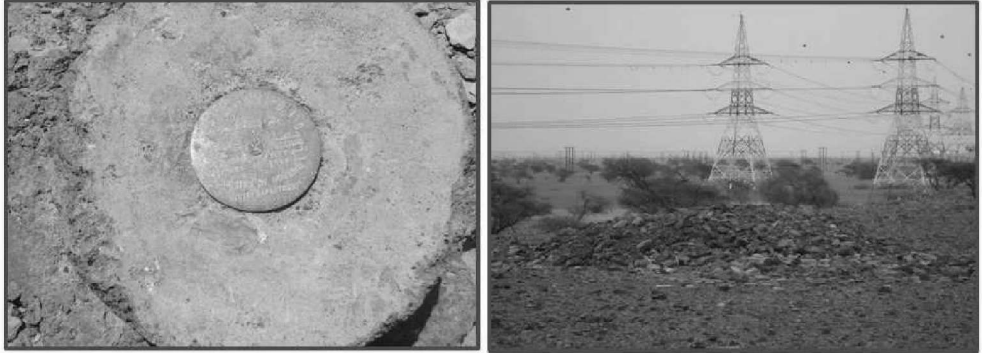
- Yule, P. 2001: *Die Gräberfelder in Samad al-Shān (Sultanat Oman): Materialien zu einer Kulturgeschichte*. Orient-Archäologie, 4. Deutsches Archäologisches Institut Orient-Abteilung: Verlag Marie Leidorf GmbH, Rahden.



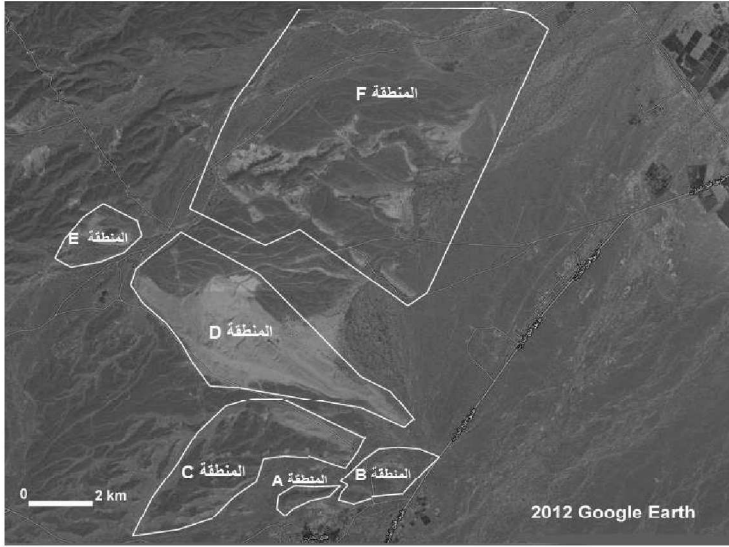
الشكل (١) خارطة توضح موقع الفليج في سلطنة عمان



الشكل (٢) الموقع الجغرافي والوضع الجيولوجي لمنطقة الدراسة



الشكل (٣) تأثير المشاريع التنموية على الآثار في منطقة الفليج



الشكل (٤) مناطق المسح في منطقة الفليج



الشكل (٥) توزيع أنواع الشواهد الأثرية حسب الفترة الزمنية في كل منطقة



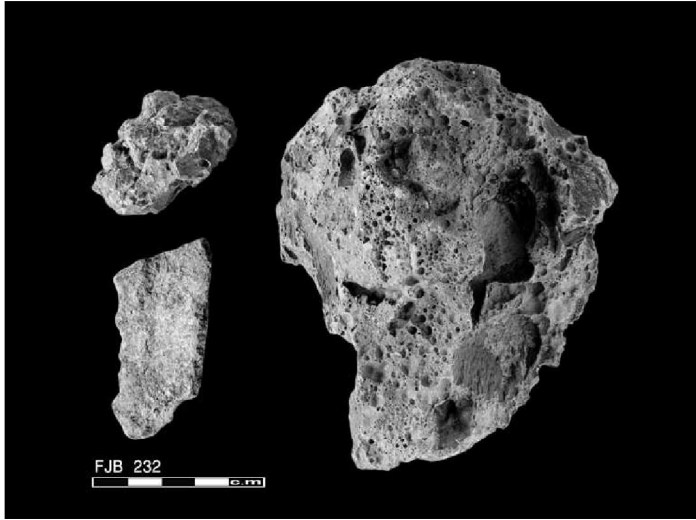
A الشكل (٦) بعض قبور حفيت الركامية في المنطقة



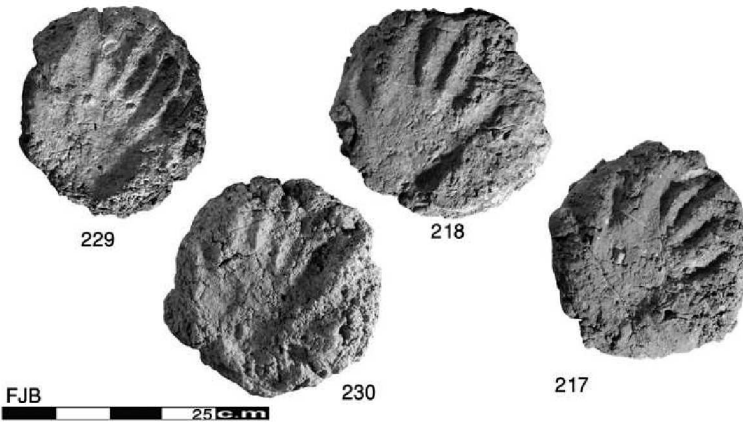
B الشكل (٧) أحد قبور فترة حفيت الركامية في المنطقة



B الشكل (٨) نوع من أنواع الأصداف المكتشفة في المنطقة



الشكل (٩) بقايا خام وخبث نحاس من أحد مستوطنات المنطقة B



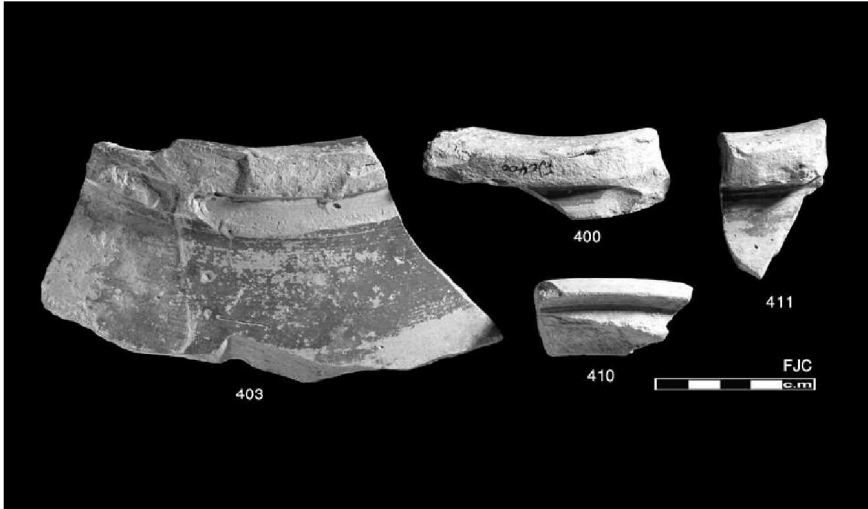
الشكل (١٠) قوالب طين محروق يضم طبقات كفوف عشر عليها في مستوطنة B صهر نحاس بالمنطقة



B الشكل (١١) بناء مربع الشكل في المستوطنة المكتشفة بالمنطقة



الشكل (١٢) قاعدة حجرية لأحد قبور فترة أم النار في المنطقة C



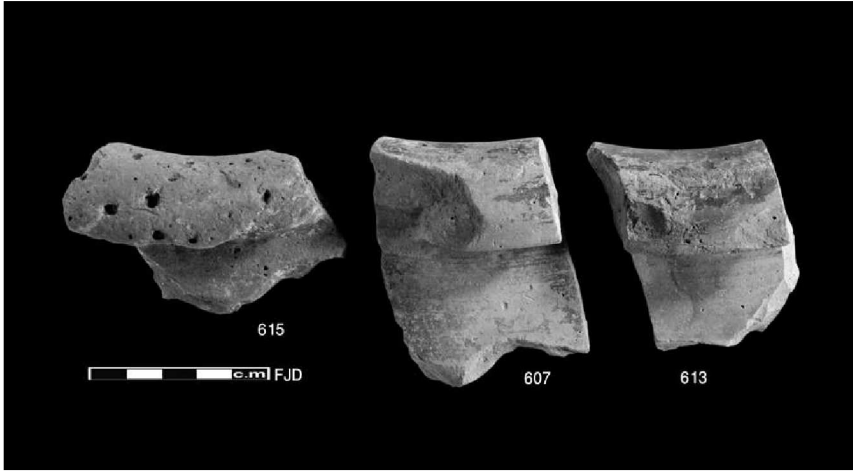
الشكل (١٣) كسر فخارية من فترة أم النار عثر عليها بين أنقاض القبور المكتشفة في المنطقة C



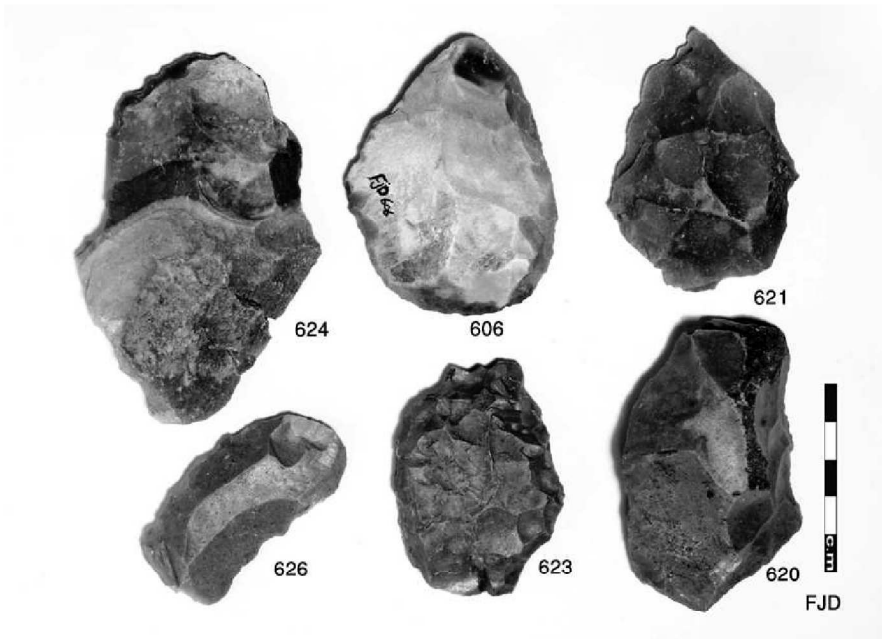
D الشكل (١٤) أحد قبور أم النار المحتملة في المنطقة



D الشكل (١٥) أحد قبور وادي سوق المحتملة في المنطقة



D الشكل (١٦) كسر فخارية من فترة أم النار عثر عليها في المنطقة



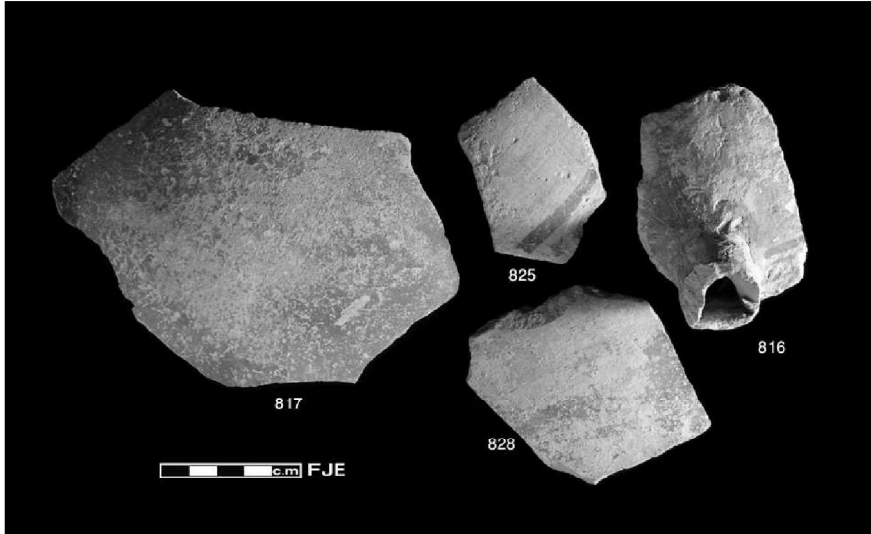
D الشكل (١٧) قطع لما يمكن أن يكون أدوات صوانية من المنطقة



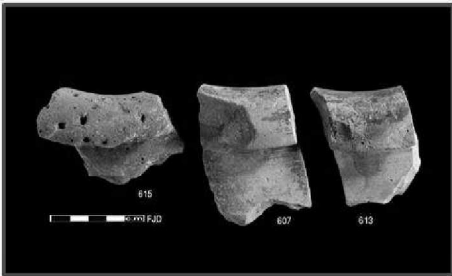
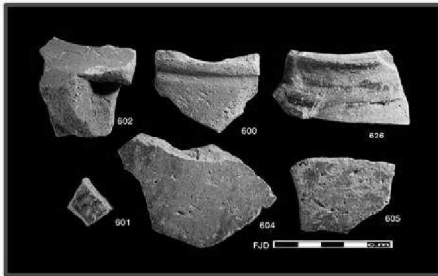
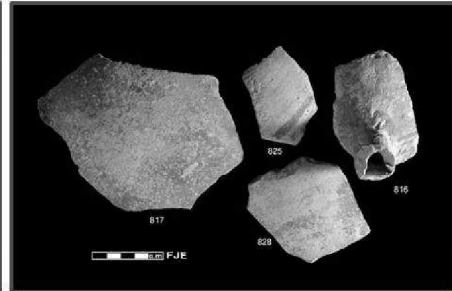
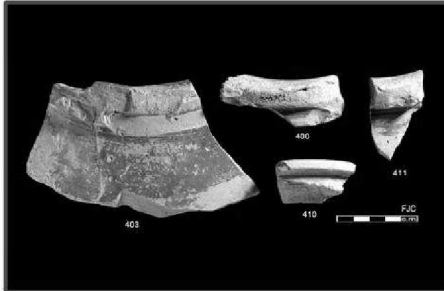
E الشكل (١٨) قبور حفيت الركامية وخلايا النحل في المنطقة



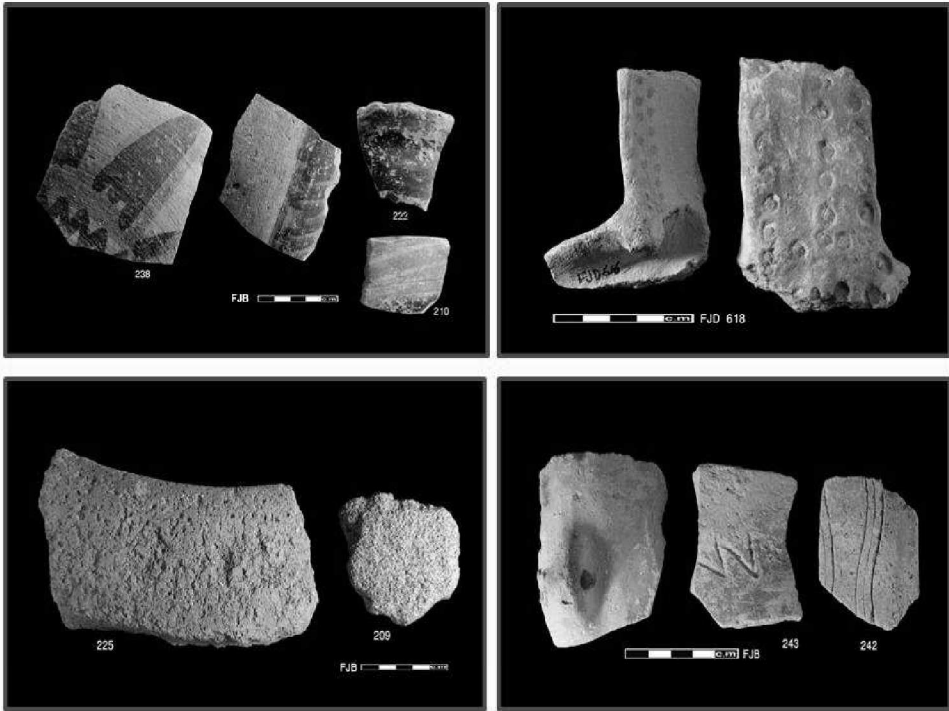
E الشكل (١٩) قبر خلية نحل في المنطقة



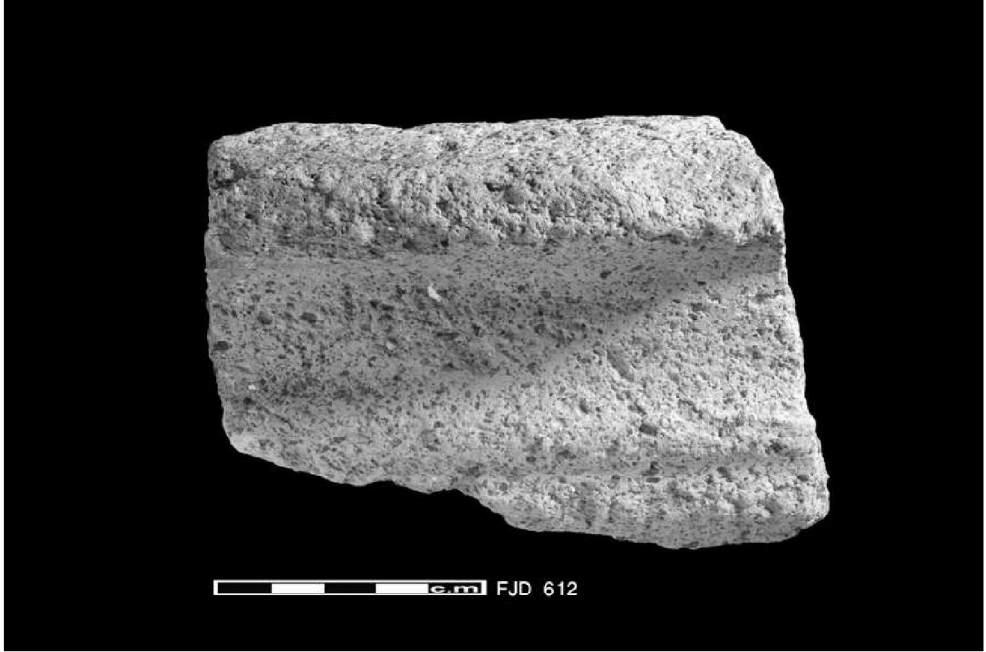
E الشكل (٢٠) كسر فخارية من فترة أم النار عثر عليها في المنطقة



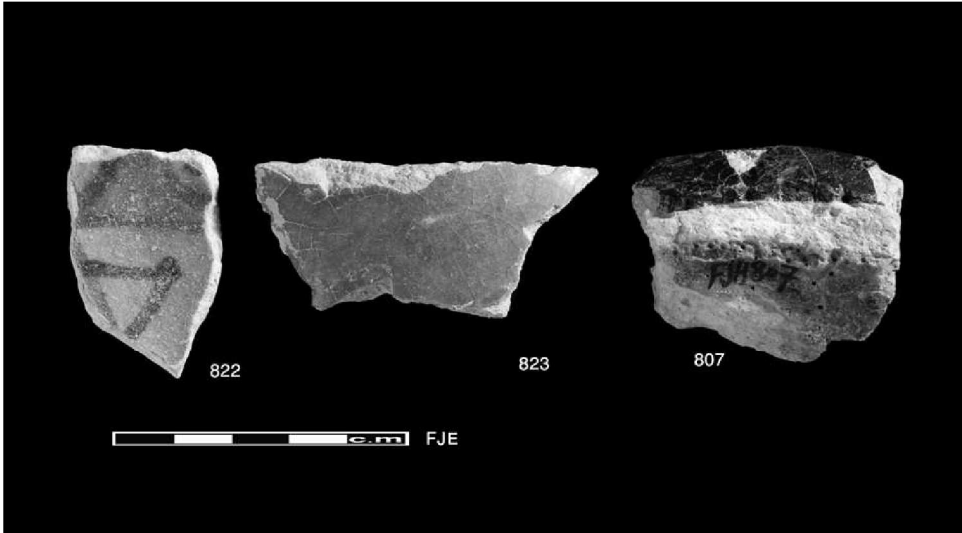
الشكل (٢١) نماذج لأنواع من فخار فترة أم النار المكتشف في مختلف مناطق
المسح



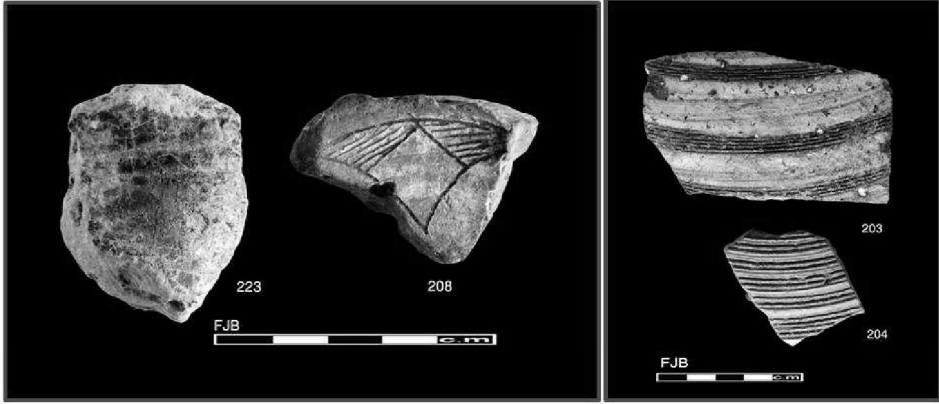
الشكل (٢٢) نماذج لأنواع مختلفة من فخار العصر الحديدي المبكر والمكتشفة في مناطق المسح المختلفة



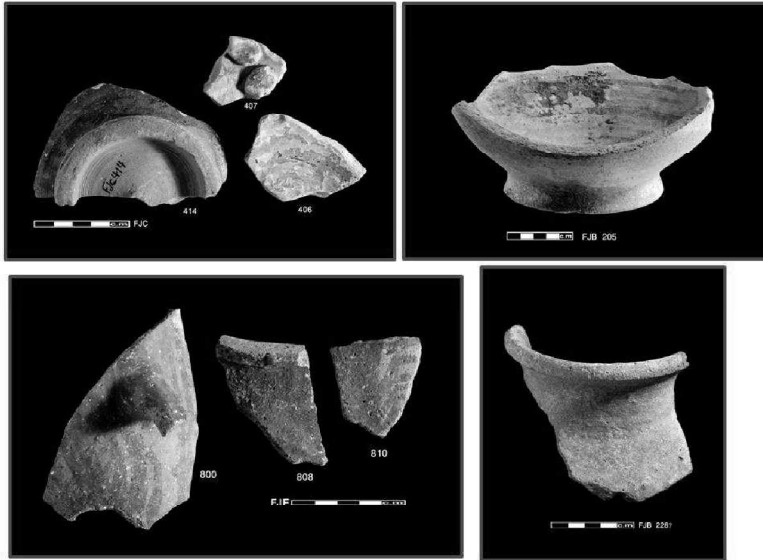
الشكل (٢٣) كسرة فخارية من فترة العصر الحديدي المتأخر أو فترة سمد



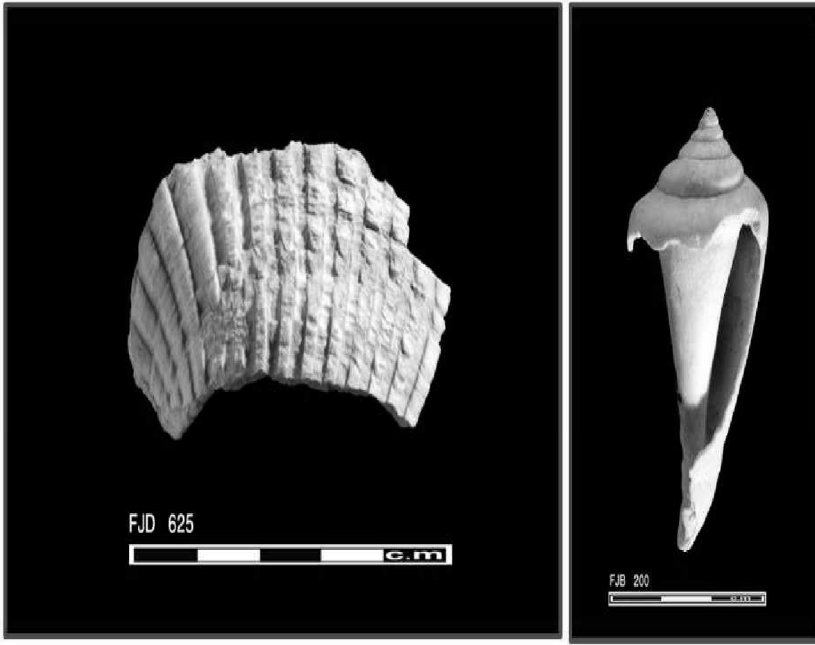
الشكل (٢٤) فخار أخضر مزجج ربما يعود إلى الفترة الإسلامية المبكرة



الشكل (٢٥) الفخار النبهاني (يمين) والسكرافياتو (يسار) من الفترة الإسلامية
الوسيطة



الشكل (٢٦) فخار بهلاء (الأعلى) وجلفار (الأسفل) من الفترة الإسلامية المتأخرة



الشكل (٢٧) أصداف مختلفة من المسح



الشكل (٢٨) مطارق حجرية من موقع صهر النحاس في المنطقة ب

الجامعة والمتحف في دول الخليج العربية

د. محمد بن علي البلوشي

أ. مساعد - جامعة السلطان قابوس

مقدمة:

أدى اكتشاف النفط في دول الخليج العربية إلى إحداث تغييرات كبيرة فيها طالت كل البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية. وقد كان من بين أبرز نتائج تلك التغييرات المجتمعية تأسيس عدد من الجامعات لأول مرة في تاريخ المنطقة. وبالنسبة لشعوب تستفيق من غفوتها الحضارية الطويلة فإنه من الطبيعي أن تركز كل التخصصات المطروحة في تلك الجامعات إلى إيجاد كوادر وطنية قادرة على تشغيل وإدارة المؤسسات المختلفة التي كانت جميعها ترتبط بجوانب الحياة الأساسية كالزراعة والتعمير والاقتصاد والنقل والخدمات الحياتية الأخرى التي كانت المجتمعات بحاجة ماسة إليها، والتي لذلك تسنمت سلم الأولويات في الخطط الاستراتيجية والتنمية الأولى لبلدان هذه المنطقة. ومع بعض الاستثناءات البسيطة التي تظهر في هذه الدولة أو تلك فإنه لم تظهر في السنوات الأولى التي تلت مباشرة تصدير النفط، أي توجهات واضحة نحو إيجاد مؤسسات أو كوادر متخصصة في حفظ التراث بأشكاله المختلفة.

ومع بداية الانفتاح الحقيقي لهذه المنطقة على العالم (منذ سبعينات القرن الماضي) تسارعت المشاريع التنموية فيها بشكل كبير. واعتماداً على عائدات تصدير النفط الخام شرعت الحكومات في إنشاء البنى الأساسية كالشوارع الكبيرة، والموانئ، والمطارات، والمناطق السكنية الجديدة. أدى هذا التسارع التنموي إلى اختصار الكثير من مراحل التطور الطبيعية التي كان يفترض أن تمر بها هذه

المجتمعات، وبدأت الأجهزة التكنولوجية الجديدة تزامم المعارف التقليدية المتوارثة وتلغي في كثير من الأحيان وظائفها وبالتالي مكانتها المجتمعية. فعلى سبيل المثال، تغيرت الأنماط المعمارية التي كانت سائدة في فترة ما قبل النفط بشكل شبه جذري، وحل بديلاً لها أنماط أخرى دخيلة لا تمت بصلات كبيرة مع الأنماط التقليدية السابقة. ولعل من يتتبع هذه التغيرات سيلاحظ عدم وجود ذلك التطور التدريجي في أشكال الأبنية، ومعمارها، ومواد بنائها، وفضاءاتها المكانية، وغيرها من العناصر المعمارية التي عادة ما تحتاج إلى فترات زمنية طويلة لتتطور أو تتغير، والتي أيضاً عادة ما تكون امتدادات للأنماط المعمارية السابقة. أدت هذه القفزات التحديثة إلى تعرض الكثير من المواقع الأثرية، والعناصر، والرموز الثقافية الملموسة وغير الملموسة إلى خطر الاندثار أو التدهور.

أفضى هذا التدهور غير المسبوق في البنى الثقافية الملموسة وغير الملموسة لهذه البلدان، إلى الإدراك المبكر للحكومات لما قد تتسبب فيه هذه الوتيرة المتسارعة للمشاريع التنموية من تهديدات للتراث بكل أشكاله. ولذلك بدأت هذه الحكومات في إنشاء دوائر صغيرة ضمن الوزارات المعنية بالثقافة وذلك بغرض حفظ وإدارة هذا التراث ومعالجة المهددات والمخاطر التي تعتوره. وسعيها نحو دراسة هذا التراث قامت هذه الدوائر بدعوة العديد من البعثات الأثرية الأجنبية - التي كان بعضها يجري بحوثه في دول الجوار - لإجراء بحوثهم وتنقيباتهم على آثار وتراث المنطقة؛ فاتحة بذلك نافذة في جدار العزلة الذي ظل صلباً مصمتاً في وجه الباحثين لعقود طويلة. أدت هذه التنقيبات والمسوحات الأثرية التي قام بها هؤلاء الباحثين بدعم مالي ولوجستي من الحكومات إلى تكوين مجموعات من القطع الأثرية والإثنوجرافية والعينات الإيكولوجية لدى تلك الدوائر. وقد شكلت هذه القطع والعينات فيما بعد النوى الأولى للمتاحف في دول الخليج العربية.

على الرغم من التشابه الكبير بين الجامعة والمتحف من حيث أنهما ظهرا معاً في الفترة التالية لاستكشاف وتصدير النفط، ومن حيث أن توجهاتهما وأهدافهما الأساسية المتمثلة في الجانب التعليمي متشابهة إلى حد كبير، إلا أنهما ظلا منذ تأسيسهما وحتى اليوم يعملان بشكل منفصل، دون أن تكون هناك أي محاولات جادة من أيٍّ منهما لإيجاد نوع من التعاون الحقيقي مع الآخر. حيث يمكن أن نرى المتاحف اليوم تفتقر إلى ما يمكن أن تقدمه لها الجامعات من كوادر قادرة على تشغيلها وإدارتها بشكل منهجي. وفي الجانب الآخر، فإن الفرص التعليمية والبحثية التي يفترض أن تقدمها المتاحف لطلاب الجامعات والباحثين على السواء ظلت مهمشة وغير مستغلة. وفي ظل غياب الدراسات التي تسبر أسباب هذا الافتراق بين المؤسستين، تأتي هذه الدراسة لتجسر هذه الهوة المعرفية من خلال سعيها نحو استقصاء وتشخيص طبيعة العلاقة بين هاتين المؤسستين، وتحديد المؤثرات التي أسهمت في تشكيل هذه العلاقة.

استند البحث على إجراء مسح للتعرف على الجامعات الخليجية (الحكومية وغير الحكومية) التي تطرح برامج أكاديمية خاصة بالمتاحف أو العلوم المرتبطة بها كالأثار والتاريخ، وذلك بغية قياس مدى تأثير تلك البرامج في إعداد متخصصين قادرين على رفد المتاحف بمهاراتهم وخبراتهم. كما تضمن البحث أيضاً القيام بمسح شامل للمتاحف الخليجية من حيث أعدادها، وتوزيعها، وهياكلها، ومواضيعها، ومحتوياتها، وفرص العمل بها، وكيف أثرت كل هذه المعطيات في توجه الجامعات الخليجية نحو البرامج الأكاديمية المتخصصة في علم المتاحف وتطبيقاته. اعتمد البحث كذلك على تتبع الكيفية التي تطور بها البحث الأثري في دول الخليج العربية، والكيفية التي أسهم بها هذا البحث في تطوير البنى الأساسية للهيئات المعنية بالمتاحف في هذه الدول. وتتوجب الإشارة هنا إلى أن هذه الورقة ليست دراسة تاريخية لتطور الجامعات والمتاحف، بل هي محاولة لسبر العلاقة

القائمة بين هاتين المؤسستين في منطقة تعد من بين أكثر مناطق العالم نمواً وتغيراً. سيلاحظ القاريء بأن التركيز في هذه الدراسة ينصب على التراث الأثري والثقافي أكثر من الأشكال الأخرى للتراث كالتراث الطبيعي. ولهذا ما يبرره، حيث أن أوائل المتاحف في هذه المنطقة تأسست على أيدي الأثريين، كما أنها (أي المتاحف) تشكلت في تلك الأثناء كنتاج لما تم جمعه من قطع أثرية بواسطة البعثات الأثرية الأجنبية التي تعاقبت على المنطقة (Rice 1994).

بدايات البحث الأثري في دول الخليج العربية:

يعد البحث الأثري في الخليج العربي حديثاً نسبياً؛ إذ لم يكن بالإمكان الحديث عن آثار هذه المنطقة كتكوين ثقافي مترابط الأجزاء إلا في العقود الأخيرة من القرن الماضي. أما قبل ذلك فقد مضى زمن طويل كان فيه هذا الجزء من العالم طيَّ النسيان والتهميش، وكان ينظر إليه على أنه منطقة تخلو من ما يمكن أن يشكل (من الجانب الأثري على الأقل) أهمية معرفية أو استكشافية. وحتى وقت قريب لم تكن هناك إلا إشارات عابرة لماضي هذه المنطقة وتراثها بشقيه الثقافي والطبيعي، خصوصاً تلك التي تعود إلى فترات ما قبل الإسلام. ومع ذلك، فإن تاريخ المنطقة لا يمكن الحديث عنه دون الانتباه لتأثير الدين الإسلامي في تشكيل التراث الثقافي ليس للمنطقة فحسب وبل وللعالم أجمع. ومما لا شك فيه أن هذه الثقافة كانت معروفة بشكل جيد من قبل الأوروبيين (رايس ٢٠٠٢م، ص ٢١).

لكن هذا لا يعني بأن شبه الجزيرة العربية كانت دوماً تراوح عزلتها التامة؛ بل توافد إليها العديد من الرحالة الذين غامروا باجتياز قفارها مستكشفين سحرها، ورمالها، وحياة سكانها، وكتب بعضهم ما يمكن أن يعد الأسطر الأولى التي قدمت جزءاً يسيراً من ثقافة المنطقة إلى العالم الغربي. ولعل كتاب الرحالة الدانمركي كارستن نيبور - الذي نشر لأول مرة في العام ١٧٧٤م، وبعدها مترجماً إلى اللغة الإنجليزية في العام ١٧٩٢م - يعد من بين أبرز النصوص الأولى التي أعادت شبه

الجزيرة العربية إلى أذهان علماء الآثار الأوروبيين (Niebuhr 1792). أما ما يمكن أن يطلق عليه علم آثار شبه الجزيرة العربية فهو كما يصفه مايكل راييس بأنه "ظاهرة من ظواهر القرن العشرين من الناحية الجوهريّة، فهو في كل الظروف نتاج ما بعد الحرب العالمية الثانية لاستكشاف احتياطات النفط في شبه الجزيرة العربية، والذي يتعطش له العالم الصناعي تعطشا شديدا" (رايس ٢٠٠٢م، ص ٢٣). إضافة إلى ذلك، فإنه من المجحف تجاهل الدور المستتير للحكومات في حفظ وصون التراث الأثري في ذلك الوقت المبكر الذي كانت فيه المنطقة تئن تحت وطأة التهميش والانعزال عن العالم، وما رافق ذلك من تقهقر عن ركب الحضارة الحديثة التي كانت تزدهر بشكل متسارع ليس في أوروبا فحسب بل في بعض البلاد العربية أيضا. ومع ذلك، فإنه يمكن القول بأن أنشطة البحث الأثري وإدارة الموارد الأثرية بدأت متأخرة في دول الخليج العربية مقارنة مع بعض الدول الغربية (كالمملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية)، وبعض الدول العربية (كمصر والعراق) التي تجسدت فيها ملامح، ونظريات، وتطبيقات إدارة التراث الأثري في وقت مبكر.

ويمكن ردّ تأخر بدء الاستكشافات الأثرية الممنهجة في المنطقة إلى عدد

من الأسباب يمكن إيجازها في الآتي:

(١) ظلت دول شبه الجزيرة العربية بمنأى من مطامع القوى الغربية الاستعمارية والتي كان لوجودها في دول عربية أخرى أثر كبير في تأسيس الممارسات الأولى للبحث الأثري في تلك الدول.

(٢) ظل علماء الآثار الغربيين - حتى السنوات الأولى لخمسينيات القرن العشرين - ينظرون إلى الحضارات القديمة التي تعاقبت على شبه الجزيرة العربية على أنها مجرد مناطق ظل هامشية تقع أسفل الحيطان العالية للحضارات الكبيرة التي ظهرت في مصر وبلاد الرافدين وويلام وواي الإندس.

(٣) صعوبة البيئة الجافة والقاسية، وصعوبة الجبال والطرق الوعرة التي تفصل هذه المنطقة عما حولها من مراكز حضارية كبيرة.

(٤) عدم استقرار الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

وبتتبع الجذور التاريخية لتفاعل المنطقة مع أوروبا، فإنه يمكن القول بأن إقصاء البرتغاليين من المحيط الهندي وبعض أجزاء شبه الجزيرة العربية في منتصف القرن السابع عشر الميلادي كان أحد الأسباب الرئيسة وراء نشوء علاقات تجارية وطيدة بين حكومات وزعماء المنطقة والقوى الأوروبية المتنافسة على التجارة في هذا الجزء من العالم كبريطانيا وفرنسا وهولندا. مهدت هذه العلاقات الجديدة السبل لعدد من الرحالة والباحثين الأوروبيين لزيارة شبه الجزيرة العربية بدءاً من النصف الثاني للقرن السادس عشر. وقد كتب هؤلاء كنتاج لرحلاتهم عدداً من المقالات ينظر إليها اليوم على أنها أوائل الملاحظات على الجوانب الأثرية والأنثروبولوجية والمعمارية في المنطقة. كما أنهم قاموا بجمع أوائل العينات الأثرية والإثنوجرافية والطبيعية التي عرضت فيما بعد في المتاحف الأوروبية.

باستثناء بعض كتابات الرحالة الأوروبيين في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين وكذلك الاستكشافات الأثرية المبكرة وغير المنهجية التي أجريت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فإنه لم يكن هناك بحثاً أثرياً ممنهجاً حول آثار هذه المنطقة، إلا مع بداية النصف الثاني من ذلك القرن. من بين هذه الدراسات المبكرة، تلك التي أجراها في البحرين الكابتن البريطاني ديوراندي (Captin E. L. Durand بين عامي (١٨٧٨ - ١٨٧٩م) (Durand, 1880) ، وتعتبر أول وثيقة أثرية عامة عن الخليج وجزر البحرين، وهي كذلك أول محاولة لمراجعة ماضي تلك المنطقة منذ إرسال الإسكندر لقادته البحارة لمسح الساحل العربي وجزره (رايس ٢٠٠٢م، ص ٥١-٥٢). ومن بين المسوحات أيضاً تلك التي قام بها تيودور بنت وزوجته (Theodore Bent) في عام ١٨٨٩م، واللذين

قاما بحفر بعض تلال القبور في البحرين (Bent, 1890) وقاما فيما بعد بعرض ما اكتشفاه من لقى أثرية في المتحف البريطاني حيث توجد تلك القطع حتى اليوم (رايس ٢٠٠٢م، ص ٧٩).

وعلى الرغم من إسهام تلك الحفريات المبكرة في تحطيم أجزاء كبيرة من الدليل الأثري في المواقع التي تم التنقيب فيها إلا، أنها أسهمت في لفت انتباه الكثير من الباحثين الغربيين، وفي دفعهم للقدوم لإنجاز دراساتهم في المنطقة. إذ أدى نشر تقارير تلك الحفريات المبكرة إلى لفت انتباه بعض الهيئات العلمية الغربية كالمتحف البريطاني وهيئة المسوح الأثرية الهندية إلى ما يمكن أن تضمه المنطقة من تراث أثري يستحق الاستكشاف، وأدى ذلك إلى قيام تلك المؤسسات بإرسال عدد من الباحثين إلى المنطقة لكتابة بعض التقارير التي أسهمت في تعميق فهم التاريخ القديم للمنطقة، إضافة إلى المساحين والاستخباراتيين الذين كانت ترسلهم بين الفينة والأخرى القوى الأوروبية المهيمنة على المحيط الهندي وتجارته.

على الرغم من أهميتها الكبيرة، لم ينتج عن التقارير والدراسات المتناثرة التي كتبت قبل اكتشاف النفط أي عمل بحثي منظم تتبناه مؤسسة بحثية متخصصة. واستمر هذا الوضع حتى عام ١٩٥٣م حين وصلت بعثة دانمركية تضم مجموعة من الباحثين على رأسهم ب. ف. جلوب (P. V. Glob) وجيوفري بيبى (G. Bibby) إلى البحرين (Bibby 1970; Glob 1968). قامت هذه البعثة بدراسة تلال المقابر في البحرين، وتوصلت إلى استكشافات ونتائج مبهرة تتعارض والنظرة الضيقة التي ظلت مهيمنة في أذهان الآثريين الأوروبيين حول ضالة السجل الأثري للحضارات التي تعاقبت على المنطقة. وإثر النتائج المشجعة للحفريات التي أنجزتها في البحرين قامت هذه البعثة بتوسيع نطاقها البحثي في المناطق المجاورة، وذلك سعياً نحو إعادة بناء الأجزاء المتبقية من قصة حضارة هذا المكان (جلوب ٢٠٠٣م). إذ بدأ الدانمركيون في العمل في قطر في العام ١٩٥٦م وذلك إثر اتفاق

مع الحكومة للقيام بأعمال تنقيب عن الآثار في أرجاء البلاد، واستمر هذا العمل حتى العام ١٩٦٩م (الخليفي ٢٠٠٠م، ص ١٥-١٨). وعند نهاية الستينيات امتد نطاق البحث ليشمل أبو ظبي والبريمي وبعض المناطق الشمالية من عمان كموقع بات في عبري. أدت نتائج هذه الاستكشافات إلى تكوين صورة أولية عن تاريخ المنطقة في الفترات السابقة للإسلام؛ الأمر الذي اجتذب عددا من الباحثين الذين كانوا يجرون دراساتهم في المناطق المجاورة كوادي الإندس وبلوشستان وإيران للقدوم إلى المنطقة لاستكمال الأجزاء المتبقية لقصة الإنسان في المنطقة.

مع تصدير أول شحنة تجارية من نפט الخليج في عام ١٩٣٢م تحولت المنطقة إلى بؤرة اهتمام الاقتصاد العالمي، وكأنما يعيد التاريخ سيرته الأولى التي كان عليها قبل بضعة آلاف من السنين حين كانت منطقة الخليج العربي تلعب دور الوسيط في التجارة القديمة بين الحضارات الكبرى كمصر وبلاد الرافدين ووادي الإندس. ومع ازدياد العوائد التي تم جنيها من تصدير النفط، بدأت تظهر العديد من المهددات التي جعلت تراث المنطقة عرضة للاندثار. ولعل أبرزها المشاريع التنموية المتسارعة، التي دفعت الحكومات إلى تنفيذ إجراءات وقائية لحماية ذلك التراث؛ فأنشأت هيئات وسنت قوانين للحفاظ على التراث بأشكاله المتنوعة. وقد أدى ذلك إلى تضاعف حجم تلك الدراسات التي كان من بينها عدد من الدراسات الأثرية (Potts 1990, p. 8). وبمنظرة متفحصة للمنجز البحثي الذي تحقق في المراحل الأولى للعمل الأثري في المنطقة يمكن القول بأن معظم الدراسات التي أنجزت آنذاك كانت عبارة عن مسح أثرية شاملة لأجزاء كبيرة من المنطقة، وذلك من أجل التعرف على التاريخ العام للمنطقة. أما الدراسات التفصيلية والنوعية فقد بدأت في التحقق فيما بعد. كما ظهر نوع من التعاون المشترك بين البعثات الأثرية الأوروبية والأمريكية لإجراء دراسات معمقة على بعض المواقع، استمر بعضها لعقود. وقد لعبت هيئات الآثار الخليجية، والمراكز البحثية التي ينتمي إليها أولئك

الباحثين أدواراً كبيرة في دعم ذلك التعاون. ويبرز المشروع البحثي المشترك الذي أجري في موقع رأس الجنز بسلطنة عمان كمثال جليّ على ذلك التعاون العلمي (Cleuziou and Tosi 2000). كما ظهر باحثون من نفس أبناء المنطقة (انظر Potts 1998)، وأسهمت قوانين الآثار في تنظيم العمل الأثري، وحماية المواقع من النهب، وكذلك من الدراسات العشوائية غير المصرح لها التي كانت سائدة في الماضي (انظر Al-Belushi 2012)، وأسهم وعي الحكومات والأفراد على السواء بأهمية التراث وضرورة حفظه.

تأسيس الجامعات في دول الخليج العربية :

يعود تأسيس الجامعات في المنطقة إلى بداية النصف الثاني من القرن العشرين، وتعد جامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية أول جامعة في المنطقة، حيث تم افتتاحها في ١٩٥٧م (King Saud University 2012). وبعد ذلك بفترة ليست بطويلة افتتحت جامعة الكويت في عام ١٩٦٦م (Kuwait University 2012)، وجامعة قطر في عام ١٩٧٣م (Qatar University 2012)، ثم جامعة الإمارات التي افتتحت في عام ١٩٧٦م. وفي عام ١٩٨٦م افتتحت في عمان جامعة السلطان قابوس (Sultan Qaboos University 2012)، وفي البحرين جامعة البحرين التي كانت أساساً عبارة عن عدد من الكليات تم افتتاح أقدمها في نهاية الستينيات (University of Bahrain 2012). هدفت الحكومات من تأسيس هذه الجامعات إلى خلق كوادر وطنية قادرة على الإيفاء بمتطلبات التنمية غير المسبوقة في تاريخ المنطقة. ولذلك ركزت تلك الجامعات على التخصصات التقنية التي كان المجتمع في أمس الحاجة إليها لبناء مشاريع البنية الأساسية. ولسنوات طويلة اقتصر التعليم الجامعي على الجامعات الحكومية، حيث لم تفتتح الجامعات الخاصة إلا في العقدين الماضيين فقط. أما

اليوم، فتزخر المنطقة بعدد وافر من الجامعات الحكومية والخاصة، إضافة إلى بعض الجامعات الأجنبية التي أقدمت على تأسيس فروع لها في المنطقة.

الخطوات الأولى لتأسيس المتاحف:

لعبت الاستكشافات الأثرية المبكرة في المنطقة دوراً كبيراً في تراكم مجموعات كبيرة من اللقى الأثرية. تعرّض بعض تلك اللقى لعوامل التحطيم المختلفة، فيما نقل بعضها الآخر إلى متاحف غربية، حيث لا تزال معروضة حتى اليوم. ومع استقرار الوضع السياسي والاجتماعي للمنطقة بدءاً من النصف الثاني للسبعينيات بسبب الانفتاح على العالم، بدأت دول المنطقة في الانتباه إلى خطورة المهددات التي تواجه تراثها الثقافي المنقول، فبادرت إلى إنشاء دوائر ووزارات خاصة للحفاظ على التراث وإدارته، وقامت بدعم المحاولات المستتيرة، التي كان ينادي بها بعض المهتمين بحفظ التراث سواء من المواطنين أو الأجانب، لبناء متاحف قادرة على حماية ذلك التراث المنقول وتوعية المواطنين بأهميته. وقد قام بتصميم أوائل تلك المتاحف هواة أوروبيين غير متخصصين (انظر رايس ٢٠٠٢م). حيث أسس أول متحف في المملكة العربية السعودية في عام ١٩٦٦م (Department of Antiquities and Museums 1975, p. 14). ضم المتحف مقتنيات أثرية وإثنوغرافية تمثل التسلسل التاريخي للجزيرة العربية بدءاً بالعصور الحجرية القديمة ومروراً بالفترات الأولى للإسلام وانتهاء بتأسيس المملكة العربية السعودية. كونت المملكة فيما بعد شبكة من المتاحف الإقليمية كان من أوائلها تلك التي تأسست في جيزان ونجران والعلا وتيماء والجوف والهفوف والخماسين وبريده وعنيزة (رايس ٢٠٠٢م). وفي مملكة البحرين خطط لبناء أول متحف في عام ١٩٦٧م باسم "متحف البحرين الوطني"، وافتتح في عام ١٩٧٠م، على الرغم من أن أول عرض لقطع أثرية أمام الجمهور (والذي استمر لعدة أيام فقط) كان قد نظّمته الحكومة البحرينية بالتعاون مع البعثة الأثرية الدانمركية في

معرض مؤقت بإحدى المدارس في عام ١٩٥٧م (Bahrain National Museum)
 2004). أما في دولة الإمارات العربية المتحدة فقد أسس أول متحف في عام
 ١٩٦٩م باسم "متحف العين"، وافتتح في عام ١٩٧١م (Al Ain Museum)
 2000). كما أقيم في نهاية الستينات متحفاً للتراث الشعبي في دبي وذلك في قلعة
 تاريخية قديمة، وافتتحت متاحف أخرى في كل من رأس الخيمة عام ١٩٨٧م وفي
 عجمان في عام ١٩٩١م وكلاهما بنيا في قلاع تاريخية مرممة (مسامح ١٩٩٩م،
 ص ٢٦). وفي سلطنة عمان كان افتتاح أول متحف باسم "المتحف العماني" في عام
 ١٩٧٤م، وذلك لاحتواء اللقى التي قام بجمعها بها أعضاء الجمعية العمانية
 التاريخية خلال رحلاتهم الميدانية (Al-Belushi, 2008). تلا ذلك افتتاح العديد
 من المتاحف، من بينها المتحف الوطني الذي افتتح في عام ١٩٧٨م (Ministry of
 Information 2012) ، إضافة إلى المتاحف الأخرى التي أسس بعضها ضمن
 البيوت التاريخية المرممة بمسقط القديمة والتي تعود للقرن التاسع عشر. وافتتح
 أول متحف في دولة قطر في عام ١٩٧٥م باسم "متحف قطر الوطني" (Qatar
 National Museum 2004). أقيم المتحف في موقع تاريخي تم ترميمه بالدوحة
 كان قد بني في عام ١٩٠١م كمقر للحاكم، وضم مجموعة من القطع الأثرية
 والمواد الإثنوغرافية وأقسام تروي قصة الأرض والبحر والكيفية التي تفاعل بها
 الإنسان مع الطبيعة في هذه المنطقة عبر الزمن. وفي عام ١٩٨٤م افتتح متحف
 التقاليد الشعبية بالدوحة ومتحف قلعة الكوت ومتحف قلعة الزبارة ومتحف الوكرة
 الإقليمي في عام ١٩٨٨م (الخليفي ٢٠٠٠م). أما في الكويت فافتتح أول متحف في
 عام ١٩٥٧م، وذلك في قصر الأمير بمنطقة الشرق، وضم أدوات إثنوغرافية تمثل
 تفاعل الإنسان مع البيئة في الكويت. أضيف للمتحف فيما بعد بعض اللقى التي
 اكتشفتها البعثة الدانمركية في جزيرة فيلكا، وافتتح في موقعه الحالي في عام
 ١٩٨٣م (Kuwait Government Online 2012).

بداية تدريس علم الآثار في الجامعات الخليجية :

بدأ تدريس علم الآثار خطواته الأولى في المنطقة في منتصف السبعينيات، وذلك من خلال أقسام التاريخ والآثار التي تم افتتاحها في بعض الجامعات الحكومية. حيث لم تتضمن المناهج التي كانت تدرس في أقسام التاريخ سوى مقرر واحد في غالب الأحوال. وحين أسست أقسام مخصصة لتدريس الآثار والتاريخ القديم في بعض الجامعات، ارتكز التدريس فيها في بدايته على الجانب النظري، وعلى التركيز على آثار الحضارات المجاورة، وذلك نظراً لأن من قام بالتدريس في هذه الأقسام أساتذة من دول عربية كالعراق والسودان ومصر والأردن ممن لم يكن التاريخ القديم المنطقة - والذي كان يكتب في تلك الأثناء بأيدٍ غربية - جزءاً من تشكيلهم المعرفي (Potts 1998). وعلى الرغم من أن طلاباً من أبناء المنطقة ذهبوا لدراسة علم الآثار في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وغيرها منذ بداية الستينيات (وهي فترة مبكرة) إلا أن عدد الأثاريين المواطنين ظل ضئيلاً حتى الوقت الحالي.

لا يزال بعض أقسام الآثار قائماً حتى اليوم رغم تعثراته، وبعضها الآخر تعرض بعد فترة بسيطة من إنشائه للإغلاق أو تجميد قبول الطلاب فيه. ويعزى إغلاق هذه الأقسام إلى أسباب تتعلق بفرص التوظيف الشحيحة للخريجين، إضافة إلى تفضيلات الطلاب أنفسهم للالتحاق ببرامج تتناسب مع النمط الاقتصادي المهيمن في المنطقة (Potts 1998; Al-Belushi 2008). وفي الجانب الآخر، ولأسباب تتعلق بالربحية وبرغبات الطلاب لم تتجه أيٌّ من الجامعات الخاصة نحو طرح برامج ذات علاقة بعلمي الآثار والمتاحف، واضعة كل تركيزها على التخصصات التقنية كالهندسة وعلوم الحاسب الآلي. وفي السنتين الأخيرتين بادرت بعض الجامعات الأجنبية - التي فتحت فروعاً لها في المنطقة - إلى فتح تخصصات في علوم الآثار والمتاحف.

الوضع الحالي للمتاحف في دول الخليج العربية :

تبدل الهيئات المعنية بالتراث والثقافة في دول الخليج العربية اليوم أدوارا كبيرة في نشر الوعي بأهمية التراث كأداة لتأصيل الهوية الوطنية. وتأتي المتاحف في مقدمة الأدوات التي اتكأت عليها هذه الهيئات عبر العقود التي تلت بدايات استكشاف النفط. لذلك، يوجد حاليا عدد كبير من المتاحف في كل واحدة من هذه الدول. إلا أن ما يلاحظ على هذه المتاحف هو مركزيتها واقتصار وجودها في العواصم والمدن الرئيسية. حيث أن معظم المدن والمستقرات السكنية في كل دول الخليج العربية لا تزال حتى اليوم بدون متاحف. كما أن معظم المتاحف في هذه الدول هي متاحف حكومية عدا عدد بسيط جدا أسسها بمبادرات وموارد وجهود فردية المهتمون بالتراث من المواطنين (على سبيل المثال: متحف بيت الزبير في مسقط). كذلك فإن المتاحف الحكومية لم تؤسسها جميعاً الوزارات المعنية بالتراث والثقافة، إذ أن هناك العديد من المتاحف أسست من قبل هيئات حكومية أخرى كالبلديات والهيئات العسكرية، (على سبيل المثال: متحف بيت البرنودة، ومتحف بوابة مسقط في مسقط والذين أسستهما بلدية مسقط، ومتحف القوات المسلحة في مسقط والذي أسسته وزارة الدفاع، ومتحف شرطة دبي ، الذي أسسته شرطة دبي).

تتشابه معظم المتاحف في هذه الدول من حيث أن موضوعاتها عامة وغير متخصصة. وهناك عدد بسيط منها فقط يركز على ثيمة متحفية واحدة متخصصة. ولعل المبرر لهذا الأمر يتعلق بالغرض الذي من أجله أسست هذه المتاحف، وهو بلورة الهوية الوطنية والتأكيد عليها؛ الأمر الذي يتطلب من القائمين على تصميم المتحف عرض كل ما يمكن أن يمثل الأوجه المختلفة للتراث الطبيعي والثقافي للبلاد في الماضي والحاضر. لذلك فإن هذه المتاحف (غير المتخصصة) تحتوي على قاعات لمعروضات تخص الأرض والطبيعة كالجولوجيا، والمعادن، والنباتات، والحيوانات، جنباً إلى جنب مع معروضات تبين أوجه التطور الحضاري

التي أنجزها الإنسان في هذه المنطقة عبر الزمن. كما أنه في أحيان أخرى تتضمن بعض المتاحف معروضات تبيّن المنجزات الحضارية التي تحققت على الأرض في الوقت الحاضر. هذه اللاتخصصية لا تعني بأي حال من الأحوال قلة المواد المعروضة في الموضوع الواحد، فعلى سبيل المثال، وباستثناء بعض المتاحف كمتحف الشارقة للآثار ومتحف الشارقة الإسلامي ومتحف الفن الإسلامي في قطر، فإنه لا يوجد حتى الآن إلا عدداً بسيطاً جداً من المتاحف المتخصصة كلياً في الآثار، ناهيك عن التخصصات الدقيقة كالأثار القديمة أو الأثار الإسلامية. إن عدم وجود مثل هذه الأنواع من المتاحف لا يعني أن هناك شحاً في المادة الأثرية المتوفرة لدى الهيئات المعنية. بل على العكس من ذلك، فالقطع الأثرية المكتشفة منذ عقود في هذه البلدان تمثل تراكماً كبيراً بمقدوره إنشاء أكثر من متحف واحد متخصص في الآثار في كل واحدة من دول الخليج العربية. لكن على الرغم من ذلك إلا أن ما تضمه هذه المتاحف من معروضات يعد من أبرز ما تم اكتشافه في المنطقة. أما المتاحف المتخصصة فعادة ما تركز على ثيمات معينة مثل متاحف التاريخ الطبيعي (على سبيل المثال: متحف التاريخ الطبيعي في مسقط، ومتحف الشارقة للتاريخ الطبيعي)، أو متاحف الأسلحة (على سبيل المثال: متحف السيد فيصل بن علي في مسقط)، أو متاحف الطفل (متحف الطفل في مسقط)، أو متاحف العسكرية (على سبيل المثال: متحف شرطة دبي في دبي، ومتحف القوات المسلحة في مسقط). إضافة إلى اللاتخصصية فإن هناك أنواعاً مختلفة من المتاحف تختلف عن ذلك النوع الكلاسيكي السائد للمتاحف المغلقة لم تنشأ بعد في أيّ من هذه الدول، كمتاحف الهواء الطلق (Open Air Museums) إلا إذا استثنينا بعض المتاحف التي أقيمت ضمن المواقع الأثرية. ولعل أحد أبرز الأمثلة هو متحف أرض اللبان في محافظة ظفار بسلطنة عمان، والذي أنشأ كأحد مكونات متنتزه موقع البليد الأثري.

وقد اتجهت بعض دول الخليج العربية مؤخراً إلى استقطاب فروع متاحف عالمية، وذلك سعياً منها نحو فتح آفاق جديدة أرحب للسياحة الثقافية فيها. إن وجود هذا النوع الجديد من المتاحف سيعزز ولا شك من الفرص الوظيفية لمخرجات تخصصات المتاحف والآثار على السواء، كما أنه سيحول المنطقة إلى وجهة ذات صبغة ثقافية عالمية. ومن بين أبرز الأمثلة على هذه المتاحف هي أفرع متحفي اللوفر وجونهايم للفن المعاصر والذين يزعم افتتاحهما ما بين عامي (٢٠١٥ - ٢٠١٧م) في جزيرة السعديات بإمارة أبوظبي. حيث سيكون متحف اللوفر أبوظبي الذي سيفتتح في ٢٠١٥م أول فرع لمتحف عالمي في العالم العربي. وسيعرض المتحف الذي يأتي ثمرة لاتفاقية تعاون ثقافي بين حكومة أبوظبي والحكومة الفرنسية المخطوطات التاريخية، والأعمال الفنية، والمواضيع ذات البعد الاجتماعي والثقافي والتاريخي، وستكون معروضاته ممثلة لمختلف ثقافات العالم، مع التركيز على الموضوعات ذات القواسم المشتركة للإنسانية لتوضيح أوجه التشابه والاختلاف في التجربة الإنسانية بعيداً عن تلك التي تتجاوز الجغرافيا والأعراق والتاريخ (Saadiyat 2012). أما متحف جونهايم للفن المعاصر الذي سيتم افتتاحه في ٢٠١٧م فإنه سيقدم مجموعة من الفنون الحديثة والمعاصرة، ويشير المتحف في رسالته إلى أنه يطمح أن يسهم في بناء وتعزيز مفهوم عالمي لتاريخ الفن. كما يسعى المتحف إلى تجاوز تعريف الفن العالمي الذي يعتمد على التوزيع الجغرافي، وذلك من خلال التركيز على الروابط بين مراكز الفنون المحلية والإقليمية والدولية، ويخطط المشرفون عليه أن يحتفي أيضاً بالهوية الثقافية لإمارة أبوظبي بالإضافة إلى دول أخرى في منطقة الشرق الأوسط (Saadiyat 2012). وعموماً، فإن المنطقة تشهد اليوم نمواً كبيراً في قطاع المتاحف، حيث ظهرت العديد من المتاحف المتخصصة كمتحف الفن الإسلامي بالدوحة الذي افتتح في عام ٢٠٠٨م (Museum of Islamic Art 2012)، ومتحف الشارقة للآثار

الذي يعتبر أرسيفاً دائماً للقطع الأثرية المكتشفة في إمارة الشارقة، ومتحف الخط في الشارقة وهو المتحف الوحيد المختص بالخط العربي في العالم (Sharjah Museums Department 2012). وتقوم سلطنة عمان حالياً بإنشاء متحف ضخم باسم "المتحف الوطني" يكون مقره منطقة مسقط القديمة، وسيحتوي على مقتنيات تمثل التراث الطبيعي والحضاري للسلطنة، ويؤمل أن يفتح في عام ٢٠١٤م. كما تشهد المنطقة أيضاً نمواً في عدد المتاحف الإقليمية. فعلى سبيل المثال، يبلغ عدد المتاحف الإقليمية في المملكة العربية السعودية اليوم ١٥ متحفاً إقليمياً، تضم جميعها آثار ما قبل التاريخ، وآثار الفترة الإسلامية، وحكاية توحيد المملكة (آثار المملكة العربية السعودية ٢٠١٢م).

الوضع الحالي لتدريس علمي الآثار والمتاحف في الجامعات الخليجية :

على الرغم من البداية المزدهرة لأقسام الآثار والتاريخ في الجامعات الحكومية والتي لعبت دوراً كبيراً في تأسيس ونشر هذين العلمين في المنطقة إلا أن هذه الأقسام ما لبثت أن انكسرت لأسباب تتعلق في الغالب بعدم توافر الفرص الوظيفية لمخرجاتها. حيث لم تكن هيئات الآثار والمتاحف قادرة على احتضان هذه المخرجات، نظراً لمحدودية أعمال تلك الهيئات؛ حيث لم تكن لديها فرق تنقيب وطنية متكاملة. كما اتسم عمل هذه الهيئات بالمركزية، حيث اقتصر وجودها في العواصم، ولم تكن لها فروع في الأقاليم. أثرت هذه العوامل في عدم إقدام الجامعات على طرح برامج أكاديمية أخرى مشابهة كالبرامج الخاصة بالمتاحف. إذ أنه، وباستثناء برنامج ماجستير الآداب في دراسة المتاحف الذي تطرحه جامعة زايد التي افتتحت في أبو ظبي في عام ١٩٩٨م، لا يوجد حتى اليوم أي قسم أكاديمي في الجامعات الخليجية الحكومية يطرح برنامجاً متخصصاً في علم المتاحف. إضافة إلى ذلك فإن بعض تلك الأقسام يخلو أساساً من أي مقرر حول المتاحف. فعلى سبيل المثال: يخلو برنامج "بكالوريوس تاريخ" الذي تطرحه كلية

الآداب بجامعة البحرين، وبرنامج "البكالوريوس في التاريخ" الذي يطرحه قسم العلوم الإنسانية بجامعة قطر، وبرنامج قسم التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة الشارقة من أي مقرر عن المتاحف. أما أقسام التاريخ والآثار التي تطرح مقررات في علم المتاحف فعددها بسيط؛ إذ لا تشكل هذه المقررات سوى مداخل تعريفية مبسطة حول علم المتاحف. ومن بين هذه الأقسام على سبيل المثال: قسم التاريخ والآثار بجامعة الإمارات - دولة الإمارات العربية المتحدة، وقسم الآثار بجامعة السلطان قابوس - سلطنة عمان، وقسم الآثار بجامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية، وبرنامج الشهادة المهنية في إدارة التراث - جامعة زايد - دولة الإمارات العربية المتحدة. وفي ما يلي استعراض لما تتضمنه خطط اثنين من هذه الأقسام:

(١) قسم التاريخ والآثار بجامعة الإمارات: تتضمن الخطة الدراسية لهذا القسم مقررين عن المتاحف. الأول هو عبارة عن "مدخل إلى علم الآثار والمتاحف". يرد في توصيف هذا المقرر ما يلي: "يتناول المساق تعليم الطلبة كيفية ممارسة المسح الآثاري والحفريات الأثرية في الميدان، وكيفية التعامل مع الرسوم الثقافية والأثرية باستخدام طرق التوثيق والحفاظ والتصنيف والعرض الزمني. ويتم كذلك التركيز على علم الآثار كتخصص، وعلى المسائل الأخلاقية، وأثر التكنولوجيا في ممارسة العمل مع الآثار" (خطة قسم التاريخ والآثار بجامعة الإمارات ٢٠٠٨م). أما المقرر الثاني الذي يحمل عنوان "إدارة وتنظيم المتاحف" فيرد في توصيفه الآتي: "يركز هذا المساق على دراسة المتاحف وإنشائها وأقسامها وقاعات عرضها والطرق والوسائل المستخدمة في خزن وضمان سلامة وعرض محتوياتها" (خطة قسم التاريخ والآثار بجامعة الإمارات ٢٠٠٨م).

(٢) قسم الآثار بجامعة السلطان قابوس: تشتمل الخطة الدراسية لهذا القسم على مقرر واحد فقط بعنوان "علم المتاحف". يرد في توصيف هذا المقرر ما يأتي: "يقدم هذا المقرر نظرياً وعملياً أساسيات علم المتاحف. ويتضمن دراسة لأنواع المتاحف ووظائفها ورسالة كل منها، وإدارة المتاحف والتخصصات المهنية في المتاحف والمجموعات المتحفية وتطويرها والحفاظ عليها، والتسجيل والتوثيق في المتحف والعمارة والمرافق المتحفية، وكيفية إعداد العرض والمعارض، ويتم الجزء العملي في هذا المقرر في متاحف السلطنة". إضافة إلى هذا المقرر يطرح القسم مقررين آخرين يلامسان علم المتاحف، وهما: مقرر "إدارة الآثار والتراث"، ومقرر "إدارة التراث الأثري في عمان" (خطة قسم الآثار بجامعة السلطان قابوس ٢٠٠٣م).

ومن جانب آخر فقد أسهمت بعض أقسام التاريخ والآثار في تدعيم التدريب العملي المتحفى لطلابها من خلال إنشائها لمتاحف صغيرة خاصة بالآثار في داخل الجامعات. من بين هذه المتاحف، على سبيل المثال: متحف قسم الآثار بجامعة السلطان قابوس، ومتحف قسم الآثار بجامعة الملك سعود.

اليوم، وبسبب الاهتمام المتزايد بالمتاحف في إثراء السياحة، قامت جامعة زايد الحكومية بأبوظبي وكلية لندن الجامعية في قطر بطرح برامج متخصصة في علوم المتاحف وذلك على مستوى الدراسات العليا. تدرس هذه البرامج في كلتا الجامعتين باللغة الإنجليزية. ولعله من المفيد هنا استعراض تجربة هاتين الجامعتين:

أ) جامعة زايد:

تطرح جامعة زايد برنامج ماجستير الآداب في دراسات المتاحف بالتعاون مع جامعة سانت اندروس البريطانية (St. Andrews University). يقدم البرنامج للطلاب المعرفة والمهارات المتعلقة بالعمل المتحفى من حيث تحديد

الرؤية المتحفية والتصميم والتطوير والتنفيذ وإدارة المشاريع والمعارض الثقافية وذلك طبقاً للمواصفات العالمية والممارسات الأفضل. يقدم هذا البرنامج، الذي يدرس باللغة الإنجليزية، تأسيساً في إدارة المتاحف وتشغيلها، وكذلك في تصميم المعارض، والفن الغربي المعاصر، وفن التصميم الإسلامي، والتراث الإماراتي. ويتلقى الطلاب فيه تعليماً مركزاً في النظريات الأساسية التي تقوم عليها إدارة القطع المتحفية، وإدارة المواقع، والبرامج المتعلقة بالتواصل الجماهيري، والتواصل الفعال مع زوار المراكز الثقافية، إضافة إلى مجالات التحليل والتفسير وأساليب العرض المتحفية. خطط البرنامج ليتمكن الطلاب بعد تخرجهم من العمل كأمناء للمتاحف، وفي تصميم المعارض والمتاحف. يتكون منهاج البرنامج من مقررات أساسية تركز على الجانب النظري وجانب عملي يختص بالمهارات المتعلقة بالمتاحف والمؤسسات المشابهة (Zayed University 2012).

ب) كلية لندن الجامعية في قطر:

تعد كلية لندن الجامعية في قطر والتي افتتحت في ٢٠١٠م أحد أهم المؤسسات التعليمية في منطقة الخليج العربي من حيث تدريس علم المتاحف والتقنيات المرتبطة به. والكلية عبارة عن نتاج لشراكة بين كلية لندن الجامعية، ومؤسسة قطر للتقدم العلمي، وهيئة المتاحف القطرية، وتهدف إلى وضع قطر كمركز تميز علمي في مجالات علم المتاحف، ودراسات الصوت، وإدارة التراث، إضافة إلى علم آثار المنطقة العربية والإسلامية. وتمتلك كلية لندن الجامعية الأسمعة عالمية في هذه المجالات؛ الأمر الذي سيسهم ولا شك في تقديم برنامج متميز يخدم المتاحف في المنطقة. تطرح الكلية ثلاثة برامج هي: ماجستير الآداب في آثار العالمين العربي والإسلامي، وماجستير الآداب في تطبيقات المتاحف والمعارض، وماجستير العلوم في دراسات الصوت. وتطمح الكلية في المستقبل لطرح برنامج دكتوراة في ذات التخصصات. كما تقوم الكلية أيضاً بتقديم برامج تدريبية

متخصصة للعاملين في هيئة المتاحف القطرية، والراغبين في الانخراط في هذا النوع من التخصصات. تقوم الجامعة بتدريب طلابها في المتاحف، والمواقع الأثرية القطرية، بحيث يتمكنون من تطبيق ما تم دراسته على أرض الواقع بعد تخرجهم. تسعى الكلية أيضا إلى خدمة المجتمع القطري أيضا من خلال برامج تهدف إلى إعطاء طلاب المدارس وأفراد المجتمع جرعات تثقيفية في مجالات التراث الثقافي (Qatar University College of London 2012).

تقدم الكلية من خلال ماجستير الآداب في تطبيقات المتاحف والمعارض فرصة للطلاب لدراسة تطور المهارات التطبيقية المرتبطة بإدارة المجموعات المتحفية والاعتناء بها، إضافة إلى طرق التفسير والتحليل المتحفية، وتطبيقات التقنيات الرقمية في مجال المتاحف. يعرف البرنامج الطالب بأهم المبادئ الخاصة بصون التراث الثقافي، مع التركيز على أهمية هذا التراث بالنسبة لمنطقة الخليج العربي والمناطق المجاورة لها. تهدف الدراسة في هذا البرنامج إلى تمكين الطلاب من المهارات الأساسية للتوثيق، والصون الوقائي، والتفسير والتحليل. كما يتضمن برنامج الدراسة الذي يمتد لعام واحد فترات تدريبية يقضيها في المتاحف (Qatar University College of London 2012).

أما برنامج ماجستير العلوم في دراسات الصون فتهدف الكلية من خلاله إلى خلق فرصة لتكوين كوادر قادرة على صون المواقع الأثرية والقطع المكتشفة بها وتلك المحفوظة في المتاحف، حيث يقضي الطالب جزءا من الجانب التطبيقي لدرسته في المتاحف. ويدرس الطالب في هذا البرنامج مقررات في إدارة المجموعات المتحفية والاعتناء بها، وتطبيقات الصون، والصون الوقائي للقطع، والمهارات التقنية اللازمة للحفاظ على الأشكال المختلفة للتراث الثقافي، ودراسة القطع من حيث تقنية صنعها وعوامل تحللها، إضافة إلى دراسة العلوم البحتة

المرتبطة بالمواد المصنوعة منها تلك القطع (Qatar University College of)
(London 2012).

وبنظرة شمولية، يمكن القول بأن التدريس الحقيقي لعلم المتاحف في الجامعات الخليجية يقتصر اليوم فقط على جامعتين أسستا حديثاً في المنطقة. أما أقسام التاريخ والآثار فظل وجودها مقتصرًا فقط على الجامعات الحكومية؛ إذ لا توجد حتى اليوم أي جامعة وطنية خاصة في المنطقة تقوم بتدريس مادتي التاريخ والآثار. ويمكن رد ذلك إلى عدد من الأسباب يمكن تلخيصها في التالي:

(١) نظرة وتقييم الناس للآثار والتراث:

لا زال وعي الناس بأهمية التراث والآثار غير متجسد على الرغم من الوعي بالفكرة الخطية للتاريخ والزمن لدى هذه الشعوب، والمتمثل في تواصل التاريخ الشفهي للذاكرة الجمعية والفردية على السواء، وعلى الرغم كذلك من الرغبة الواضحة لديهم في حفظ مخلفات الماضي التي يرتبطون بها ارتباطاً مباشراً ومعروفاً لديهم. أما بالنسبة لمخلفات الفترات التاريخية البعيدة أو فترات ما قبل التاريخ فإنها غالباً لا تشكل أهمية كبيرة بالنسبة لهم عدا ذلك الارتباط بين تلك المخلفات والأسطورة والمخيال الشعبي الذي ينسج حولها الحكايات والروايات المختلفة وغير المنطقية في بعض الأحيان.

(٢) شح الوظائف المعروضة لخريجي هذه التخصصات:

هناك عدد بسيط من الوظائف التي يمكن لخريجي أقسام الآثار الانخراط فيها. ويرتبط هذا ارتباطاً كبيراً بقلة عدد الهيئات المعنية بالآثار والمتاحف التي يمكن أن تستوعب هذه المخرجات، وكذلك بمحدودية التخصصات والممارسات والمهام التي تضطلع بها هذه الهيئات (بما فيها المتاحف)؛ من حيث أنها تفتقر إلى العديد من أساسيات العمل الأثري المتمثلة على سبيل المثال في المختبرات الخاصة بتحليل

ودراسة وتصنيف المواد، كما هو الحال في معظم هيئات الآثار ذات التقاليد العلمية الراسخة.

(٣) هيمنة الأنماط الجديدة للثقافات القادمة من خارج السياقات الجغرافية والثقافية للمنطقة:

على الرغم من أن دول الخليج العربية تمتلك موقعا جغرافيا مميزا في وسط العالم القديم، وكذلك تاريخاً بحرياً وملاحياً كبيراً أتاح لها الانفتاح على العديد من الثقافات المجاورة إلا أنها ظلت محافظة على نمط ثقافي يميزها عن بقية السياقات الجغرافية المحيطة بها. هذا النمط الثقافي ما لبث أن بدأ في التحول بعد تدفق الثروة النفطية التي أدت إلى دخول تيارات ثقافية جديدة معظمها آت من الغرب. وبدرجات متفاوتة يمكن ملاحظة ذلك في كل المجالات كالأنماط المعمارية الجديدة، ونوعية اللباس، وثقافة الاستهلاك. تمتلك هذه الأنماط الجديدة درجة من الجاذبية أكبر من تلك التي يمكن أن يفعلها التراث خصوصاً في أذهان وقلوب الأجيال الجديدة التي لم تحظ بروية عصر ما قبل النفط. لذلك غالباً ما يأتي اهتمام هؤلاء بالتراث والآثار معتمداً على ما يقدم إليهم من معلومات في وسائل الاتصال المختلفة كالمناهج الدراسية والمواد التي تبثها أو تنشرها وسائل الإعلام، التي لا تزال قدراتها في هذا المجال في أطوارها الأولى.

(٤) هيمنة الثقافة التجارية وسعي الناس وراء التكوين السريع للثروات: هيمنت الثقافة التجارية على التوجهات المستقبلية لأبناء المنطقة. فلذلك ظهر توجه واضح نحو الثراء السريع من خلال تفضيل العمل في القطاعات التجارية أو الالتحاق بوظائف في شركات الاتصالات الكبيرة، أو في شركات النفط التي غالباً ما تؤدي إلى طريق مختصر نحو الثراء. ولعل ما يساعد على ذلك هو محدودية عدد السكان بالنسبة للموارد، ومساحة الأرض، والفرص المتاحة.

(٥) البعد الوظيفي والتجاري الذي يغلب على توجه معظم الجامعات غير الحكومية:

نظرة سريعة على التخصصات التي تقدمها الجامعات غير الحكومية في دول الخليج العربية يمكن أن توضح البعد الوظيفي والتجاري لهذه الجامعات، والمتمثل في التركيز على مواد تتعلق بالحاسوب، والهندسة، والنفط، والمحاسبة، والتسويق، والسياحة، والفندقة، والاتصالات إلخ. ولكي لا نجانب الحقيقة، فإنه يتوجب القول بأن ذلك أمر منطقي وهو محصلة لتوجهات وتفضيلات المواطنين أنفسهم، إضافة إلى أنه انعكاس للمعطيات الاقتصادية والاجتماعية التي تسود المنطقة. وبالنظر إلى تلك المعطيات، فإنه من غير المتوقع أن تقدم هذه الجامعات على طرح تخصصات في المجالات المختلفة للآثار والتراث والمتاحف ما لم تكن هناك أولاً جهات قادرة على استيعاب مخرجاتها في هذه المجالات.

ومع ذلك لا تزال بعض الجامعات الحكومية تدرس مقررات الآثار والتاريخ بالرغم من تشبع الهيئات والمتاحف بالموظفين. ولهذا أيضاً أسبابه التي يمكن إجمالها في نقطتين رئيسيتين هما:

أولاً: لأن هذه الجامعات مدعومة مالياً من الحكومات، وبالتالي فإن البعد التجاري البحث الموجود في الجامعات غير الحكومية غير موجود فيها (بالرغم من وجود البعد الاستراتيجي المتمثل في إمداد المجتمع وسوق العمل بالكوادر المناسبة، والذي بسببه تخطط الجامعات الحكومية وغير الحكومية على السواء ببرامجها وتخصصاتها).

ثانياً: الإصرار على وجود هذا النوع من التخصصات نابع من مدى وعي هذه الحكومات بأهمية التراث والآثار لإرساء مبادئ الهوية الوطنية، حيث تتكئ هذه الحكومات اليوم على التاريخ المشترك والذي عادة ما يكون موعلاً في الزمن،

وبعيداً عن حساسيات الماضي القريب المشترك (بين أفراد الوطن الواحد أو بين الدولة وجارتها) الذي ترك أيضاً مخلفات مادية وغير مادية يتوجب الحفاظ عليها.

إسهام الجامعات في رفد المتاحف بالكفاءات:

المتفحص للخطط والمناهج الدراسية لأقسام الآثار والتاريخ في الجامعات الخليجية يلاحظ بأنها صممت لإعداد خريجين يمتلكون المهارات الأولية في مجال الآثار والتاريخ فقط، وأنها في بعض الحالات تخلو من مقررات حول علم المتاحف. وفي حالة وجود مقررات خاصة بعلم المتاحف في خطط بعض هذه الأقسام فإنها لا تزيد عن مقرر واحد أو اثنين في أغلب الأحوال. وهذه المقررات عادة ما تكون مصممة كمداخل أولية لإدارة وتنظيم المتاحف دون التوغل في عمق العمل المتحفي. إذ تركز هذه المقررات على دراسة المتاحف من حيث تأسيسها، وأقسامها، وقاعات العرض بها، والطرق والوسائل المستخدمة لعرض وتخزين وضمان سلامة محتوياتها. وإذا ما كان هناك جانب تطبيقي في هذه المقررات فإنه لا يعدو كونه تدريباً مهنيّاً يشمل مشروعاً في الحفاظ على المصنوعات اليدوية، وعرضها أو تطويرها كمواد تعليمية (على سبيل المثال: مقرر "تدريب مهني في الدراسات المتحفية" المطروح ضمن خطة قسم التاريخ والآثار بجامعة الإمارات).

ومن جانب آخر فإن هذه المقررات لا تشكل في بعض الحالات مساقات أساسية إجبارية بل تقدم للطالب كمواد اختيارية له حرية اختيارها ضمن خطته الدراسية أو تركها (على سبيل المثال: مقرر "علم المتاحف" المطروح ضمن خطة قسم الآثار بجامعة السلطان قابوس). وبالتالي فإن بعض طلاب هذه الأقسام يمكن أن يتخرج دون دراسة أي مقرر عن المتاحف. وعليه فإن مخرجات هذه الأقسام ليست مهياً أكاديمياً للعمل في المتاحف. وعلى الرغم من نقاط الالتقاء بين علوم الآثار والتاريخ والمتاحف لكن لكل منها نظرياته ومنهجياته المختلفة. ومن هذا المنطلق فإنه لا يمكن بأي حال لمتخصص في علم الآثار مثلاً أن يمتلك مهارات

أمين المتحف ما لم ينخرط في برامج تدريبية ودراسية متخصصة حول المتاحف. كما أن تجارب خريجي الآثار والتاريخ الذين التحقوا بالعمل في بعض المتاحف لم تتعد مهامهم تلك الممارسات الأساسية التي لا تشكل سوى جزءاً بسيطاً من المهام التي يفترض أن تناط إليهم.

كما يتوجب الأخذ بالاعتبار أيضاً أن ما تقدمه أقسام الآثار والتاريخ مرتبط فقط بالمتاحف المتخصصة في الآثار. وإذا ما نظرنا إلى أنواع المتاحف فإننا سنجد أنه لا يوجد في دول الخليج العربية حتى الآن متاحف متخصصة كلياً في الآثار، على الرغم من أن تأسيس متاحف في هذه المنطقة بدأ تاريخياً لارتباطه بالمجموعات الأثرية التي أفرزتها المسوحات والتنقيبات التي أنجزت في المراحل المبكرة للبحث الأثري. إذ أن المواد الأثرية المعروضة حالياً في المتاحف لا تشكل سوى جزءاً فقط من محتويات هذه المتاحف التي عادة ما يميل مصمموها إلى أن تكون أكثر شمولية للتراث الطبيعي والحضاري للبلاد. وعموماً فإن التباين الكبير في أنواع المتاحف يتطلب بالضرورة مهارات وتقنيات عرض وتحليل وتخزين مختلفة لا تقتصر على تلك المتعلقة بعرض اللقى الأثرية وما يرتبط بها. ولذلك فإن ما تقدمه أقسام الآثار والتاريخ من مقررات سيظل دائماً محدوداً لأنه يرتبط بنوع واحد أو اثنين من المتاحف الخاصة بالآثار والإثنوجرافيا.

أما إذا ما نظرنا إلى الأسباب الأخرى التي أدت إلى ضآلة إسهام أقسام التاريخ والآثار في رفد متاحف الخليجية (على الأقل في الجانب المتعلق بالآثار)، فإنه يمكن تلخيصها في الآتي:

أولاً: محدودية متاحف من حيث أعدادها، وتنوعها، وأحجامها وانتشارها: على الرغم من أن هناك عدداً لا بأس به من متاحف في دول الخليج العربية اليوم، إلا أن هذا يعتبر عدداً صغيراً بالنسبة للمعطيات الجغرافية والديموغرافية للمنطقة، خاصة إذا ما نظرنا إلى المساحات الشاسعة، والتضاريس

الصعبة، والصحاري الجافة التي تفصل بين المدن والمستقرات السكنية في هذه الدول. كما أن الكثافة والتوزيع السكانيين لا يتناسبان والنمط الحالي لتوزيع المتاحف. إذ أن أغلب المتاحف تتركز في العواصم والمراكز الحضرية الكبيرة، ولا تغطي كل المناطق الجغرافية في هذه الدول. أما من حيث تنوع تخصصاتها فإن هناك نمطين مميزين يرتبط أولهما بالعواصم والمدن الرئيسية ويتمثل بالمتاحف غير المتخصصة التي تعرض بشكل شامل ومقتضب مقتطفات من سيرة الأرض والإنسان، إضافة إلى عدد بسيط جداً من المتاحف المتخصصة. أما النمط الثاني فيرتبط بالمدن غير الرئيسية والقرى والمستقرات السكنية الصغيرة ويتمثل بالمتاحف غير المتخصصة.

ثانياً: التطور البطيء للمتاحف:

على الرغم من أن تجربة المتاحف في المنطقة تعتبر طويلة نسبياً من حيث عمرها إلا، أن درجة التطور الذي وصلت إليه لا يواكب هذه الفترة الزمنية، من حيث أن أنشطة هذه المتاحف ظلت محدودة بعمليات الأرشفة والعرض والتوعية فقط، دون أن تكون لديها مختبرات متكاملة لتحليل المواد وترميمها ودراستها وتصنيفها. ولذلك فإن متطلباتها التخصصية ظلت محدودة؛ الأمر الذي أدى إلى عدم طرح أقسام الآثار والتاريخ لبرامج حول التخصصات الدقيقة لعلم المتاحف.

ثالثاً: قلة الوظائف المطروحة:

أدت محدودية أنشطة هذه المتاحف إلى قلة عدد الوظائف المتوفرة بها. وبسبب الارتباط الواضح بين الجامعات وسوق العمل وفرص التوظيف بها؛ فإن أقسام التاريخ والآثار اتجهت نحو إيجاد برامج أكاديمية واسعة تلامس أكثر من مجال (من بينها المتاحف) وذلك من أجل إتاحة أكثر من فرصة عمل لتلتحق بها مخرجاتها.

استشراف المستقبل:

ليس من السهل استشراف شكل العلاقة التي ستكون بين المتاحف والجامعات في هذه المنطقة؛ وذلك للطبيعة المتغيرة لهما، ولديناميكية الكبيرة التي تتميز بها المجتمعات في العصر الحالي. ومع ذلك، فإنه بناء على استقراء الوضع الحالي يمكن تلمس واستشفاف بعض المؤشرات المستقبلية التي تعطينا صورة (وإن كانت إلى حد ما تلسكوبية) عن طبيعة تلك العلاقة التفاعلية وشكلها. ولعل أبرز المؤشرات التي يمكن رؤيتها (وربما يصعب قياسها بشكل صارم ودقيق) يمكن تلخيصها في الآتي:

(أ) النكوص نحو الماضي:

الطغيان المتنامي للثقافة المادية والاستهلاكية التي يمكن تلمسها (في الآونة الأخيرة) ضمن النشاطات والأحداث اليومية للناس، ربما ستؤدي إلى حنينهم إلى الماضي ونكوصهم إليه، كما حدث مع شعوب الثقافات الغربية بعد هيمنة الثورة الصناعية وطغيان الثقافة المادية على حياة الإنسان هناك. هذا الحنين يمكن رؤيته اليوم بوضوح لدى كبار السن الذين يتذكرون بشكل مستمر المعارف التقليدية التي يملكون، والتي لم يعد لها اليوم مكاناً اليوم بسبب إحلال التكنولوجيا مكانها. جزء كبير من هذا الماضي الذي نجادل بأن الناس سيؤوبون إليه هو ذلك المتمثل في ما تعرضه وتحتزنه متاحف. لذلك فإن الدور الذي ستلعبه متاحف في الحقبة القادمة من الزمن ربما سيفوق دورها الحالي المتمسم بالمحدودية.

(ب) تنامي الوعي بأهمية المتاحف:

هناك ارتفاع في الوعي لدى أفراد المجتمع. ويمكن ملاحظة هذا الوعي على أكثر من صعيد. فعلى سبيل المثال الإقبال على المشاركة في المهرجانات التراثية، والإقبال على المسابقات التراثية (التي تتضمن مثلاً: مسابقة أقدم خنجر، أو أقدم سيف، مهارات في الصناعات الحرفية، ... إلخ) ما هي إلا إشارات على هذا

التنامي في الوعي، والذي بدوره سيدفع الأجيال الحالية لحفظ ما يمكنهم حفظه من المعارف والأدوات التقليدية.

(ج) ظهور أنواع جديدة من المتاحف المتخصصة:

هناك توجهات حكومية واضحة لبناء متاحف كبيرة وبمواصفات تفوق تلك الموجودة حالياً. بعض هذه المتاحف هي عبارة عن أفرع لمتاحف عالمية. ستوفر هذه المتاحف فرص عمل جيدة لخريجي أقسام الآثار والتاريخ وربما ستسهم في دفع الجامعات (الحكومية وغير الحكومية) لتأسيس أقسام متخصصة في علم المتاحف. ولربما سيسهم هذا أيضاً في نشوء علاقة أكثر تفاعلاً وتنظيماً بين المتاحف والجامعات.

(د) تنامي السياحة الثقافية:

على الرغم من الأوضاع السياسية الساخنة في الدول المحيطة بمنطقة الخليج؛ إلا أن السياحة في دول الخليج العربية تشهد في الفترة الأخيرة تنامياً ملحوظاً وبالذات في قطاع السياحة الداخلية. تزايد النشاطات السياحية سيؤدي بالتأكيد إلى الحاجة إلى المزيد من المتاحف وخصوصاً في المناطق البعيدة عن العواصم والمدن الرئيسية.

الخاتمة والتوصيات:

سعت هذه الدراسة إلى استقصاء طبيعة العلاقة التبادلية بين الجامعات والمتاحف في دول الخليج العربية، وتوصلت إلى مجموعة من الاستنتاجات يمكن تلخيص أبرزها في الآتي:

(أ) ارتبط تأسيس الجامعة والمتحف في دول الخليج العربية بالتطور الذي صاحب اكتشاف النفط.

(ب) هناك اهتمام واضح من قبل حكومات دول الخليج العربية بالمتاحف، حيث تحققت الكثير من الإنجازات الملموسة على هذا الصعيد.

(ج) تلعب ندرة الفرص الوظيفية دوراً في إحصاء الجامعات عن تأسيس أقسام خاصة بعلم المتاحف.

(د) لعبت المهددات التي فرضتها المشاريع التنموية المبكرة على تراث المنطقة دوراً في الاهتمام المبكر للحكومات بهذا التراث.

(هـ) أسهمت المسوحات والحفريات الأثرية في تكوين أوائل مجموعات اللقى الأثرية والإثنوجرافية التي شكلت نويات المتاحف الأولى في المنطقة. وبناء على ما سبق، توصي هذه الدراسة بالتالي:

- تعزيز الوعي المجتمعي بأهمية المتاحف عبر الوسائل المتاحة (كالتعليم ووسائل الإعلام).
- تطوير المتاحف الحالية وتدعيمها بالمزيد من البنى الأساسية كالمختبرات والمكتبات.
- تعزيز العلاقة التفاعلية بين الجامعات والمتاحف.
- إنشاء أقسام أو معاهد متخصصة كلياً لتدريس علم المتاحف.
- تعزيز البرامج الأكاديمية التي تطرحها حالياً أقسام الآثار والتاريخ بمساقات إضافية حول علم المتاحف.
- تأسيس برامج مشتركة في علوم المتاحف بين الجامعات الخليجية.
- تعزيز التواصل بين المتاحف الخليجية.
- إنشاء قواعد بيانات مترابطة بين متاحف الخليج.
- تشجيع المبادرات الفردية الرامية إلى تأسيس متاحف خاصة.
- تشجيع المبادرات الرامية إلى تأسيس أفرع لمتاحف عالمية في المنطقة.
- تعزيز العلاقة بين المتاحف الخليجية وصناع السياحة في المنطقة وخارجها.

المراجع العربية:

- آثار المملكة العربية السعودية ٢٠١٢م: <http://www.thar.info> / (تاريخ الوصول ٢٠١٢/٨/٢م).
- الخليفي، محمد جاسم ٢٠٠٠م: المواقع الأثرية، التراث المعماري، المتاحف في قطر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة.
- رايس، مايكل ٢٠٠٢م: آثار الخليج العربي (٥٠٠٠-٣٢٣ ق.م)، (ترجمة) صالح محمد علي، سامي الشاهد: المجمع الثقافي، أبو ظبي.
- جلوب، ب. ف ٢٠٠٣م: البحرين: البعثات الدنماركية في دلمون القديمة، (ترجمة) محمد البندر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، وزارة الثقافة والإعلام، الثقافة والتراث الوطني، المنامة.
- مسامح، عبد الرحمن سعود ١٩٩٩م: متحف البحرين: أضواء على تجربته الثقافية، نشر شخصي، المنامة.

المراجع الأجنبية:

- Al Ain Museum, 2012: *History* [Online], Available from <http://www.aam.gov.ae/history/> [Accessed 25.2.2012].
- Al-Belushi, M. A. K. 2008: Managing Oman's Archaeological Resource: Historical Perspectives, *Public Archaeology*, 7(3), pp. 149-173.
- Al-Belushi, M. A. K. 2012 in press: *Archaeological Legislation in the Sultanate of Oman*, International Journal of Archaeological Studies, DOI:10.1080/13527258.2012.709193.
- Bahrain National Museum, 2012: *Bahrain National Museum*[Online], Available from <http://www.bnmuseum.com/hlocate.htm> [Accessed 25.2.2012].

- Bent, J. T. 1890: The Bahrain Islands in the Persian Gulf, In: *Proceedings of the Royal Geographical Society*, 12, 1890, pp. 1-19.
- Bibby, T. G. 1970: *Looking For Dilmun*, London, Collins.
- Cleuziou, S. and Tosi, M. 2000. Ra's al-Jinz and the Prehistoric Coastal Cultures of the Ja'alan. *Journal of Oman Studies*, 11, pp. 19-73.
- Department of Antiquities and Museums, 1975, An Introduction to Saudi Arabian Antiquities, Kingdom of Saudi Arabia: Department of Antiquities and Museums, Ministry of Education.
- Durand, E. L. 1880: Extracts from Report on the Islands and Antiquities of Bahrain, *Journal of Royal Asian Society*, 12, pp. 189-201.
- Glob, P. V. 1968: *Al-Bahrain*, Copenhagen: Gyldendal.
- King Saud University, 2012, About us [Online]. Available from <http://ksu.edu.sa/sites/KSUArabic/aboutUs/Pages/History2.aspx> [Accessed 25.02.2012].
- Kuwait Government Online, 2012.: Museums in Kuwait [Online]. Available from http://www.e.gov.kw/sites/kgoenglish/portal/Pages/Visitors/TourismInKuwait/ActivitiesInKuwait_MusiumsAndGalleries.aspx [Accessed 25.2.2012].
- Kuwait University, 2012: Brief History [Online]. Available from <http://www.kuniv.edu/ku/AboutKU/BriefHistory/index.htm> [Accessed 25.2.2012].
- Ministry of Information, Oman, 2012: *The Museums* [Online]. Available from <http://www.omanet.om/english/home.asp> [Accessed 25.2.2012].
- Museum of Islamic Art 2012: About the museum [Online]. Available from <http://mia.org.qa> [Accessed 2.8.2012].
- Niebuhr, C. 1792: *Travels through Arabia, and other Countries in the East*, translated by Robert Heron, 2 vols (Edinburgh: Printed for R. Morison).

- Potts, D. T. 1990: *The Arabian Gulf in Antiquity*. 2 vols. Oxford: Clarendon Press.
- Potts, D. T. 1998: The Gulf Arab States and their Archaeology. In: *Archaeology Under Fire*, L. Meskell, Ed. London: Routledge, pp. 189-99.
- Qatar National Museum, 2012: *Qatar National Museum* [Online], Available from <http://www.qnm.8m.com/main.htm> [Accessed 25.2.2012].
- Qatar University College of London 2012: Degree programmers, <http://www.ucl.ac.uk/qatar/programmes>. [Online] [Accessed 2.8.2012].
- Qatar University, 2012. *Our history* [Online]. Available from <http://www.qu.edu.qa/theuniversity/history.php> [Accessed 25.2.2012].
- Rice, M. 1994: *The Archaeology of the Arabian Gulf c. 5000-323 B.C.* London & New York: Routledge.
- Saadiyat 2012: The Cultural Program. <http://www.saadiyat.ae/ar/cultural.html>. [Online] [Accessed on 2.8.2012].
- Sharjah Museums Department, 2012: *Sharjah Calligraphy Museum* [Online]. Available from [http://www.sharjahmuseums.ae/SMDWebsite/Museums/Calligraphy Museum.aspx](http://www.sharjahmuseums.ae/SMDWebsite/Museums/Calligraphy%20Museum.aspx) [Accessed 25.2.2012].
- Sultan Qaboos University, 2012: *About SQU* [Online]. Available from <http://www.squ.edu.om/tabid/61/language/en-US/Default.aspx> [Accessed 25.2.2012].
- University of Bahrain, 2012: *About UOB* [Online], Available from <http://www.uob.edu.bh/english/> [Accessed 25.2.2012].
- Zayed University 2012. MA in Museum Studies [Online]. Available from http://www.zu.ac.ae/main/en/colleges/colleges/college_arts_science/graduate_programs/ma_museum_studies/intro.aspx. [Accessed on 2.8.2012].

العادات والتقاليد الفارسية في البلاط العباسي (العصر العباسي الأول)

د. كمال الحاج الحسين عبد الرحمن

أستاذ مشارك - كلية الآداب والدراسات الإنسانية - جامعة دنقلا

إن نفوذ الفرس في البلاط العباسي ، كان له جذور متصلة بالدعم الفارسي للعباسيين ، والعلاقة الخاصة الوطيدة التي جمعت بين خلفاء الدولة العباسية في عصرها الأول ، بالعناصر الفارسية ، وبدأت تلك العلاقة مع بعض أفراد البيت العباسي قبل توليهم الخلافة .

ظهر في البلاط العباسي من الفرس بجانب الأسر الحاكمة والوزراء والقادة والعلماء والفقهاء والأطباء ، كما كان للشعراء والأدباء مكان داخل القصور، وامتألت قصور الخلفاء بالجواري والغلمان والخدم . وشكل الفرس وجوداً مؤثراً في البلاط العباسي من خلال تلك الفئات المختلفة ، وسوف يتناول هذا المقال أثر ذلك الوجود في العادات والتقاليد الفارسية التي ظهرت في البلاط والمجتمع العباسي في عدة مجالات منها: الاهتمام بالشعر والشعراء والغناء والموسيقى، وفي عادات وتقاليد الزواج وكذلك ألوان الطعام، وفوق هذا وذاك التأثير بعمارة القصور وأثاثها وتقاليدها.

يمثل الظهور المبكر للفرس في البلاط العباسي منذ عصر السفاح ، الذي أعجب بخالد بن برمك الذي عاش في قصر السفاح ، بل أن هنالك علاقة خاصة نشأت بينهما ، فدفع السفاح بابنته ريطة لترضعها زوجة خالد بن برمك (الجهيشاري ١٩٣٨م، ص ٨٩)، وذهبت العلاقة إلى أبعد من ذلك ، ويورد الجهيشاري قولاً يؤكد وصول الفرس إلى داخل القصر ويشير الى مشاركة ابنة

خالد بن برمك ابنة الخليفة السفاح الفراه، (فقال أبو العباس يوماً لخالد بن برمك : لم ترض يا ابن برمك حتى استعبدتني ! فوجم من ذلك ، وقال : أنا عبد أمير المؤمنين ، فقال له : كانت ربيعة و أم يحيى في فراش واحد فتكشفتا ، فرددت عليهما اللحاف ، فقبل يده وشكر له ، ولم يزل على منزلته عنده إلى أن توفي أبو العباس) (الجهيشاري ١٩٣٨م ، ص ٨٩) .

أتاح هذا الوجود لأسرة البرامكة تولي أرفع المناصب لاحقاً . سار الخلفاء بعد السفاح في الاستعانة بالفرس بناءً على علاقة سابقة قبل توليه الخلافة ، هذا ما فعله الخليفة المهدي في اختياره لأبي عبد الله معاوية بن عبد الله وزيراً له ، والذي كان كاتباً للمهدي عندما بعثه المنصور مع ابنه المهدي إلى الري موكلاً له مهاماً تدل على الثقة التي أولاها له المنصور، حيث جعله مستشاراً لابنه المهدي (.. أوصى المنصور ابنه بامثال ما يشير به) (حسين مجيب المصري د.ت ، ص ١١٣) . وثق الخليفة المهدي علاقته بالفرس ، فجعل الوزارة ليعقوب بن داؤود وأعجب به ولقبه بأخيه في الله كناية عن الوداد بينهما (ثم اختص المهدي ليعقوب بن داؤود ، وخرج كتابه على الداووين : إن أمير المؤمنين قد آخاه ، وكان يصل إليه في كل وقت دون الناس كلهم) (المسعودي ١٩٨٣م ، ص ٣١٢) .

أقر الخليفة الهادي مساعدي أبيه من الفرس على ما كانوا عليه أيام أبيه في الوزارة والحجابة ، وأخذ في استشارة البعض منهم في أمور الدولة ، فعندما عزم الخليفة الهادي على نقل ولاية العهد من أخيه الرشيد لابنه ، كان أن استشار يحيى بن خالد البرمكي في ذلك ، وفي هذا دلالة على نفوذ يحيى بن خالد داخل القصر .

قويت جذور الصداقة بين أفراد البيت العباسي والفرس من خلال علاقتهم بأسرة البرامكة ، عندما نشأت أخوة الرضاة بين هارون الرشيد والفضل بن يحيى بن خالد البرمكي ، هذا يشير إلى تداخل الفرس مع الأسرة الحاكمة حتى وصل لأن ترضع الفارسية ابن الخليفة العباسي المهدي (.. إن الرشيد ولد أول يوم من

المحرم سنة ١٣٩هـ - وكان الفضل بن يحيى ولد قبله بسبعة أيام ... فجعلت أم الفضل ظنراً للرشيدي فأرضعت الرشيدي بلبان الفضل وأرضعت الخيزران الفضل بلبان الرشيدي) (الطبري ١٩٨٩م ، ص ٤٤١) .

كان لهذه الأخوة في الرضاعة الأثر الواضح في علاقة الرشيدي بيحيى ، إذ كان يدعوهُ بأبي ، وازدادت قوة حين جعل الخليفة المهدي يحيى بن خالد مريباً ومؤدباً لابنه هارون (... ووكله المهدي بكفالة الرشيدي فأحسن تربيته) (ابن خلدون ١٩٨٨م ، ص ٢٨٠) .

صار يحيى بن خالد - من تلك المكانة - يشرف على أحوال قصر الخليفة هارون ويشرف على خدمة نسائه حسب ما اقتضته طبيعة العلاقة ، الأمر الذي لم يعجب زبيدة زوجة الرشيدي (فشكت زبيدة إلى الرشيدي ... فقال يا أمير المؤمنين : أمتهم أنا في حرمك وتديبر قصرك عندك) (المسعودي ١٩٨٣م ، ص ٣٣٧) . وبلغت صلة الخليفة هارون بيحيى مستوى رفع الكلفة بينهما ، حيث منحه الرشيدي حرية الدخول عليه في أي وقت شاء ودون استئذان ؛ ويقف عند دخوله إليه الخدم والحشم (... حتى أنني كنت أدخل على الرشيدي وهو في فراشه مجرداً حيناً ، وحيناً في بعض إزاره) (الطبري ١٩٨٩م ، ص ٤٤٣) .

كانت هنالك علاقة خاصة تجمع بين الرشيدي وجعفر بن يحيى ، الذي كان من ندماء الرشيدي ، بل ظل جعفر في العاصمة بجانب الرشيدي رغم توليه بعض المهام الإدارية في الولايات (كان جعفر متمكناً عند الرشيدي ، غالباً على أمره ، واصلاً منه ... ، حتى أن الرشيدي اتخذ ثوباً له زيقان ، فكان يلبسه هو والرشيدي ، ولم يكن للرشيدي صبر عنه ...) (ابن خلكان د.ت ، ص ٣٣٢) . وزادت ثقة الرشيدي في أسرة البرامكة ، فدفع بابنيه الأمين والمأمون ليكونا تحت رعايتها ، فوضع الأمين في حجر الفضل والمأمون في حجر جعفر .

بلغ نفوذ البرامكة مبلغاً عظيماً ، فأصبحت لهم مجالسهم الخاصة التي تضاهي مجالس الخليفة الرشيد نفسه ، وكمال علاقتهم بالبلاط يظهر في حضور الرشيد مجالسهم ، إذ من المقبول أن يذهب الوزراء إلى مجالس الخلفاء والأمراء ، لكن تبدل الحال عند البرامكة ، مما يؤكد وقوع الرشيد تحت تأثيرهم (وكان الرشيد إذا حضر مجالسهم وهو بين الآنية المرصعة والمطارح من الوشي والديباج والجواري يرفلن في الحرير والجوهر) (جميل نخلة ١٩٣٥م ، ص ٨٩) .

استقدم العباسيون علماء الفلك والمنجمين من بلاد فارس ، بدأ الخليفة المنصور ذلك باصطحابه لنوبخت المنجم الفارسي ، ويتضح تأثير المنجمين في سياسة الدولة في عهد المعتصم ، الذي أشار عليه المنجمون بتأجيل فتح عمورية ، كما حرص الخلفاء العباسيون على استقدام العلماء الفرس إلى دار الخلافة وحضورهم مجالس الخلفاء ، كما استعان الخلفاء بالأطباء من فارس ، فكان أن طلب الرشيد طبيباً فارسياً حين اشتد به الألم (... لما اشتدت علة الرشيد وصار إلى طوس هون عليه الأطباء علته ، فأرسل إلى متطبب فارسي كان هناك) (المسعودي ١٩٨٣م ، ص ٣٦٥).

وجد الشعراء والأدباء مكاناً فسيحاً في بلاط الخلفاء ، فالشاعر أبو العتاهية كان ملازماً للرشيد في حله وترحاله ، بل كان أنيساً له ، ونظم شعراً في مجالس الخليفة (... كان أبو العتاهية يلازم الرشيد في خلافة المهدي ، فلما ولي الرشيد الخلافة كان أبو العتاهية لا يفارقه في مقر ولا سفر ، إلا في طريق الحج) (عمرو أبو النصر ١٩٣٤م ، ص ٦٩). وظهر دور ابن المقفع الأديب الفارسي في البلاط العباسي ، في ذلك الأمان الذي كتبه لعبد الله بن علي حين أمنه المنصور . كلف الخلفاء العباسيون بالغناء كلفتهم بالشعر ، وظهر أول مغني بالبلاط العباسي من بلاد فارس ، وهو إبراهيم الموصللي وابنه إسحق اللذان عطرا مجالس الخلفاء

بأعذب الألحان (ابراهيم الموصلي من بيت كبير في العجم وأول خليفة سمعه المهدي بن المنصور) (ابن خلکان د.ت، ص ٤٢).

استمر خلفاء الدولة من بعد المهدي في سماعهم للغناء من الفرس لبراعتهم في ذلك، ولعدم معرفة العرب بضروب الغناء الذي يؤديه أولئك المغنين، وقد كانت مجالس الخليفة المهدي عامرة بوصلات من أغانيهم الطروب (قال اسحق بن إبراهيم الموصلي قال لي المهدي يوماً : غنني جنساً من الغناء أطرب له ولك حكيمك) (الجهيشاري ١٩٣٨م ، ص ١٧٥) .

امتاز العصر العباسي الأول بكثرة المولدين ، وهم الجيل الذي اختلطت دماؤه نتيجة للتراوح الذي تم بين العرب والموالي الفرس ، مما أوجد جيلاً يحمل خصائص وطبائع مختلفة، فقد قال أحد جند العراق : (شهدت القادسية مع سعد ، فتزوجنا نساء أهل الكتاب ونحن لا نجد كثير مسلمات ، فلما غفلنا فمنا من طلق ومنا من أمسك) (شكري فيصل ١٩٥٢م ، ص ١١١) . لم تخلُ قصور الخلفاء العباسيين من المولدين، مما أدى إلى ما عرف بالتسري ، وهو الزواج من الإماء ، وظهر بذلك أمراء من أمهات غير عربيات ، ويمثل الخليفة المأمون هذا الجيل من المولدين ، إذ أن أمه " أم ولد " فارسية تدعى مراحل .

ازدحمت قصور الخلفاء بالموالي والإماء ، الذين استخدمهم الخلفاء في شتى خدمات القصور ، فكان الخدم غالبيتهم من الفرس ، وكره الخلفاء العباسيين أن يخدم حرمهم أفراد من العرب وقد يكون ذلك لأنفة العرب وترفعهم عن الخدمة داخل القصور ، وربما أراد بنو العباس ألا يطلع العرب على أسرار حريمهم داخل القصور (كان للمنصور خادم ماهر لا بأس به فقال له المنصور يوماً : ما جنسك ؟ قال : عربي يا أمير المؤمنين قال : إما أنك نعم الغلام ، ولكن لا يدخل قصرني عربي يخدم حرمي ، أخرج عافاك الله فاذهب حيث شئت) (الطبري ١٩٨٩م ، ص ٣٣٩) . أدى هذا الوجود الكثيف للفرس داخل قصور الخلفاء الى

ظهر بعض العادات والتقاليد الفارسية في حياة الخلفاء العباسيين وامتدت لتشمل طبقات المجتمع المختلفة .

الغناء والموسيقى :

انتشر الغناء في المجتمع العباسي ، وسبب ذلك وجود القيان والمغنيات في قصور الخلفاء ، وكان ذلك بتأثير فارسي ، فالقيان الفرس عُرفن منذ العصر الجاهلي، ويؤكد ذلك الاتصال المبكر بين العرب والفرس عبر مملكة الحيرة التي قلد ملوكها ملوك فارس في حياتهم الاجتماعية ، وانتقل ذلك إلى المجتمع العباسي (ان النضر بن الحارث كان يحدث قرشياً بقصص الفرس ، وكان يشتري القيان الفارسيات) (أحمد محمد الحوفي د.ت ، ص ٦٨) . تطورت معرفة العرب بالغناء في العصر العباسي الأول ، فأصبح للمغنين شأن عظيم عند الخلفاء ، وبلغ اهتمام الخلفاء العباسيين بالغناء حدّاً أجازوا فيه لأبنائهم تعلم الغناء ، فكان إبراهيم بن المهدي وأخته عليّه من المهتمين بالموسيقى والغناء ووجدوا تشجيعاً من الأسرة (إن هارون شجعهما على العزف إمامه ، بل سر من رؤيتهما ينافسان موسيقى البلاط) (الأصفهاني د.ت ، ص ٥١) .

يبدو أثر الموسيقى الفارسية واضحاً في أسماء الآلات الموسيقية لدى العرب، مثل العود الذي يدعى " البربط " في الفارسية، واستخدمها العرب بهذا الاسم كما ورد عن صاحب الأغاني: (لقد رأيت عشر قيان يغنين بالبرابط) والبربط يعني في الفارسية صدر البيط (محمود الحفني د.ت ، ص ١٨-١٩) .

مثلّ الغلمان و الخصيان إحدى ركائز البلاط العباسي ويخص كثيراً من المؤرخين ، الخليفة الأمين بهذا الأمر ، وينسبون إليه الولوج بالغلّمان. زاد الأمر شيوعاً وتناول الشاعر أبو نواس الغزل بالمذكر ، وهو موضوع لم يعرفه الشعر العربي ويحرم ذلك الإسلام ، وإنما هي عادة فارسية وجدت طريقها الي المجتمع العباسي وراجت فيه ، خاصة بعد أن أصبح ذلك موجوداً داخل قصور الخلفاء، (وقد كان الفرس

يستكثرون من الغلمان في قصورهم ، ويستخدمونهم في أغراض شتى ، ويزينونهم بما تزين به الإناث ، فحاكاهم العرب في ذلك) (الأصفهاني د.ت ، ص ٢٠٢) . أصبح الغلمان في العصر العباسي الأول زينة مجالس الخلفاء ، ويجمع المؤرخون على أن الخليفة الأمين هو الأكثر ولهاً بالغلمان وامتلك منهم عدداً ، (والراجح أن الأمين كان أول من سعى في طلبهم وغالى بهم وصيرهم لخلوته) (السيوطي ١٩٥٩م ، ص ٣٠) . ويروي المسعودي أن الأمين (أخذ الجواري الحسان الوجوه وقص شعورهن فألبسهن ثياب الغلمان وسلك الناس من الخاصة والعامة ذلك السبيل) (المسعودي ١٩٨٣م ، ص ٣٩٤) .

كان للغلمان والخصيان مهام داخل القصور ، فالغلمان كانوا يستخدمون في الخدمة المنزلية والحراسة ، إلا أن الزيادة في عددهم ، جعل منهم غرضاً آخر وهو اتخاذهم زينة للمجالس ، فتأنق هؤلاء في زينتهم بأنواع اللباس المزخرف ، كما استعمل الخصيان في دور النساء غيرة عليهن حتى لا يطلع عليهن بقية الخدم . إن وجود الغلمان والخصيان في البلاط العباسي كان بتأثير فارسي (... ومن الغلمان طائفة مخنثة انتشروا في الكوفة منذ امتلأت بجند خراسان الذين ناصروا بني العباس ، إذ كانوا قد استقدموا معهم المخنثين جرياً على تقليد فارسي قديم..) (الحوفي د.ت ، ص ١٢٥) . انتقلت هذه الظاهرة إلى البلاط العباسي ، ولزيادة الطلب عليهم ، أقبل بعض تجار الرقيق إلى خصي البعض ، لمقابلة حاجة المجتمع العباسي للخصيان في بعض المهام المنزلية ، وهذا أدى بدوره إلى تكاثر أعداد الخصيان في بلاط الخلافة، فقد (كان يوجد بالقصر العباسي أحد عشر ألف خصي) (ابن تغري بردي د.ت ، ص ٢٤٨) .

بناء القصور والفضن المعماري :

انعكس الثراء - الذي كان سمة للعصر العباسي الأول ، نتيجة الاستقرار وتدفق الأموال على الدولة - على حياة المجتمع العباسي ، الذي سار

على نهج الحياة الفارسية ، التي انتقلت بفضل الوجود الفارسي الكثيف في بلاط الخلافة . اهتم الخلفاء العباسيون والأمراء ، ببناء القصور وتزيينها وفرشها بأعلى أنواع الفرش ، مخالفين بذلك حياة المجتمع الاسلامي في عهده الأول ، جاء هذا الاهتمام بالبناء من ملوك الفرس ، الذين اهتموا بتشييد القصور ، اعتقاداً منهم أن عظمة البناء تدل على عظمة بانيه وتخلد ذكراه ، يتضح هذا في وصية يحيى بن خالد لابنيه الفضل وجعفر في قوله : (لا شيء أبقي ذكراً من البناء ، فاتخذوا منه ما يبقى لكم ذكراً) (الجهيشاري ١٩٣٨م ، ص ٢١٧). يظهر اهتمام الخلفاء العباسيين بالقصور وشأنها في تشييد المنصور لقصر الذهب وسط بغداد وقصر الخلد . كما أن المأمون جارى كذلك الفرس في أمر البناء (... إذا ثبت لي بناء ، فاجعله ما يعجز عن هدمه ليبقى طله ورسمه ذكراً) (الطبري ١٩٨٩م ، ص ٢٩٠) لم يكن الاهتمام ببناء القصور شيمة للخلفاء وحدهم ، فقد جارى الأمراء الخلفاء في ذلك (إن المنصور زار عمه عيسى بن علي في أربعة آلاف رجل فوسعهم القصر) ، (جميل نخلة ١٩٣٥م ، ص ١١٢).

كانت قصور الخلفاء ، تصور ما كان لهؤلاء من ثروات طائلة ، فتكونت قصورهم من أقسام مختلفة ، حددت للفئات داخل القصر (مقاصد الحرم وحجرات النوم ومجالس السلام الخاصة بالضيافة) (حسن أحمد محمود دت ، ص ٨٨) ، تحيط بهذه القصور الحدائق المكونة من شتى أنواع الاشجار والرياحين ، وفرشت هذه القصور بأعلى أنواع الأثاث . كل أسباب النعيم هذه جعلت الخليفة المنصور يطلق على أحد قصوره اسم (الخلد) .

ألوان الطعام :

يوضح سلوك الخلفاء وكبار رجال الدولة مدى الترف الذي كانوا فيه ، ويظهر ذلك جلياً فيما تبادلوه من ألوان الطعام ، واقامتهم للولائم وحفلات الزواج وأنواع تسليتهم ، ذلك بفضل ما تكرر لديهم من ثروات . (كانت خزائن المجتمع

في العصر العباسي يأتيها الخراج بأموال طائلة حتى قيل أن المنصور خلف حين وفاته أربعة عشر مليوناً من الدنانير) (المسعودي ١٩٨٣م ، ص ٢٣٤) . عني الخلفاء في العصر العباسي الأول بانتقاء الطيبات من الطعام ، وكانت لذائذ الطعام تأتيهم من كافة الاقطار إلى قصورهم . وتشير الروايات إلى اهتمام خلفاء بني العباس بأصناف الطعام ، فقد طعموا وشربوا في أواني الذهب والفضة ، وفي هذا السياق أود السيوطي : (تغدينا مع المأمون في يوم عيد فوضع على مائدته أكثر من ثلاثمائة صنف) (السيوطي ١٩٥٩م ، ص ٣١٥) . مال الخلفاء العباسيون إلى إرضاء العامة بنصب الموائد لهم أحياناً ، (كانوا ينصبون لهم الموائد يدعونهم إلى الطعام ، فيجتمع على مائدة الأمير ألوف من العامة) (جرجي زيدان د.ت ، ص ٨١) ، وفي هذا تقليد لعادة فارسية قديمة سار عليها الخلفاء والأمراء العباسيين. (كان بعض ملوك الفرس ينصب ٥٠٠ مائدة يجعل على كل واحدة نصف شاة ..) (جرجي زيدان د.ت ، ص ٨٢) .

تأثر العباسيون بالفرس في ألوان الأطعمة التي تناولوها وأحياناً قلدوهم حتى في آداب الأكل، (عرفوا طرائق الطعام الفارسية ، وأقبلوا على اللحوم والبقول وعلى البوارد والحلويات وعكفوا على التنويع وتقننوا في التحضير، مما لا عهد للعرب الأوائل به) (صلاح الدين المنجد ١٩٧٤م ، ص ٧٨) فطعام العرب الأوائل كان بسيطاً في ألوانه إذ اعتمدوا على الخبز والسمن ، ولم تشهد موائدهم صنوف الطعام ومطائبه . شملت موائد العباسيين ، ما كانت تشتمل عليه موائد الفرس ، بل أخذوا المأكّل بأسمائها الفارسية ، فأكلوا الأطعمة الفارسية ، وطعموا وشربوا في أواني الذهب والفضة ، كما كان يفعل الفرس ، فوجدت على موائدهم (السيباج : وهو لحم يطبخ بخل ، والطباهج - وهو طعام من لحم وبيض وبصل - ومنها الغانيد - وهو حلوى من الدقيق والسكر والسمن) (شوقي ضيف د.ت ، ص ٥٣).

عادات الزواج :

زادت مظاهر تلك الحياة وضوحاً في عادات الزواج عند الخلفاء في ذلك العصر وفيما انفق الخلفاء على زواج أبنائهم . يدل زواج الرشيد من زبيدة وما صرفه الخليفة المهدي على زواج ابنه عظمة تلك المناسبة (أقام وليمة لم يسبقه إليها أحد في الاسلام ، ووهبت الناس في هذا اليوم أواني الذهب مملوءة بالفضة ، وأواني الفضة مملوءة بالذهب ، وزينت بكثير من الحلي والجواهر) (المسعودي ١٩٨٣ م ، ص ٣١٣) . بالغ المأمون أيضاً في الصرف على زواجه على بوران بنت الحسن بن سهل الفارسي الأصل، وارضاءً لها كان أن وافق على طلبها بالعفو عن إبراهيم المهدي الذي نازعه الخلافة . (أمر المأمون غسان بن عباد عند منصرفه أن يدفع إلى الحسن عشرة ألف من مال فارس) (الطبري ١٩٨٩ م ، ص ٣٨٩) . قابل الحسن بن سهل ذلك الاكرام بمثله في زواج بنته بالمأمون ، ويؤكد مسلكه ما كان عليه عظماء الفرس من جاه ، فنثر الحسن بن سهل من الأموال على الناس ما لم ينثره من قبل (كتب رقاعاً فيها أسماء ضياع له ، ونثرها على القواد والعباسيين فمن وقعت على يده رقعة باسم ضيعة تسلمها ، ونثر صينية ملئت ذهباً أمام المأمون عندما زُفت إليه) (المسعودي ١٩٨٣ م ، ص ٤٤٣) . ومما يشير أن كل ذلك كان بتأثير فارسي ، ما أقدم عليه الفضل بن يحيى في إعانة شاب يريد الزواج بستة عشر ألف درهم (أعطاه أربعة آلاف لزوجته ، وأربعة آلاف درهم ثمن منزل سكنته ، وأربعة آلاف درهم للنفقة على وليمته ، وأربعة آلاف درهم يستعين بها على العقد الذي عقده على نفسه) (الجهيشاري ١٩٣٨ م ، ص ١٩٥) .

مظاهر البذخ الأخرى :

اكتملت مظاهر البذخ والترف عند أفراد الطبقة الحاكمة ، بضروب من أنواع التسلية التي تعين على ترويح النفس ، فاكتظت القصور بالمغنيين والشعراء ، وسبقت الإشارة إلى اهتمام الخلفاء بذلك . أنفق الخلفاء على هؤلاء الكثير من

الأموال وجعلوهم من المقربين . بدأ ذلك الخليفة الأول (كان لا ينصرف عنه أحد من ندمائه ولا مطربيه الا بصلة من مال أو كسوة .. وقد سبق إلى هذا الفعل ملك من الملوك التي للفرس وهو بهرام جور) (المسعودي ١٩٨٣م ، ص ٤٤٣) . سار على ذلك بقية الخلفاء في الصرف على الشعراء والمغنين مما يؤكد الأثر الفارسي (أخذ ابراهيم الموصللي ١٥٠,٠٠٠ دينار ذات مرة من الخليفة الهادي) (هنري جورج د.ت ، ص ١١٩) .

اهتم الخلفاء بأنواع أخرى من التسلية ، كسباق الخيل ولعب الشطرنج وغيرهما ، يقول المسعودي : (أجرى الرشيد الخيل يوماً في الرقة ، فلما أرسلت سار إلى مجلسه في صدر الميدان ، حيث توفي الخيل إليه ، ويقول إبراهيم بن المهدي كنت أنا والرشيد على ظهر حراقة والشطرنج بين أيدينا) (المسعودي ١٩٨٣م ، ص ٣٦٢) . كان الصيد أحب أنواع التسلية للخلفاء وقد مارس ذلك العديد منهم . (خرج المهدي متنزهاً ومعه عمر بن يزيد فانطلقا عن المعسكر في طلب الصيد) (الجهيشاري ١٩٣٨م ، ص ١٤٦) .

نظام الحجابة :

أخذ العرب كذلك نظام الحجابة عن الفرس ، فاحتجاب الحاكم عن الرعية لم يكن شائعاً في صدر الاسلام ، فكان الخلفاء الراشدون يخالطون الناس ويستمعون إليهم ، احتجب خلفاء الدولة الأموية ، وقرن ذلك العباسيون بعد أن خالطوا الفرس في بلاطهم . عمل الفرس بالحجابة منذ عهد أردشير وطبق الفرس هذا الاحتجاب حتى على أبنائهم ، فكان الحجاب يتشددون مع أبناء الملوك عند الدخول عليهم ، ولا يسمحون لهم بالدخول إلا بإذن من الملك؛ فكان الحجاب عليهم أغلظ منه على من دونهم من بطانة الملك وخدمه (إن يزدجرد رأى بهرام ابنه بموضع لم يكن له ، فقال : مررت بالحاجب؟ ، قال : نعم ، قال : فاخرج عليه واضربه ثلاثين سوطاً) (الجاحظ ١٩١٤م ، ص ١٢٥) . سار العباسيون على ذات النهج في التعامل مع

أبنائهم حين الدخول عليهم (إن موسى الهادي دخل على أمير المؤمنين المهدي فزجره وقال : إياك وان تعود إلى مثلها إلا أن يفتح بابك) (الجاحظ ٩١٤م ، ص ١٢٥).

عادات الملابس والزينة :

افتتن العرب بكثير من مظاهر الحياة الفارسية ، وقلدوا ما استطاعوا تقليده ، فكان ما أخذه العرب في الجاهلية من الفرس ، الملابس ذات الألوان الزاهية ، عن طريق التبادل التجاري بينهم (الملابس الفارسية ، المصنوعة من الحرير بألوانه الزاهية ، جلبها التجار وباعوها لسادات قريش وعظمائها) (عائشة الترابي ١٩٩٤م ، ص ٤١) . عرف العرب كذلك في صدر الاسلام أنواعاً من الملابس الفارسية ، وكل ذلك يعود إلى الاتصال المباشر بين العرب والفرس وما حققته حركة الفتوح الاسلامية في تعميق تلك الاتصالات، (غنم المسلمون في حروبهم مع الفرس كثيراً من المنسوجات الفارسية ، يقال أن أباموسى الأشعري أرسل مع الهرمزان اثنتا عشر أسيراً من العجم عليهم الديباج والمناطق المذهبة) (ابن سعد د.ت ، ص ٩٠).

اهتم الخلفاء العباسيين بالمظهر ، تمشياً مع عادات الفرس ، الذين تمكنوا في الدولة والبلاد العباسي ، فاستخدموا نتيجة لذلك الملابس الفارسية . بدأ ذلك على أيام الخليفة المنصور ، الذي تشير الروايات على أنه أول الخلفاء العباسيين الذي أمر باتخاذ الزي الفارسي ، وجعل لأهل كل طبقة زياً يميزهم عن الطبقات الأخرى ، فأمر المنصور بلبس القلائس الفارسية بدلاً عن العمائم التي كانت رمزاً للعروبة وتسمى بتيجان العرب ، كما تغيرت الجلابيب ، التي كانت لباساً للمسلمين الأوائل ، فاذا قارنا الزي الفارسي والأزياء التي اتخذها العباسيون ، لوجدنا تشابهاً واضحاً (فإن زي السلطان بها الأقبية ، وربما لبسوا الدراريع والعمائم التي تحتها قلانس مرتفعة) (الاصطخري ١٩٦١م ، ص ٨٣) . ويدل قول الشاعر أبو دلامة عن المنصور ، استخدام العباسيين للقلائس الطويلة ، يقول الشاعر :

(كنا نرجى من إمام زيادة *** فزاد الإمام المصطفى في القلانس)
استمر لبس القلانس حتى عهد المأمون ، فلبسها الفقهاء أيضاً عند حضورهم
لمجالس المأمون ، وكانوا أحياناً يؤمرون بوضعها؛ (قيل إذا حضر الفقهاء ، دخلوا
حجرة مفروشة وقيل لهم أصيبوا من الطعام ومن ثقلت قلنسوته فليضعها)
(المسعودي ١٩٨٣م ، ص ١٩) .

لم يكن الأثر الفارسي في مجال الزي مقصوراً على الطبقة الحاكمة، فكان للعمامة
نصيب في ذلك ، مع الاختلاف في اقتنائهم للأزياء حسب وضعهم الاجتماعي
(فمنهم من لبس الملابس الحريرية الفاخرة كالقميص والرداء والسروال المصنوع
من الحرير والصوف ، ولبس متوسطو الحال القميص والإزار ، أما الفقراء فكانوا
يلبسون الملابس القوية والدراعة) (عائشة الترابي ١٩٩٤م ، ص ٩١) . كان
بعض أفراد الطبقة العامة يلبسون الملابس المزينة والجميلة في الأعياد والمناسبات
العامة ، وهذا الوصف يبين ذلك (إنه في بغداد وفي عيد الفطر رأى الناس قد لبسوا
الطيبالس السود تشبهاً بملوك هذه الدولة ، وقد اتخذوا بدل العمام قلانس) (جميل
نخلة ١٩٣٥م ، ص ٢٤) ، كما انتعل الخلفاء أنواعاً من الأحذية الفارسية (كان
الخليفة ينتعل في رجله نعلأً أحمر ، اسمه خف أولاكه ، وهذه الأخيرة لفظة
فارسية) (عبد المنعم ماجد ١٩٨٤م ، ص ٢٢٨) .

جاءت ملابس النساء في العصر العباسي الأول ، ملائمة لذلك التطور ،
وأصبحت أكثر رونقاً مما كانت عليه في السابق ، فتميزت بكثرة الألوان وتختلف
وفقاً لمكانة المرأة الاجتماعية ، فنساء الطبقة العليا كان لهن أزياء مرصعة
بالجواهر وتمثل هذه الطبقة زبيدة زوجة الخليفة الرشيد ، التي لبست من الثياب
أفخرها ومن الجواهر أغلاها (هي أول من اتخذ اللآلئ من الذهب ، وصنع لها
الرفيع من العرش ، وهي أول من اتخذ من القصب والأبنوس ، ملبسة بالفرش
والديباج ، وأنواع الحرير الأصفر والأخضر والأزرق) (المسعودي ١٩٨٣م ، ص

٣٠٣) . كما أن بوران بنت الحسن بن سهل (لبست ليلة زفافها من المأمون قميصاً من اللؤلؤ والجوهر) (عائشة الترابي ١٩٩٤م، ص ٨٩) أما نساء الطبقات الأخرى فقد غلب عليهن لبس الحرير (نساء الطبقة الوسطى كن يلبسن الحرير ، أما الفقيرات فقد لبسن الدراعة وكانت السراويل البيض أكثر شيوعاً) (عائشة الترابي ١٩٩٤م ، ص ٩٢).

الاحتفال بالأعياد :

افتدى الخلفاء العباسيون بالفرس في مظاهر الاحتفال بالأعياد والمواسم، لم تكن احتفالات العباسيين قاصرة على الأعياد الدينية الإسلامية ، بل امتدت لتشمل الاحتفال بالأعياد الفارسية التي انتقلت إلى المجتمع العباسي بكل تقاليدها . احتفل العباسيون بعيدي النيروز والمهرجان ، وهما عيدان فارسيان كما يدل اللفظان (هما كلمتان فارسيتان معناهما محبة الروح ، فالمهرجان دخول الشتاء وفصل البرد ، والنيروز إذن بدخول الحر ، إلا أن في النيروز أحوالاً ليست في المهرجان فمنها استقبال السنة وافتتاح الخراج وتولية العمال وضرب الدنانير والدرهم) (الجاحظ ١٩١٤م ، ص ١٤٦) .

بدأ الاحتفال بهذين العيدين على أيام الأمويين ، منذ زمن معاوية ، فأبطل ذلك الخليفة عمر بن عبد العزيز . أعاد العباسيون هذه العادة ، فأحبوا الاحتفال بالنيروز والمهرجان على عادة ملوك الفرس ، واتخذوها أعياداً قومية، يجلس فيها الخليفة للتهنئة واستقبال الهدايا كالأعياد الإسلامية . إن العيدين كانا يتميزان بتقديم الهدايا للحكام وتفريق الحكام العطايا للعمامة (كان أردشير و أنوشروان يأمران بإخراج ما في خزائنهم من أنواع الملابس والفرش وما إلى ذلك ، فتقسم على الناس ..) (فتحي أبو الحمد ١٩٨٢م ، ص ٤٨) جلس الخلفاء العباسيون للتهنئة في

هذين العيدين وتقبلوا الهدايا، فقد (أهدى أبو العتاهية إلى المهدي في يوم نيروز ومهرجان صينية فيها ثوب ممسك) (المسعودي ١٩٨٣م ، ص ٣٦٧) . استمر الاحتفال بالعيدين خلال العصر العباسي الأول ، خاصة في عهد الرشيد فشجع البرامكة على الاحتفال بهما ، كما أن ذكر الشعراء لهذين العيدين في قصائدهم في ذلك العصر ، دليل كافٍ على مدى الاهتمام بهما وجعلهما من المناسبات العامة، وفي ذلك يقول أبو نواس :

يباكرنا النيروز في غسق الدجى *** بنور عل الأغصان كالأنجم الزهر

أثاث القصور والفضن المعماري :

تبدو كذلك مظاهر التأثير الفارسي ، في بناء القصور وأثاثها وفرشها إلا أن هذا الأثر لم يكن جديداً على المجتمع العربي المسلم ، فقد عرفه العرب في جاهليتهم و صدر الإسلام ، فالعرب كانوا في بادئ أمرهم يسكنون الخيام ويفرشونها بالحصير ويختارون من الفرش أبسطه ، فانتقل إليهم الأثر الفارسي في ذلك الوقت بسبب اتصالهم بالفرس قبل الإسلام أو في صدره، فقد (تأثروا بالحضارة الفارسية نتيجة للزيارات والرحلات التي يقوم بها ساداتها إلى بلاد فارس وماجلبوه معهم من تلك الرحلات والزيارات ، فتغير أثاث البيت العربي في المدن وانتقل هذا التغيير تدريجياً إلى البادية وأصبحت الخيمة العربية تشتمل على أفخر أنواع الفرش والأثاثات) (عائشة الترابي ١٩٩٤م، ص ٥٩) ، قلد أيضاً ملوك الحيرة النظام الفارسي في أثاث الدور والقصور، (كان ملوك الحيرة ينافسون أكاسرة الفرس في الترف ومظاهر النعمة والعظمة، فقصورهم مؤثثة بأثمن الأثاث) (أحمد محمد الحوفي د.ت، ص ٧٧) .

طال الأثر الفارسي الفن المعماري في العصر العباسي الأول ، وظهر ذلك جلياً في نظام تخطيط المدن ، الذي جاء على النمط الفارسي ، إضافة الى اهتمام الخلفاء العباسيين بتشييد القصور وزخرفتها ، مجارين في ذلك قدماء الفرس . بدأ التأثير بالعمارة الفارسية ، عند انتقال مركز الخلافة إلى العراق ، واطلع العباسيون على فنون العمارة عند الأكاسرة في المدائن وغيرها من مدن فارس .

يتضح الأثر الفارسي في استخدام أدوات البناء وفي الطلاء ، فالعرب في جاهليتهم ، لم يكن لديهم فن معماري ذو طابع خاص ، لكن عندما شملت الدولة الإسلامية أراضي جديدة ، وفيها بلاد فارس ، استفاد العرب من تراث أهل فارس في العمارة (فبنوا الدور على الطراز الفارسي الذي شاع في بغداد وسامراء وعمارته ومن زخرفتها وقبابها وعمدها وحدائقها) (حسن أحمد محمود د.ت ، ص ٩١) . فكانت أساليب الطلاء والنقش والزخرف مأخوذة إلى حد كبير من الفرس .

يظهر الأثر الفارسي كذلك في البناء والتخطيط الدائري للمدن ، فشيّد الخليفة المنصور مدينة بغداد في شكل دائري ، يرى بعض المؤرخين أن هذا النوع من البناء الدائري ، كان موجوداً من قبل عند الفرس ، (إن اثنتي عشر مدينة مدورة سبقت مدينة المنصور بعضها يؤرخ من العصر الساساني القديم في العراق أو في إيران) (عادل نجم عيد ١٩٨١م ، ص ١٢٢) . تميزت كذلك بغداد ببناء القباب الذي ربما سبق فيه الفرس العرب ، فأدخله العرب في عمارتهم (إن أقدم نماذج القباب يتمثل اقدمها في قصر فيروز المؤرخ بحدود عام ٢٢٠م) (عادل نجم عيد ١٩٨١م ، ص ١٢٤) .

لاشك أن فن العمارة الفارسية أثر في فن العمارة الإسلامية في العصر العباسي الأول، إلا أن الفن الإسلامي لم يتلاش أمام الفن الفارسي ، فاحتفظت

العمارة الإسلامية بطابعها الجديد وأصبحت تمتاز بمزايا خاصة بها ، يمثل ذلك العمارة الدينية التي ظهرت بوضوح في بناء المساجد وزخرفتها بشتى أنواع الخطوط الدينية التي كتبت بها الآيات القرآنية في لوحات لتزيين المساجد .

يتضح مما سبق عرضه مدى تأثر الحياة العباسية في العصر الأول - على كافة مستوياتها - بالحضارة الفارسية وأسلوب الحياة عند الفرس بكل مظاهرها ، فقد تأثر المجتمع العباسي بعبادات وتقاليد فارس ، ذلك بسبب الوجود والنفوذ الفارسي في ذلك العصر .

المصادر والمراجع :

١ / المصادر :

- ابن تغري بردي ، جمال الدين يوسف (د.ت): النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ، ج ٢ ، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر ، القاهرة .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ١٤٠٨/١٩٨٨م: تاريخ ابن خلدون ، ج٣، دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت .
- ابن خلكان ، أحمد بن محمد بن أبي بكر (د.ت): وفيات الاعيان ، مجلد ١ ، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة .
- ابن سعد ، محمد الواقدي د.ت: الطبقات ، ج ٥ ، دار صادر، بيروت .
- الاصطخري ، ابن اسحق بن إبراهيم ، المسالك والممالك ١٩٦١م: (تحقيق) محمد جابر عبد العال ، وزارة الثقافة والإرشاد ، مصر، القاهرة .
- الأصفهاني ، أبو الفرج (د.ت): الأغاني ، ج ٩ ، دار التوجيه اللبناني، ط١، بيروت .
- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو ١٩١٤م: التاج في أخلاق الملوك ، تحقيق أحمد زكي باشا ، المطبعة الأميرية ، القاهرة .
- الجهيشاري ، أبو عبد الله محمد ١٣٥٧/١٩٣٨م: الوزراء والكتاب ، (تحقيق) إبراهيم الأبياري وآخرين ، مطبعة مصفي الحلبي، ط١، القاهرة .
- السيوطي، الحافظ جلال الدين ١٩٥٩م: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين، مطبعة السعادة ، ط٢، القاهرة .
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ١٤٠٩/١٩٨٩م: تاريخ الأمم والملوك ، ج٦ ، (راجع) نخبة من العلماء ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت .

- المسعودي ، أبو السعد علي ١٩٨٣م: مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٣ ، دار الاندلس للطباعة والنشر ، ط٥،بيروت .

٢/ المراجع :

- أحمد محمد الحوفي (د. ت): تيارات ثقافية بين العرب والفرس، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط٣ ، القاهرة.

- جرجي زيدان (د. ت): تاريخ التمدن الإسلامي ، ج ٥ ، دار الهلال ، بيروت .

- جميل نخلة ١٩٣٥م: حضارة الإسلام في دار السلام ، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة.

- حسن أحمد محمود (د. ت): الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى ، دار الفكر العربي ، بيروت .

- حسين مجيب المصري (د. ت): صلات بين العرب والفرس والترك ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة .

- شكري فيصل ١٩٥٢م: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري ، دار الكتاب العربي ، القاهرة .

- شوقي ضيف (د. ت): العصر العباسي الأول ، دار المعارف المصرية، ط٩ ، القاهرة .

- صلاح الدين المنجد ١٩٧٤م: بين الخلفاء والخلفاء في العصر العباسي ، دار الكتاب الجديد، ط٢ ، بيروت .

- عائشة يوسف الترابي ١٩٩٤م: صناعة النسيج الفارسي وأثرها على الحضارة الإسلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الخرطوم.

- عبد المنعم ماجد ١٩٨٤م: العصر العباسي الأول ، ج ١ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٣، القاهرة .
- عمر أبو النصر (تعريب) ١٩٣٤م : هارون الرشيد ، المكتبة الأهلية ، ط ١ ، بيروت .
- محمود أحمد الحفني (د.ت): اسحق الموصلي ، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة.
- هنري جورج فايير (د.ت): تاريخ الموسيقى العربية ، (ترجمة) حسين نصار ، مكتبة مصر ، القاهرة .

دوريات :

- عادل نجم عيد ١٩٨١م: " الأصول العربية للفنون الفارسية " ، مجلة آداب الرافدين ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، العدد ٤ ، الموصل .
- فتحي أبو الحمد الأمير ١٩٨٢/٥١٤٠٢: " أعياد لها تاريخ " ، مجلة الفيصل ، العدد ٦٤ ، السنة السادسة ، الرياض .

المرأة في المدينة المنورة

(١ - ١١هـ)

د. الزين عوض صالح

أ. مساعد - جامعة كسلا

مقدمة :-

إن الإسلام بمنهجه المتكامل صبغ الحياة الاجتماعية بمجموعة تشريعاته التي عنيت بجوانب الحياة الإنسانية كافة، ولمّا كانت المرأة مدرسة التغيير في المجتمعات أفرد لها الإسلام حيزاً كبيراً واهتم بمراحل حياتها المختلفة ، وهبها حق الحياة طفلة وصان حقوقها أمّاً وحرصها على المساهمة في دفع حركة المجتمع مثلها مثل الرجل، مما أتاح الفرصة للمرأة أن تلعب دوراً أساسياً في صياغة الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية، في ظل المنهج الإسلامي.

المرأة قبل الإسلام :

إن من أبرز ما حققه الإسلام في المجال الاجتماعي معالجته لمسألة المرأة، التي وقعت ضحية لظلم المجتمع الجاهلي ، فحررها الإسلام من قيودها لتتطلق طاقاتها عطاءً في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية . لم تكن المرأة في يثرب قبل دخول الإسلام أحسن حالاً من أخواتها الجاهليات في شبه جزيرة العرب اللاتي واجهن من تعسف الجاهلين وظلمهم حداً جعل من المرأة عاراً يجب التخلص منه ، فانتشر وأد البنات الذي لم تقتصر ممارسته على بعض الرجال فحسب بل أن بعض النساء أنفسهن شاركن في ارتكاب تلك الجريمة بوأد بناتهن ، ويظهر أن الوأد كان غير منتشر في وسط جميع القبائل وإنما اقتصر على عدد محدد جداً منها وهو عادة قديمة عند الشعوب سابقاً . لقد كانت كبيرة بنت سفيان من المبايعات للرسول (ص) قالت : " قلت يا رسول الله إني وأدت أربع بنات قبل الإسلام ، قال : اعتقي رقاباً ، قالت فاعتقت .. سعيد وابنه ميسرة وجبير وأم

ميسرة " (ابن الاثير د.ت: ٢٧١/١) . وجاء قيس بن عاصم بعد إسلامه إلى الرسول (ﷺ) وقال : " يا نبي الله إني وأدت ثمان بنات قبل الإسلام ، فقال رسول الله (ﷺ) : أعتق عن كل واحدة رقبة . قال : يا نبي الله إني ذو إيل . قال : فاهد لكل واحدة منهن إن شئت هدياً (الحموى ١٩٥٥ : ١٥٤٩/٢) .

إن القرآن الكريم، وهو يسجل على الجاهليين وأد البنات ، إنما يعكس تلك الحالة المتردية واللاإنسانية التي حرمت المرأة من أبسط حقوقها - حق الحياة - قال تعالى : (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم (٥٨) يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون) (سورة النحل ، الآية ٥٨-٥٩) .

إذا سلبت المرأة في الفترة الجاهلية حق الحياة فمن باب أولى أن تفقد جل حقوقها الأخرى إذ عاملت بعض القبائل المرأة معاملة المتاع ، فلم تعد أن تكون أداة للمتعة والتشبيب وهدفاً للنهب ومدعاة للعار ، واحتلت المرأة الصدارة في قصائد الجاهليين ليكون على فراقها ويتفننون في وصف محاسن جسدها ويتبارون في تسجيل وقائع مغامراتهم للإيقاع بها والوصول إليها (الحمور ١٩٥٥ م : ١٨٩٥/٢) .

كانت المرأة في الجاهلية إذا توفى عنها زوجها ورثها أهله " فمن يلقي عليها ثوباً يرثها " (ابن كثير ١٩٨٥ م : ٤٦٥/١) ، كما استخدمت بعض الاماء للكسب الرخيص المبتذل إذ " كان أهل الجاهلية إذا كان لأحدهم أمة أرسلها تزني وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت " (ابن كثير ١٩٨٥ م : ٢٨٨/٣) . ومن المعاملات القاسية التي واجهتها المرأة أنه كان إذا توفى عنها زوجها " ... دخلت خفشا ولبست شر ثيابها ولم تمس طيباً ولا شيئاً حتى تمر بها سنة ، ثم تؤتي بدابة ، حمار أو شاة أو طير فتقتضي به فقلما تقتضي بشيء الا مات ثم تخرج فتعطى بعة فترمي بها ثم تراجع بعدما شاعت من طيب أو غيره " (الشوكاني ١٩٧٣ م : ٩٣/٧) .

أصبحت الحياة الأسرية آنذاك بهزة عنيفة وعدم استقرار شديدين بالأساءة للمرأة عبر الأنكحة الفاسدة كالاستبضاع (الشوكاني ١٩٧٣م: ٣٠٠/٦)، ولا شك أن هذه الأنكحة الفاسدة حصرت دور المرأة وجعلت منها أداة للمتعة وجعلتها أسيرة لأهواء الرجل . وفوق هذا كانت المرأة هدفاً لغارات القبائل ، فكثيراً ما تعرضت للنهب والخطف والأغتصاب .

المرأة بعد الإسلام :

عندما جاء الإسلام حظيت المرأة في ظل دولة النبوة باهتمام التشريعات الإسلامية . إذ عمل الإسلام على رد كل الحقوق التي سلبتها إياها الأنظمة الجاهلة الوثنية ، فانطلقت المرأة بطاقتها تسهم في بناء الدولة الجديدة وفي كل المسارات السياسية والاجتماعية والعسكرية . وقد بدا هذا الدور الفاعل للمرأة منذ فترة الإعداد لقيام دولة الإسلام إذ مثلت المرأة حضوراً في بيعة العقبة التي مهدت الطريق لقيام الدولة الإسلامية بالمدينة ، وقد كانت " .. نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار وأسماء بنت عمرو بن عدي إحدى نساء بني سلمة " (الطبري ١٩٧٩م: ٢٣٨/٢) ممثلتين لنساء المدينة ، وبايعتا رسول الله (ﷺ) بوصفهما مندوبتين عنهن وكانت النساء في المدينة في مقدمة المستقبليين لرسول الله (ﷺ) يوم الهجرة (السمهري ١٩٥٥م: ٢٢٩/١).

استمر عطاء المرأة ومشاركتها في كل مجالات التوجه الجديد في ظل دولة الإسلام في المدينة إذ أسهمت المرأة في دفع العملية التعليمية والحركة العلمية النشطة حتى أن مجموعة من النساء تفوقن على الرجال في هذا المجال كالسيدة عائشة التي ذكرها الشعبي " .. فتعجب من فضلها وعلمها " (البلاذري ١٩٥٩م: ٤١٦) وبرزت المرأة في ساحات الوغى كنسيبة بنت الحارث الانصارية التي قالت " ... غزوت مع رسول الله (ﷺ) سبع غزوات ... (ابن جماعة ١٩٨٣م: ٤٧) وأظهرت المرأة حنكة في الرأي والسياسة كأم سلمة هند بنت أبي أمية (السامرائي

١٩٨٨م: ٢٤). كما أسهمت المرأة في تقديم الخدمات الاجتماعية العامة إذ اشتهرت رفيده بخيمتها في المسجد وهي تقدم الخدمات الصحية " .. وخدمة من كانت له ضيعة من المسلمين (ابن هشام ١٩٦٧م: ٣/١٤٥). وعمل الإسلام على صيانة كرامة المرأة وحفظ حقوقها كاملة غير منقوصة، إذ أن شرائع الإسلام أكدت إنسانية المرأة وأنها مخلوقة من نفس مادة الرجل وبذلك قضى الإسلام على المفهوم الجاهلي الذي صنف المرأة في مرتبة إنسانية دون الرجل . وتحدث القرآن عن وحدة الأصل بين الرجال والنساء بقوله : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً) (سورة النساء، الآية ١).

أكد الإسلام أيضاً مساواة المرأة للرجل في التكاليف الشرعية وما يترتب على ذلك من ثواب وعقاب كل حسب جهده من دون ظلم أو تحيز قال تعالى : (وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين) (سورة التحريم ، الآية ١١) . إن هذه المساواة في الخلق والتكاليف الشرعية والثواب والعقاب شجعت النساء على المطالبة بحقوقهن الأدبية مقابل الرجال ، فقد روى محمد بن أبي عمرو عن أبي سلمة عن أم سلمة (رضى الله عنها) أنها قالت للنبي (ﷺ) : " يا نبي الله مالي أسمع الرجال يذكرون في القرآن والنساء لا يذكرن ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّاتِمِينَ وَالصَّاتِمَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَائِضِينَ وَالْحَائِضَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ٣٥ ﴾ (سورة الأحزاب ، الآية ٣٥؛ ابن كثير ١٩٨٥م: ٤٨٧/٣) . وتوالت الآيات القرآنية تنتزل بشأن المرأة وفضلها ومكانتها في المجتمع (سورة النساء ، الآية ١٢٤). وظلت المرأة تنافس الرجل طمعاً في الفوز برضوان

الله ، حيث سألت السيدة عائشة الرسول (ﷺ) : " يا رسول الله نرى الجهاد أفضل الأعمال ، أفلا نجاهد ؟ قال : لا ، لكن أفضل الجهاد حج مبرور " (الزبيدي ١٩٨٨م : ١/١٧٨).

حقق الإسلام للمرأة أيضاً إنسانيتها وعمل على صيانة عفتها وكرامتها ، فكان الحجاب تأكيداً لغيرة الإسلام على المرأة وحرصاً على سلامة المجتمع . جاء الأمر بالحجاب في السنة الخامسة للهجرة في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ذَلِكَ آدَبٌ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ عَافِئاً رَحِيماً ﴾ (سورة الأحزاب ، الآية ٥٩).

كانت استجابة المرأة في المدينة للأمر بارتداء الحجاب استجابة فورية مما يؤكد مدى اقتناع المرأة بالتوجه العقائدي الجديد . قالت عائشة (رضي الله عنها) : " يرحم الله نساء المهاجرات الأوائل لما نزل وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن اكتف مروطهن فاخترن بها ... " (منصور علي ناصف ١٩٦١م : ٣/١٦٨).

وكانت دعوة الإسلام إلى الحجاب مصحوبة بجملة من الآداب التي أوجبت على المرأة أن تتحلى بها كغض البصر وعدم ابداء الزينة والخضوع بالقول وعدم الخروج إلا للضرورة ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّالِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ (سورة النور ، الآية ٣١).

أصبح الزي الإسلامي هوية للمرأة المؤمنة في المدينة تعرف به . وقضى الإسلام على التبرج وأصبحت المرأة المسلمة في المدينة لا يرى منها إلا الوجه

والكفين امتثالاً لأمر الله وأمر رسوله (منصور علي ناصف ١٩٦١م: ١٦٨/٣) ،
وذلك بعد أن كانت المرأة قبل الحجاب تمر بين الرجال كاشفة صدرها لا يواريه
شيء ، وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها واقرطة آذانها (ابن كثير ١٩٨٥م:
٢٨٤/٣).

عمل الإسلام على المحافظة على حياة الأنثى ، فأعلن الإسلام تحريم وأد
البنات صغاراً كن أم كباراً، وجعل من الوأد جريمة عاقب عليها الشرع، كما أكد
خسارة من يرتكب ذلك، قال تعالى : (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم
وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) (سورة الانعام
، الآية ١٤٠)، وأمر الرسول (ﷺ) من وأد بنتاً في جاهليته أن يعتق رقبة تكفيراً
لفعلته تلك (ابن شبه ١٩٥٩م : ٣٥٢/٢) .

أبطل الإسلام نظام كسب البغايا (ولا تکرهوا فتیاتکم علی البغاء إن أردن
تحصناً) (سورة النور ، الآية ٣٣)، إذ كان من أهل المدينة من يدفع جاريته للبغي
ليکسب المال من وراء ذلك ويجعل " عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت " (ابن
كثير ١٩٨٥م: ٢٨٨/٣).

دعا الإسلام إلى الرفق بالمرأة والإحسان إليها لأنها تمثل نصف المجتمع .
روى أنس قال : " كانت أم سليم في الثقل وأنجشة غلام النبي (ﷺ) يسوق بهن
فقال النبي (ص) يا أنجشة رويدك سوقك القوارير " (الزبيدي ١٩٨٨م: ٤٧١/٢)
أي " خفف سوق الدواب رحمة بالنساء اللاتي تحملهن (ابن كثير د.ت : ٤٧/٥)
وكرم الإسلام المرأة في جميع مراحلها . إذ شجع على الاجتهاد في تربية البنات
قال (ﷺ) " من ابتلى بهذه البنات بشيء فأحسن اليهن كن له سترا من النار(ابن
القيم ١٩٦١م: ١٢). وأنزل الله حق الإناث في الوراثة بعد أن كان " أهل الجاهلية
يجعلون جميع الميراث للذكر دون الإناث (ابن كثير د.ت : ٤٥٧/١) ، فجاء القرآن

مثبتاً لحق البنات في الميراث قال تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ (سورة النساء ، الآية ١١) .

أزال الإسلام تلك الصورة المتشائمة القائمة التي رسمها الجاهليون عن البنات، وكان (ص) يقول عن فاطمة بنته : " إنما فاطمة بضعة مني يؤذيها ما آذاها " (مسلم د.ت : ١٩٠٣/٤) . وكرم الإسلام المرأة وهي أختاً قال (ﷺ) " يد المعطي العليا ، وأبدأ بمن تعول ، أمك وأباك وأختك وأخاك " (ابن اسحق ١٩٨١م : ٢١٦/٤) . ونهى الإسلام عن تزويج المرأة دون رضاها ، فهي حرة في اختيار شريك حياتها دون املاء أو إكراه . روى أبو هريرة أن النبي (ﷺ) قال : " لا تتكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تتكح البكر حتى تستأذن ، قالوا : يا رسول الله وكيف أذنها ؟ قال أن تسكت . قالت عائشة : قلت : يا رسول الله إن البكر تستح . قال رضاها صمتها (الزبيدي ١٩٨٨م : ٤٣١/٢) ، واحتراماً لمشاعرها وتقديراً ، فقد حرم الإسلام الجمع بين أختين في عصمة رجل واحد في وقت واحد (سورة النساء ، الآية ٤) . كما جعل الإسلام المهر حقاً من حقوق الزوجة دون سواها ، بعد أن كان المهر في الجاهلية يذهب إلى ولي الزوجة " المهر ما يستحل به الحرائر من النساء (ابن سيده د.ت : ٢٥/٤) . وكان يُعرف في الجاهلة بالحلوان ويستلمه ولي المرأة دونها (الشريف ١٩٨٨م : ٨٣) . وسهل الإسلام أمر الزواج في حالة التوافق بين الرجل والمرأة ، وذلك من خلال دعوته إلى تخفيف المهور التي كان الجاهليون يبالغون فيها، مما يحرم غير المقتدرين الزواج . فقد بلغت المهور عند طائفة من الجاهلين مائة ناقة تحرم منها الزوجة وتقبض بيد وليها (الحموي ١٩٥٥م : ٢٩٦/٣) .

دعا الإسلام إلى حسن معاملة الزوجات والإنفاق عليهن وكسوتهن واحترام مشاعرهن . ذكر معاوية بن حيدة القشيري أنه قال : " يا رسول الله ما حق امرأة

أحدنا عليه؟ قال: " إن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح " (ابن كثير ١٩٨٥ : ٤٩٢/١) وحرص الإسلام على استقرار الأسر التي تكون المجتمع (النوى ١٣٩٠هـ : ١٢١) . وضرب الرسول (ﷺ) للمؤمنين المثل الأعلى في حسن معاملة الزوجات والإحسان إليهن ، فعندما سئلت عائشة " ما كان الرسول (ﷺ) يصنع في أهله؟ قالت : كان يكون في مهنة أهله وإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة (البيهقي ١٩٧٠م : ٢٨١)، كما أمر الإسلام بالنفقة على الزوجة وجعل النفقة عليها أعظمها أجراً من النفقة على غيرها . روى أبو هريرة قال : قال رسول الله (ﷺ): " دينار انفقته في سبيل الله ودينار انفقته على أهلك (الشوكاني ١٩٧٣م : ١٢٨/٢) . ودعا الإسلام إلى ملاطفة الزوجة والتخفيف من معاناتها ومداعبتها ، فقد ورد عن النبي (ص) " كل لهو المؤمن باطل إلا في ثلاث ، تأديبه فرسه ، ورميه عن كبد قوسه ، وملاعبته امرأته (ابن عبد ربه ١٩٦٥م : ١٨٩/١) .

نهى الإسلام عن تكليف المرأة فوق طاقتها . ومقابل كل هذه الحقوق لم يكلف الإسلام الزوجة سوى طاعة زوجها - ما لم تكن في معصية ، حتى حق الحضانة جعله الإسلام للزوجة في حالة الطلاق - ما لم تنزوج من زوج غيره - جاءت امرأة إلى رسول الله (ﷺ) تشتكي زوجها الذي طلقها وأراد أن يأخذ منها ولدها فقالت : " يا رسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء وحجري له حواء وثدي له سقاء ، وزعم أبوه أنه ينزعه مني . فقال : أنت أحق به ما لم تتكحي " (الشوكاني ١٩٧٣م : ١٣٨/٧) .

كفل الإسلام للزوجة حق المطالبة بالطلاق والانفصال عن زوجها في حالة تعسر استمرارية الحياة الزوجية بينهما بسبب تقصير في نفقة أو كراهية . روى أبو هريرة : " أن النبي (ﷺ) سئل عن الرجل لا يجد ما ينفق على امرأته قال : يفرق بينهما " (الشوكاني ١٩٧٣م : ١٣٢/٧) .

كفل الإسلام للمرأة حق التملك والتصرف في مالها من دون أي تدخل من الزوج . وكفل لها حق المطالبة بتعلم العلوم النافعة (يونس الشيخ إبراهيم السامرائي ١٩٨٨م: ١٢) وجعل الإسلام للزوجة سهما في ميراث زوجها (ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم) (سورة النساء ، الآية ١٢) ، وبذلك نالت المرأة حق الميراث من زوجها ، بعد أن كان الرجال من أهل المدينة قبل الإسلام " إذا مات حميم أحدهم ألقى ثوبه على امرأته فورث نكاحها ولم ينكحها أحد غيره وحبسها عنده حتى تفتدي منه بفيدي (ابن كثير د.ت: ٤٦٥/١). وذكر زيد بن أسلم أن أهل يثرب : " إذا مات الرجل منهم في الجاهلية ورث امرأته من يرث ماله وكان يعرضها حتى يرثها أو يزوجهها " (ابن كثير د.ت: ٤٦٥/١) . وبذلك يكون الإسلام قد أحدث ثورة في عالم المرأة وفتح الآفاق لانطلاق طاقتها للمشاركة في بناء الدولة والمجتمع (وات د.ت: ٤٤٢) .

دور المرأة في النشاط الاجتماعي والسياسي والتعليمي :

جاء عطاء المرأة في كل المجالات من دون استثناء حتى أنها برزت في ساحات الوغى جنباً إلى جنب مع المجاهدين وضربت الأمثلة في التضحية والجهاد إذ " كانت النساء تحضرن القتال ولا يضرب لهن بسهم (أبو يوسف ١٩٧٩م : ٩٢) . لقد كان دور المرأة في ميادين القتال دوراً مزدوجاً ، فهي تداوي الجرحى وتنقل المصابين إلى المدينة وتسقي العطشى وتعد الطعام وتحرس المواقع الخلفية وتقاتل إذا ما دعت الضرورة لذلك، قالت أم عطية نسيبة بنت الحارث الأنصارية : " غزوت مع رسول الله (ﷺ) سبع غزوات ، أخلفهم في رحالهم ، وأصنع لهم الطعام وأخبز وأداوي المرضى .." (ابن جماعة ١٩٨٣م: ٤٧). وروى أنس في حديثه عن موقعة أحد قال : " ولقد رأيت عائشة ابنة أبي بكر وأم سليم وأنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تتقلان القرب على متونهما ، ثم تفرغانها في أفواه القوم ثم ترجعان فتملأنها ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم (ابن جماعة ١٩٨٣م :

(٤٨). وذكرت الربيع بنت المعوذ " كنا نغزو مع رسول الله (ص) فنسقي القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة (ابن جماعة ١٩٨٣م: ٤٨). ويمكننا أن نلخص الأدوار التي قامت بها المرأة في المجال العسكري الجهادي في الآتي :-

قامت المرأة بأعمال الحراسة والدورية وحماية المواقع الخلفية للجيش (ابن جماعة ١٩٨٣م : ٤٧). وفي غزوة الخندق وضعت النساء والذراري على بعض أطام المدينة وكانت صفية بنت عبد المطلب تقوم بدور أشبه بالحراسة ومعها حسان بن ثابت ، عندما رأت يهودياً يطوف بالحصن فقالت : " يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن وإني والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله وأصحابه ... ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته (ابن هشام ١٩٦٧م : ١٣٧/٣) .

كانت المرأة في عهد دولة الإسلام ترافق الجيوش وتقدم الخدمات الصحية للمصابين فيما يشابه عمل المستشفيات المتنقلة . ورد عن أمية بن أبي الصلت عن امرأة من غفار قالت : " أتيت رسول الله (ص) في نسوة من غفار فقلنا يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ، وهو يسير إلى خيبر، فدأوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال : على بركة الله . قالت : فخرجنا معه (ابن هشام ١٩٦٧م : ٢٢١/٣) . ولم يقتصر دور المرأة الميداني على تقديم هذه الخدمات فحسب بل أنها باشرت أعمال القتال عند الضرورة وأبليت بلاءً حسناً في ساحات الفداء فواجهت الأعداء وقاتلت وأصيبت في العمليات العسكرية ، فيوم أحد " قاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية قتالاً شديداً ، وضربت عمرو بن قمينة بالسيف ضربات ، فدفعت درعان كانت عليه ، وضربها بالسيف فجرحها جرحاً عظيماً على عاتقها (ابن حزم د.ت : ١٦٢)، وظلت تذب عن رسول الله (ﷺ) حتى قال: " ما التفت يمناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاثل دوني (يونس الشيخ إبراهيم السامرائي ١٩٨٨م: ٣٥) . وفي الحديبية عندما أشيع أن عثمان بن عفان رسول رسول الله

(ص) إلى قريش قتل ، قالت أم عمارة : " فأقبل الناس يبائعونه .. فكأنني أنظر إلى المسلمين قد تلبسوا السلاح .. فقامت إلى عمود كنا نستظل به فأخذته في يدي ، ومعني سكين قد شددته في وسطي فقلت : إن دنا مني أحد رجوت أن أقتله (الوافدي د.ت : ٢/٦٠٣)، ويوم حنين عندما أحاطت هوزان وتقيف برسول الله (ﷺ) وقد انجفل الناس عنه برزت أم سليم " حازمة وسطها .. وأنها لحامل فقال رسول الله (ﷺ) أم سليم ، قالت : نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله .. ومعها خنجر في يدها فقال لها أبو طلحة (زوجها) ما هذا معك يا أم سليم . قالت : خنجر أخذته معي إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به " (الطبرى ١٩٧٩م : ٣/١٢٩). وكانت المرأة المسلمة بما أظهرته من حماس وغيره على الإسلام ودولته كانت محل ثقة القيادة في أكثر الأمور العسكرية حساسية والتي تعلقت بمعلومات تحرك جيش المسلمين نحو مكة لفتحها . إذ لم يبح الرسول (ص) لأحد عن خطته عدا السيدة عائشة قال لها : " جهزينا وأخفي أمرك " (الوافدي د.ت : ٢/٧٦٩). وكانت السيدة عائشة جديرة بهذه الثقة وحفظ السر فعندما دخل عليها أبو بكر الصديق وهو والدها والرجل الثاني في الدولة فسألها " يا عائشة أهم رسول الله (ﷺ) بغزو ؟ قالت : ما أدري . قال : إن كان رسول الله هم بسفر فأذنتينا نتهياً له . قالت : ما أدري لعله يريد تقيفاً ، لعله يريد هوازن فاستعجمت عليه الأمر حتى دخل رسول الله (ﷺ) .. (الوافدي د.ت : ٢/٧٩٦) .

إن قيام المرأة المسلمة في المدينة بواجباتها تجاه الأسرة ورعايتها لبيتها لم يحد من مشاركتها الفاعلة في المناشط الاجتماعية العامة في حدود الشريعة مع الاحتفاظ بطهرها وكرامتها ، والالتزام بالآداب العامة التي يجب أن تتحلّى بها . خرجت المرأة إلى الحياة العامة لتحقيق تفوقاً ملحوظاً في كثير من المجالات الاجتماعية ، إذ أظهرت مجموعة من النساء من راحة الرأي ونضوج العقل ما جعلهن يساهمن في دفع الحركة السياسية للدولة ، وقد برزت هذه المساهمة منذ

وضع الترتيبات لقيام الدولة ، يوم أن شاركت المرأة في بيعة العقبة . قال كعب بن مالك : " اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلاً ومعهم امرأتان من نسائهم نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن ابن النجار وأسماء بنت عمرو بن عدي إحدى نساء بني سلمة وهي أم منيع ... فبايعنا رسول الله (ﷺ) " (الطبري ١٩٧٩م: ٢/٢٨٣).

في الحديبية يوم انشغل المسلمون عن توجيهات رسول الله (ﷺ) أشارت " أم سلمة هند بنت أبي أمية على رسول الله (ﷺ) ... في نحر هديه والانشغال بالتحلل عن مراجعة أصحابه " (يونس الشيخ إبراهيم السامرائي ١٩٨٨م : ٢٤)، مما كان له أبلغ الأثر في اندفاع المسلمين يقلدون رسول الله (ﷺ) وينصرفون إليه . ولم يسلب الإسلام المرأة حقها السياسي والاجتماعي يوماً ، فهي مكلفة بالقيام بأعباء الدعوة وإحقاق الحق والنهي عن المنك . قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (سورة التوبة ، الآية ٧٢)، كما كفل لها الإسلام حق المشاركة في البيعة كما للرجال ، قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِفَنَّ وَلَا يُزَيِّنَنَّ وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِمُهْتَنٍ يَفْرِيهِنَّ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (سورة الممتحنة ، الآية ١٢).

ومن ناحية أخرى فإن المرأة ضربت بسهم وافر في تقديم الخدمات الاجتماعية - صحة وتعليماً ورعاية اجتماعية . وقد شهدت المدينة في عهد دولة الإسلام حركة علمية نشطة فتحت الباب أمام المرأة للتزود من العلم والمشاركة في نشره، وقد انصب الاهتمام الأكبر في تعلم العلوم الشرعية بالنسبة للمرأة فعرفت حقوقها وواجباتها. وقد أظهرت المرأة حماساً وحرصاً شديدين للتزود بالعلم. وكان

مسجد الرسول (ﷺ) قبلة للنساء يقصدنه لأداء الصلوات والانتظام في حلقاته التعليمية. ودعا الرسول (ﷺ) أولياء أمور النساء بالسماح لهن في المساجد . روى عبد الله بن عمر قال : قال (ﷺ) " لا تمنعوا إماء الله مساجد الله " (ابن كثير ١٩٨٥م : ٢٩٥/٣) ، وعنه أيضاً أن الرسول (ﷺ) قال : " إذا استأذنكم نساؤكم إلى المسجد فأذنوا لهن " (الزبيدي ١٩٨٨م : ١/١٢٠) . وكانت النساء قد انتظمن في حلقات العلم وكان الرسول (ﷺ) يتعهدن بالنصح والموعظة . قال ابن عباس : " إن رسول الله (ﷺ) خرج ومعه بلال على حلقة النساء فوعظهن وأمرهن بالصدقة (الزبيدي ١٩٨٨م : ٤٣/١) . وكان (ﷺ) يحض على تعليم النساء ويدعو إلى الاهتمام بذلك ويقول : " ثلاثة لهم أجران ، رجل كانت عنده أمة يطأها فأدبها وأحسن تأديبها وعلمها وأحسن تعليمها (عبد الحي الكتاني د.ت : ٥٣/١) . وكان (ﷺ) إذا نزل القرآن " قرأه على الرجال ثم النساء (ابن اسحق ١٩٨١م : ١٢٨/٣) . وأظهرت المرأة في المدينة شغفاً بالتعليم وحرصاً على طلبه ، قالت النساء للنبي (ﷺ) : " غلبنا عليك الرجال ، فأجعل لنا يوماً من نفسك فوعدهن يوماً " (الزبيدي ١٩٨٨م : ٤٣/١) . وذكر أبو سعيد الخدري قال : " جاءت امرأة إلى رسول الله (ص) فقالت : يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فأجعل لنا من نفسك يوماً نأتك فيه تعلمنا مما علمك الله قال : اجتمعن يوم كذا وكذا ، فاجتمعن فأتاهن فعلمهن مما علمه الله " (مسلم د.ت : ٢٠٢٩/٤) . وكانت النساء تستفسرن عن أمور الدين فقد روت أم سلمة قالت : " جاءت أم سليم إلى النبي (ﷺ) فقالت : يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق فهل على المرأة غسل إذا احتلمت ؟ " (الزبيدي ١٩٨٨م : ٨٤/١) ، ونتيجة لاهتمام الدولة بالتعليم وتوافر الفرص للنساء فقد برزت كثير من النساء ممن اشتهرن بالعلم حتى أن بعضهن تفوقن على الرجال في هذا

المجال ، ومن هؤلاء عائشة بنت أبي بكر الصديق زوج النبي (ﷺ) (ابن الجوزي ١٩٨٨م : ٦٦١) . وقد اجمع الفقهاء وأهل السير بأن السيدة عائشة كانت " أفقه نساء الأمة .. وكانت تقول الشعر وتعرف انساب العرب كأبيها .. وروت علماً كثيراً عن النبي (ﷺ) (الزيدي ١٩٨٨م : ٥٢٦/١) . وقد بلغ علمها مبلغاً جعل " شيوخ الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وعثمان يسألونها عن بعض ما يعرض لهم من المشاكل وكانوا يسألونها بصفة خاصة عن علم الفرائض وهو من أدق علوم الفقه وأعصاها على أذكي الناس إلى هذا الوقت الحاضر (يونس الشيخ إبراهيم السامرائي ١٩٨٨م : ٢٦) ، وروت السيدة عائشة عن الرسول (ص) " ألفا حديث ومائتا حديث وعشرة أحاديث (ابن حزم د.ت : ٢٧٦) . وممن اشتهرن بالعلم أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصاري التي تعلمت الكتابة والقراءة " ، وكان الرسول (ﷺ) يزورها ويسميها الشهيدة ... وقد جمعت القرآن " (عبد الحي الكتاني د.ت : ٤٧/١) وكان (ﷺ) يدعو النساء المتعلمات على تعليم أخواتهن غير المتعلمات، فقد ذكرت الشفاء بنت عبد الله قالت " دخل على النبي (ﷺ) وأنا عند حفصة فقال لي : ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة (الشوكاني ١٩٧٣م : ١٠٣/٩) . وهذا يدل على الحركة التعليمية النشطة التي سادت أوساط النساء ومن النساء اللاتي اشتهرن بالعلم والفقه أسماء بنت عميس والتي اشتهرت أيضاً بتعبير الرؤيا حتى قال الرسول (ﷺ) : " اعبر أمتي أبو بكر وأسماء بنت عميس " (عبد الحي الكتاني د.ت : ٥٩/١) ومنهن من جمعت القرآن كأُم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصاري (عبد الحي الكتاني د.ت : ٤٧/١) وأسهمت بعضهن في رواية الحديث ، فنسمع عن عشرات النساء في المدينة روين الحديث عن الرسول (ﷺ) ، إذ روت أم سلمة " ثلاثمائة حديث وثمانية وسبعون حديثاً " (ابن حزم د.ت : ٢٧٦) ،

وأم حبيبة التي روت عن الرسول (ص) " خمسة وستون حديثاً " (ابن حزم د.ت : ٢٧٩) . وقد أورد صاحب جوامع السيرة أكثر من مائة من النساء اللاتي روين الحديث في عهد دولة النبوة بالمدينة (ابن حزم د.ت : ٢٧٦) ، مما يؤكد المكانة العلمية التي وصلت إليها المرأة (أنور الجندی ١٩٨٦م : ٤٣) . وفوق كل هذه النشاطات التي أسهمت فيها المرأة ، لم تتأخر عن دورها بوصفها ربة بيت ناجحة ومدرسة تربي الأجيال وتحافظ على تماسك الأسرة وتعمل على استقرارها .

الأسرة :

اهتم الإسلام بالأسرة ووضع التشريعات التي تنظم علاقات أفرادها بعضهم ببعض ، ذلك أن الأسرة تمثل النواة التي تكون المجتمع ، فبصلاح الأسر تصلح المجتمعات وبفسادها يفسد المجتمع . ولما كان الزواج هو الوسيلة الشرعية التي تكون الأسرة نجد أن الإسلام دعا إليه وحث عليه ، قال تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ ﴾ (سورة النور ، الآية ٣٢) وجعل الإسلام الغاية من الزواج الإحصان وتكثير النسل . قال تعالى : (فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم) (سورة البقرة ، الآية ١٨٧) ، كما كان الرسول (ﷺ) يشجع الشباب على الزواج بقوله : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " (ابن كثير د.ت : ٢٨٦/٣) . وحرص الإسلام على إيجاد المجتمع السليم المعافى من الأمراض الاجتماعية ، مجتمع تسوده العفة والطهارة وتبني قواعده الأسر الصالحة . روى أنس : " كان رسول الله (ﷺ) يأمر بالباءة وينهى عن التبطل نهياً شديداً ويقول : تزوجوا فأني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة (ابن القيم ١٩٦١م : ٦) .

سعى الإسلام إلى تيسير أمر الزواج بدعوته إلى تخفيف المهور على غير القادرين ليمضي الزواج ولو بخاتم من حديد (الزبيدي ١٩٨٨م: ٤٣٠/٢) . وزوج الرسول (ﷺ) عدداً من الصحابة بما يحفظونه من سور القرآن وذلك بعد تراض الطرفين ، وأحاط الإسلام العلاقة الزوجية بسياج من التشريعات التي تؤمن استمراريته واستقراره . فحددت هذه التشريعات لكل من الزوجين حقوقهما وواجباتهما . وجعل الإسلام النفقة على الرجال ، ومن حق المرأة المطالبة بالانفصال عن الزوج الذي يقصر في نفقة زوجته . روى معاوية بن حيدة القشيري أنه قال : " يا رسول الله ما حق امرأة أهدنا عليه ؟ قال " أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح (ابن كثير ١٩٨٥م: ٤٩٢/١) .

دعا الإسلام إلى إكرام الزوجات وعدم الإساءة إليهن ، وربط الرسول (ﷺ) كمال الإيمان بالإحسان إلى النساء بقوله : " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم (النووي ١٣٩٠هـ : ١٢١) . وقد ألزم الإسلام الزوجة بحسن الطاعة لزوجها والقيام بواجبات الزوجية فقد ذكر عبد الرحمن بن عوف عن الرسول (ﷺ) قوله : " إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها قيل لها ادخلي الجنة من أي الأبواب شئت " (ابن كثير ١٩٨٥م: ٤٩١/١) . وجعل الإسلام للرجل القوامة على الأسرة لأنه أقوى على تحمل أعباء الحياة واصبر على مواجهة صعاب طلب الكسب قال تعالى : (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض) (سورة النساء ، الآية ٣٤) ، وحتى لا تتعرض الأسرة للفتك والانهيار أمام تحديات الحياة دعا الإسلام إلى اختيار الزوجة الصالحة ذات الدين التي تعين زوجها على تحمل أعباء الحياة وبوائق الدهر وفضل الإسلام المرأة ذات الدين لأنها الاصبِر والأرجح رأياً قال تعالى : (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم) (سورة النور ، الآية ٣٢) . وحذر الإسلام من الانخداع بمظاهر المرأة من جمال وحسب ومال دون الدين فقد روى أبو هريرة

عن النبي (ﷺ) قوله: " تتكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ودينها فأظفر بذات الدين تربت يداك (الزبيدي ١٩٨٨م: ٤٢٨/٢) . وللمرأة الحق في اختيار زوجها وأفضل الأزواج صاحب الدين الذي يحفظ للمرأة حقوقها وعزتها . فإذا أحسن الزوجان الاختيار وتعاونوا على الحياة الزوجية فإن هذا يعني إيجاد الأسرة الصالحة التي تسهم في بناء المجتمع . وإذا استحالَت الحياة بين الزوجين شرع الإسلام الطلاق بإحسان .

لم يغفل الإسلام عن تأكيد حقوق الأبناء فهم نعمة من الله يهبها لعباده ، والأبناء يمثلون جزءاً مهماً من الأسرة كما يعدون عماد المجتمع في المستقبل . وللأبناء حقوق كما إن عليهم واجبات نحو أسرهم ، فمن حقوقهم التي كفلها لهم الإسلام حسن اختيار أمهاتهم وتسميتهم بأفضل الأسماء وكان (ﷺ) " يغير الاسم القبيح إلى الاسم الحسن (ابن الجوزي ١٩٨٨ م: ٤٦٨) ، مما يدل على أهمية الاسم الحسن والتفائل به ، وقد جعل الإسلام المولود مرهون بعقيدة - أي ذبيحة المولود تذبح يوم سابعه (ابن القيم ١٩٦١م: ٤٤) ويسمى . ومن حق الولد أن ينال حصته من الرضاعة الطبيعية لمدة عامين كاملين في ظروف الأم الطبيعية قال تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّمَ الرِّضَاعَةَ ﴾ (سورة البقرة ، الآية ٢٢٣) ، ومن حق الأبناء المساواة بينهم وعدم التمييز بينهم لأي سبب من الأسباب ، روى النعمان بن بشير قال: " أعطاني أبي عطية فقالت أمي عمرة : لا أرض حتى يشهد رسول الله (ﷺ) فأتى رسول الله (ﷺ) فقال : " إن ابني من عمرة أعطيته عطية ، فأمرتني أن أشهدك فقال : أعطيت كل ولدك مثل هذا ؟ قال : لا ، قال : فاتقوا الله فاعدلوا بين أولادكم " (الحموي ١٩٥٥م: ١/١٦٨٤) ، كما حرم الإسلام الوأد وسأوى بين الجنسين في الحقوق والواجبات ، فكلاهما هبة من الله تستوجب الشكر له ، قال تعالى: ﴿ أَوْ يُرْجُوهُمْ ذَكَرْنَا وَإِنشَاءً وَجَعَلْنَا مِنْ شِئَاءٍ عَقِيمًا إِنَّهُ

عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ (سورة الشورى ، الآيتين ٤٩ - ٥٠) . ونظم الإسلام الطلاق والخلع وفق ضوابط إنسانية (ياسين ١٩٩٠م : ٣١) . ودعا الإسلام إلى الاهتمام بتربية الأبناء وتعليمهم وغرس الخلق القويم ومكارم الأخلاق فيهم ذكوراً كانوا أو إناثاً (الغزالي ١٩٨٢ م : ٣٢٩/٢) .

أفرد الإسلام للوالدين مكانة خاصة وأوصى بالإحسان إليهما وعدم عقوقهما (البخارى د.ت : ٧٦/٨) ، وذلك لدورهما في نشأة الأسرة وتربية الأولاد . وقد خص الإسلام الأم بقدر أكبر من الحقوق وذلك لما عانتها من حمل ورضاعة وحضانة . قال تعالى : (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير) (سورة لقمان، الآية ١٤) .

خص الرسول (ﷺ) الأم بحسن الصحبة، فقد روى أبو هريرة قال : جاء رجل إلى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله : " من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : ثم من ؟ قال : ثم أبوك (الزيدي ١٩٨٨م : ٤٦٦/٢) . وجاء هذا الاهتمام بالوالدين جزاء لهما لما قاما به تجاه الأبناء ، ثم أن الوالدين يمثلان العمود الفقري للأسرة ويعملان على جمع شمل الأبناء مما يجعل من الأسرة وحدة اجتماعية متماسكة تسهم في تقوية المجتمع ووحدته كما أن الإساءة إلى الوالدين وإهمالهما وبخاصة عند الكبر ، مؤشر على كارثة اجتماعية تتمثل في تشتيت الأسرة وضياعها ومن ثم تفكك المجتمعات وتباعدها ، فالإسلام يدعو الأبناء للالتصاق بوالديهما حتى في فترة الشيخوخة والعجز عندما يكونا أحوج للمساعدة والإعانة . ومما يؤكد البعد الأخلاقي لتشريعات الإسلام . قال (ﷺ) : " رغب انف ثم رغب انف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة (النووي ١٣٩٠هـ : ١٣١) .

جاء جابر بن عبد الله البجلي إلى الرسول (ﷺ) فقال: "يا رسول الله ما الذي جئت أسألك عنه؟ قال: جئت تسأل عن حق الوالد على ولده وعن حق الولد على والده، فمن حق الوالد على ولده أن يخضع له في الغضب والتعب، ومن حق الولد على والده أن يحسن أدبه وأن لا يجحد نسبه، إن المكافئ ليس الواصل، إنما الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها (ابن شبة ١٩٥٩م: ٥٦٨/٢). ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَلْعَنُ عِنْدَكَ الْكَبِيرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ۝٢٤﴾

الإسراء: ٢٣ - ٢٤ (سورة الإسراء، الآية ٢٣٩) قال الطبري: وخفض جناح الذل تعني "الرحمة بهما والتحنن عليهما والرأفة بهما والدعاء بالخير لهما (الطبري ١٩٧٩م: ٣٠٩/٢). وحرصاً على تماسك الأسرة والإحسان إلى الوالدين فإن الرسول (ص) جعل ملازمة الوالدين عند الكبر عذراً عن الجهاد في سبيل الله، فقد ذكر معاوية بن جاهمية أن والده أتى الرسول (ص) يستشيريه في الجهاد " فقال: ألك والدة؟ قلت: نعم. قال: اذهب فأكرمها فإن الجنة تحت رجلها " (ابن كثير ١٩٨٥م: ٤٩١/١).

الخاتمة:

إن المرأة المسلمة أسهمت وبقدر كبير في دفع مسيرة الدولة الإسلامية، مستفيدة من التغييرات التي أحدثتها النظام الإسلامي في المجتمع العربي والتي قلبت موازين الحياة الاجتماعية لصالح المرأة التي عانت من معاملة المجتمع الجاهلي لها ونظرتة إليها، فأنحصر دورها في الاستمتاع والإنجاب.

إن المرأة المسلمة لعبت دوراً رئيساً في تثبيت أركان دولة النبوة وبرزت في المجال الاجتماعي بوصفها أمّاً ومدرسة تربي الأجيال على العقيدة الصحيحة والإنعتاق من براثن الشرك، كما أسهمت في دفع حركة المجتمع بنشاطها التعليمي

والصحي، ووقفت جنباً إلى جنب مع الرجل في ميادين القتال وساحات الوغى طلباً للشهادة في سبيل الله، والتضحية من أجل المبادئ والفكر .

إن الذين يدعون نصرة قضايا المرأة في عالم اليوم ويسبئون لها من حيث لا يحتسبوا، حرى بهم أن يقفوا عند تجربة الإسلام الأولى وانحياز تشريعاته لصالح المرأة، تلك التشريعات التي حفظت للنساء انسانيتهن أولاً ثم صانت حقوقهن ثانياً .

المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر :

القرآن الكريم .

- ابن الأثير ، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ) د. ت : أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١ ، انتشارات اسماعيليات ، طهران .
- ابن اسحاق ، محمد (ت ١٥١هـ) ١٩٨١م : سيرة ابن إسحاق ، ج ٣-٤ ، (تحقيق) ، محمد حميد الله ، دار الخاني للنشر ، الرياض .
- الأصبهاني ، أبو نعيم (ت ٤٣٠هـ) ١٩٨٦م : دلائل النبوة ، (تحقيق) ، محمد رواس قلعرجي وعبد البر عباس ، دار النفائس ، ط٢ ، بيروت .
- البخاري ، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ) د. ت : صحيح البخاري ، ج ٨ ، مطبوعات محمد علي صبيح ، القاهرة .
- البلاذري ، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ) ١٩٥٩م : أنساب الأشراف ، ج ١ ، (تحقيق) ، محمد حميد الله ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، دار المعارف ، القاهرة .
- البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ) ١٩٧٠م : دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، ج ١ ، (تحقيق) ، السيد أحمد صقر ، مطابع الأهرام ، القاهرة .
- ابن جماعة ، بدر الدين محمد بن إبراهيم الحموي (ت ٧٣٣هـ) ١٩٨٣م : مستند الأجناد في آلات الجهاد ، (تحقيق) ، أسامة ناصر النقشبندي ، سلسلة كتب التراث "١٢١" ، وزرة الثقافة والاعلام ، بغداد .

- ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (٥٩٧هـ) ١٩٨٨م :
الوفاء بأحوال المصطفى ، (تحقيق) ، مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب
العلمية، ط ١ ، بيروت .
- ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ) د. ت : صحة
الوداع ، (تحقيق) ، ممدوح حقي ، سلسلة عيون التراث العربي " ٣ " ، دار اليقظة
العربية ، دمشق.
- الحموي ، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ) ١٩٥٥م :
تجريد الأغاني ، (تحقيق) ، طه حسين وإبراهيم الأبياري ، مطبعة مصر ، القاهرة.
- الزبيدي ، زين الدين أحمد بن عبد اللطيف (ت ٧٣٥هـ) ١٩٨٨م :
مختصر صحيح البخاري (التجريد الصريح) ، ج ١-٢ ، (تحقيق) إبراهيم بركة ،
(مراجعة) أحمد راتب عرموش ، دار النفائس ، ط ٣ ، بيروت .
- السمهودي ، نور الدين علي بن أحمد المصري (ت ٩١١هـ) ١٩٥٥م : وفاء
الوفاء بأخبار المصطفى ، ج ١-٢ ، (تحقيق) ، محمد محي الدين عبد الحميد ، دار
إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي (ت ٤٥٨هـ) د. ت :
المخصص ، دار الفكر، بيروت .
- ابن شبه ، أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري (ت ٢٦٢هـ) ١٩٥٩م :
تاريخ المدينة المنورة ، (تحقيق) فهميم محمد شلتوت ، مكة .
- الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٥هـ) ١٩٧٣م : نيل الأوطار
من أحاديث سيد الأخيار ، " شرح منتقى الأخيار " ، ج ٥-٦ ، دار الجيل ، بيروت.

- الصنعاني ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هـ) ١٩٧١م : المصنف ، ج٣ ، (تحقيق) ، حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، ط١ ، بيروت .
- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ١٩٧٩م : تاريخ الأمم والملوك ، ج٣ ، (بيروت ، دار الفكر ، بيروت .
- ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله محمد د. ت : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ج١ ، (تحقيق) ، علي محمد البجاوي ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة .
- ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد ١٩٦٥م : العقد الفريد، (شرح وضبط) ، أحمد أمين ، أحمد الزين وإبراهيم الأبياري، لجنة التأليف والنشر ، ط٣ ، القاهرة .
- الغزالي ، أبو حامد محمد (ت ٥٠٥هـ) ١٩٨٢م : إحياء علوم الدين ، ج٢ ، دار المعرفة، بيروت .
- ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ) ١٩٦١م : تحفة المورود بأحكام المولود ، (تعليق وتصحيح) عبد الحكيم شرف الدين ، الطبعة الهندية العربية ، كانبور .
- ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ) د. ت : البداية والنهاية، ج٣ ، دار ابن كثير ، بيروت .
- ١٩٨٥م : تفسير القرآن العظيم ، ج١-٣ ، عالم الكتب، بيروت .
- مسلم ، ابن الحجاج (ت ٢٦١هـ) د. ت : صحيح مسلم ج٤-٥ ، القاهرة .
- النووي ، محي الدين زكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ) ١٣٩٠هـ : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، (تحقيق) ، عبد الله أحمد ، أبو زينه ، دار العلم، بيروت .

- ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك (ت ٢١٣هـ) د. ت : السيرة النبوية ، (تقديم وتعليق) ، طه عبد الرؤوف سعيد ، ج ٢-٤ ، دار الجيل ، بيروت .
- الواقدي ، محمد بن عمر (٢٠٧هـ) د. ت : كتاب المغازي ، (تحقيق) ، مارسدن جونز ، ج ٢ ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات ، بيروت .
- أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ) ١٩٧٩م : كتاب الخراج ، دار المعرفة ، بيروت .

ثانياً : المراجع :

أ : المراجع العربية :

- أنور الجندي ١٩٨٦م : الإسلام وحركة التاريخ ، دار الكتاب اللبناني ، ط ٨ ، بيروت .
- يونس الشيخ إبراهيم السامرائي ١٩٨٨م : المرأة في الكتاب والسنة ، مكتبة الشرق الجديد ، بغداد .
- عبد الحي الكتاني د. ت : التراتيب الإدارية ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- منصور علي ناصف ١٩٦١م : التاج الجامع لأصول أحاديث الرسول (ص) ، ج ٣ ، ١ ، دار إحياء التراث العربي ، ط ٢ ، بيروت .

ب : المراجع المعربة :

- ديورانت ، ول ١٩٨٨م : قصة الحضارة ، (ترجمة) محمد بدران ، دار الجيل ، بيروت .
- وات ، مونتجموري د. ت : محمد في المدينة ، (تعريب) شعبان بركات ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت .

ج : المراجع الأجنبية :

- Levy, Reuben 1965: The social structure of Islam , 3rd .
ed . Cambridge University press . London .

اقتصاديات المدينة المنورة في العصر الأموي

عبد الحكيم حسن إبراهيم سيد أحمد

أستاذ مشارك - كلية الآداب والدراسات الإنسانية - جامعة دنقلا

هناك روابط بين السياسة والاقتصاد تنتهي إلى تأثر وتأثير متبادلين، فالأوضاع السياسية في منطقة ما تظهر أثارها الاقتصادية سلباً وإيجاباً، فالاستقرار السياسي مدخل الرخاء والنماء الاقتصادي، وبالمقابل الاضطراب السياسي يؤدي إلى اختناقات اقتصادية متتابة، كما تؤثر الحالة الاقتصادية لبلد ما على سياساتها قوة أو ضعفاً وتفككاً. وعندما يتعلق الأمر بمنطقة أو مدينة لا تملك قرارها السياسي فإن وضعها الاقتصادي يتأثر بالعامل السياسي، لذا عندما ننظر إلى الحياة الاقتصادية للمدينة المنورة في العصر الأموي يجب ألا نغفل أثر العامل السياسي فيها، ذلك أن مركز إدارة الدولة صار بعيداً عنها، الأمر الذي أثر على نشاطاتها الاقتصادية وعلى الموارد المالية التي كانت ترد إليها وتصب فيها.

إن الازدهار الذي شهدته المدينة المنورة في العصرين النبوي والراشدي كان له عاملان أثرا فيه : عامل خارجي وهو الموارد المالية الكبيرة التي كانت ترد إليها من الغنائم والفِيء والعطاءات، وعامل محلي تمثل في تطور النشاطات الاقتصادية المحلية خاصة التجارة والزراعة والحرف والصناعات المختلفة، وقد عززت الموارد الخارجية النشاطات المحلية وأسهمت في تميمتها (عبد الباسط بدر ١٩٩٣م، ص ٤٥٦).

كان من الطبيعي أن يتأثر العاملان بالتحول السياسي الذي طرأ على المدينة المنورة بعد قيام الدولة الأموية وانتقال العاصمة إلى دمشق بالشام، فالموارد الخارجية اتجهت إلى العاصمة الجديدة دمشق وأصبح لا يرد إلى المدينة منها شيء إلا عن طريق الأعطيات، وبذلك تقلصت الموارد الخارجية في العصر الأموي

عن المدينة المنورة فأصبحت محدودة الأثر في تنشيط الحالة الاقتصادية العامة، وبذلك تركت المجال للعامل الثاني عامل الموارد المحلية.

كانت الحالة الاقتصادية في المدينة المنورة متعددة الجوانب، فهي تقع في منطقة خصبة تسيل فيها الوديان، فضلاً عن توفر المياه المتمثلة في الآبار والعيون، لذلك عمل أهل المدينة المنورة بالزراعة، واحترفوا صناعات لسد حاجات السكان وهي صناعات من مستلزمات الزراعة وغيرها من الأنشطة (أحمد إبراهيم الشريف ١٩٦٧م، ص ص ٣٥٥-٣٥٦).

إن الاقتصاد في أي مجتمع هو الدعامة الرئيسة في وجود ذلك المجتمع واستمرار بقاءه وارتقائه، وقد فسرت هذه الدعامة على أنها الفعاليات الزراعية والصناعية والتجارية فيه، كما ترتبط الفعالية الرعوية بتلك الفعاليات. ونحاول في هذه الدراسة التطرق لتلك الفعاليات في المدينة المنورة في العصر الأموي ومعرفة التأثيرات السياسية عليها.

تأتي أهمية الدراسة من أهمية المدينة المنورة نفسها، فهي أول عاصمة للدولة الإسلامية وثاني أقدس الأماكن الإسلامية بعد مكة المكرمة، وظلت عاصمة للدولة الإسلامية في العصرين النبوي والراشدي وشهدت خلالهما الكثير من الأحداث الجسام خاصة في الراشدي وظلت كذلك إلى أن أنتخب الخليفة الرابع علي بن أبي طالب فغادرها الي الكوفة بالعراق، ومنذ ذلك الوقت فارقتها الخلافة والإدارة السياسية للدولة، ثم تحولت منها إلى دمشق في العصر الأموي ثم بغداد في العصر العباسي.

تهدف الدراسة إلي تحديد أثر المتغيرات السياسية على الجوانب الاقتصادية، ثم إظهار قدرة المدينة المنورة على الحفاظ على مكانتها رغم انتقال مركز الدولة منها، ومحاولة الربط بين الأوضاع السياسية والأنشطة الاقتصادية، أو بمعنى آخر هل

كان هناك تأثير للجوانب الاقتصادية بسبب فقدانها إدارة الدولة؟ ثم هل كانت هناك أنشطة اقتصادية في المدينة المنورة في العصر الأموي؟

النظام الاقتصادي الإسلامي تمثل في القيم التي جاء بها الدين الإسلامي من مبادئ وأصول أخذ بها المجتمع الإسلامي الجديد الذي قام علي أنقاض مجتمعات قديمة في نظامه الاقتصادي والاجتماعي، ولبيان مدى ذلك ينبغي دراسة الأحداث التاريخية منذ قيام الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة حتى نعرف مدى التأثير المتبادل بينها وبين النظام الاقتصادي الإسلامي.

ورثت الأموية عن الخلفاء الراشدين أملاكاً عريضة شرقاً وغرباً واستطاعت أن توسع في أملاكها حتي وصلت إلى تخوم الصين شرقاً وجنوب فرنسا غرباً وكان من أولويات مهام الدولة الأموية القضاء على الاضطرابات الداخلية وإحلال الأمن والنظام لذلك تعتبر مالية الدولة في معظم سنواتها مالية حرب (سليم أبو طالب سليم ١٩٩٩م، ص ٧٩).

غير الأمويون نظام الشورى الذي كان متبعاً في عهد الراشدين فجعلوا الخلافة وراثية فكانت الخلافة أقرب إلى السياسية منها إلى الدين وفي ذلك كان أثر البيئة واضحاً في هذا التحول حيث كان يسود الشام الحكم الوراثي في الدولتين البيزنطية والساسانية (حسن إبراهيم حسن ١٩٦٤م، ص ٤٤٨).

قام الأمويون بتعريب الدواوين الحكومية لاسيما ديوان الخراج حتي يمكن السيطرة والرقابة عليه، كما قاموا بإصدار عملة عربية لتحل محل الدينار البيزنطي والدرهم الفارسي حتي يتحقق للدولة استقلالها الاقتصادي، كما تم تغيير شكل حيازة الأرض نتيجة لإقبال الكثير من القادة العرب وكبار رجال الدولة والتجار على امتلاكها سواء بالشراء أو الإقطاع الأمر الذي أدى إلى كثرة الضياع واتساعها وظهور الحاجة إلى المزيد من الأيدي العاملة الرخيصة للنهوض بالعملية الإنتاجية، كما نجد أن معظم الغنائم كانت تشتمل على أعداد كثيرة من الأسرى، فضلاً عن أن

عقود الصلح بين المسلمين والمشركين تتطوي علي آلاف الرؤوس من الشباب تتدفق سنوياً إلى البلاد الإسلامية (سليم أبو طالب سليم ١٩٩٩م ، ص ٨٠).

عندما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة (٩٩-١٠١هـ) قام بالعديد من الإصلاحات المالية حتي ينسجم النظام المالي للدولة مع مقاصد الشريعة في كل الأنشطة المالية (الطبري ١٩٦٠م ، ص ص ٣٢٧-٣٣٤).

أدت احتياجات الدولة الأموية المتزايدة إلى المال لمقابلة الزيادة في النفقات إلى إتباع سياسة مالية جنائية يبدو معها تعدد مصادر الإيرادات والتي تمثلت في الزكاة والغنائم، والجزية، والخراج، والمستغلات (العقارات المملوكة للدولة) والمصادرات (الأموال التي امتلكت غير طريق غير صحيح) (عبد الحكيم حسن ابراهيم ٢٠٠٦م، ص ص ١١-١١٦).

الزراعة في المدينة المنورة:

الزراعة من أبرز المهن التي مارسها سكان المدينة المنورة منذ القدم حيث كانت المدينة المنورة في العصر الجاهلي إحدى أهم الواحات الزراعية في بلاد الحجاز، وقد ارتبط قيام وتطور المدينة المنورة وازدهار الزراعة فيها ارتباطاً وثيقاً بخصائص موقعها المميز، فوجودها وسط منطقة رسوبية محاطة بالجبال والحرث وفر لها حماية طبيعية ومناخاً آمناً للتطور والازدهار، كما أن وقوعها على درب القوافل القادمة من الشام الي اليمن وبالعكس، ووفرة مياهها وجودة تربتها وملائمة مناخها كلها عوامل ساعدت في بروز المدينة المنورة وازدهار الزراعة بها(عبد الله عبد العزيز بن ادريس ١٩٩٢م، ص ٢٠٣).

كانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من مكة ليتخذها مركزاً للدولة الإسلامية عاملاً مهماً في ازدهار الزراعة، فقد رغب الإسلام في العمل بشكل عام والزراعة بشكل خاص، وقد ورد في القرآن والأحاديث النبوية عدد من النصوص التي ترغب في العمل الزراعي وتحت عليه، كما أن بروز

المدينة كعاصمة صاحبه هجرة عدد من السكان إليها الأمر الذي ساعد في توفير أيدي عاملة إضافية وسوق مزدهرة بالمنتجات الزراعية (عمر الفاروق السيد ١٩٧٩م، ص ٦٦).

نشطت الزراعة في المدينة المنورة في العصر الأموي نشاطاً واسعاً فازدهرت المزارع واتسعت بسبب توفر ظروفها الأمر الذي شجع أصحاب الثروات الكبيرة والمتوسطة على إقامة مزارع تنتج لهم محصولات جيدة، وقد ورث بعض التابعين من آباءهم أراضي شاسعة إذ ورث أبناء الزبير بن العوام مناطق كبيرة في الجرف والغابة شمال المدينة، كما ورث أبناء عبد الرحمن بن عوف مزارع وأراضي في المدينة، كما ورث عدد من أبناء المهاجرين والأنصار ما تملكه آباءهم بالشراء أو الاستقطاع من رسول الله صلي الله عليه وسلم أو الخلفاء الراشدين، وقد شجعت الأعطيات والموارد الخارجية أصحاب تلك الأراضي على العناية بها واستثمارها، ويسر لهم ذلك وجود أعداد كبيرة من الموالى والعبيد في المدينة المنورة (عبد الباسط بدر ١٩٩٣م، ص ٤٥٩).

تعتمد الزراعة علي موردين رئيسيين كي تتجح وهما الأرض والماء. الأرض من حيث ملائمة سطحها وتضاريسها وخصائص تربتها ثم توفر المياه لري المحاصيل الزراعية. المدينة المنورة تمتعت بوجود أراضي علي ضفاف و بطون الأودية التي تتميز باحتوائها علي تربة جيدة مناسبة للزراعة (أحمد ابراهيم الشريف ١٩٦٧م، ص ٣٥٦).

أما مصادر المياه والتي تشمل الإمطار والسيول والمياه الجوفية والعيون والآبار، فرغم شح الإمطار في المنطقة فان الزراعة في المدينة منذ القدم كانت تستفيد بما تحمله أوديتها من مياه لذلك كان التركيز الأكبر للمناطق الزراعية قرب هذه الأودية وعلي ضفافها، وقد شُيدت عليها عدد من السدود قديماً لدرء إخطار الفيضان وتنظيم استغلال المياه في الزراعة (فوزان بن عبد الرحمن

الفوزان ١٩٩٩م، ص ص ٢٩٤-٣١٣). وتمثلت مصادر المياه في المدينة المنورة في الآتي:

١/ الآبار:

تسقي أراضي المدينة من مياه الآبار التي بعض مياهها حلو والآخر فيه قدر من الملوحة، وقد ذكر أهل السير أسماء آبار المدينة التي شرب منها الرسول صلي الله عليه وسلم وبصق فيها، إلا أن أكثر هذه الآبار لايعرف اليوم، أما شهرها كما أوردتها المؤرخون هي : بئر حاء، بئر، بئر أريس، بئر بضاعة، بئر غرس، بئر البصة، بئر الرومة، بئر أنس بن مالك، وبئر عروة (عبد السلام هاشم حافظ ١٩٨٢م، ص ص ٣٩-٤٥). وهناك آبار أخرى مثل بئر القويم، العباسية، الصفية، البويرة، أهاب، العهد وبئر جشم (محمود الشرقاوي د. ت، ص ١٥). هذه الآبار تُعطي صورة بأن المدينة بلد زراعي في مختلف الحقب التاريخية.

٢/ العيون:

كان أهل المدينة المنورة يجلبون مياه الشرب من العيون المنتشرة بها وأشهرها العين الزرقاء وعين الشهداء (صالح أحمد العلي ١٩٩٠م، ص ص ١٣-١٤٠).

٣/ الأودية:

كان يوجد حول المدينة أودية عديدة أشهرها وادي العقيق، وادي بطحان، وادي مهزور، وادي رانوءاء ووادي مذنيب (حمد يسن الخياري ١٩٩٣م، ص ص ١٩٩-٢٠٦).

٤/ الحرار:

الحرار عبارة عن تكوينات نتجت عن النشاطات البركانية التي ثارت في المدينة المنورة خلال العهود القديمة وأشهرها حرة واقم، حرة الوبرة وحرة قباء (العباسي د. ت ، ص ٢٦٦)، كما توجد ثلاث حرار أخرى بالقرب من المدينة

هي حرة شوران، حرة النار وحره الغار) السيد عبد العزيز سالم ١٩٩٣م، ص (٣٢٦).

توفر مقومات الزراعة جعل السكان يعملون بالزراعة وفق نظام خاص، فقد ذكر أنهم كانوا يقسمون المياه بينهم بأن يحبس صاحب الأرض العالية الماء حتي نخيله ثم يرسلها إلى من أرضه أسفل فيسقي، وفي الأوقات التي تشح فيها الوديان أو تجف كانوا يستخدمون مياه الآبار في سقية مزارعهم كما أشار إلى ذلك ياقوت الحموي "نخيل المدينة وزرعها تسقي من الآبار عليها العبيد (ياقوت ، مادة يثرب)، وقد استخرجت المياه من الآبار بالدلاء وكان المزارعون يستخدمون الحيوان في ذلك (شكري خربوطلي ١٩٩٥م، ص ٣٧).

كان لأهل المدينة طرق في الزراعة كالمزارعة (أن يعهد شخص لأخر بالقيام بزراعة الأرض وسقيها مقابل نصيب من المحصول (ابن حجر ١٣٢٨هـ، ص٩٦)، والمؤاجرة بحسب جودة الأرض، فقد كانوا يزرعون علي الثلث أو الربع وأحياناً على النصف بما تنتجه الأرض، لم تكن المعاملة في المؤاجرة بالدنانير أو الدراهم وإنما كانت لهم فيها عدة طرق إما أن يؤجر الشخص حقله على الربع من المحصول مع شيء من المحصول يستثنيه صاحب الأرض أو أن يؤجرها على عدد محدد من إنتاج المحصول، وان يسمى قسم من الحقل لصاحب الأرض وقسم للزرع وكل منهما يأخذ ما ينتجه قسمه قل أو كثر (أحمد إبراهيم الشريف ١٩٦٧م، ص٣٥٩).

أما ملكية أراضي المدينة المنورة فقد كانت ملكية فردية لا جماعية إذ لم ترد أن هناك أراضي تمتلكها عشيرة، والراجح أن كل فرد يملك أرضاً يزرعها بنفسه وبمعمونة أسرته ، لكن مجيء المهاجرين إلى المدينة المنورة أدى لحدوث تطورات وتبدلات لأن استقرار أعداد متزايدة من الناس أدى إلى زيادة الطلب على المنتجات خاصة الغذائية، كما أدى لظهور مالكين جدد من المسلمين لم تكن لهم

خبرة في الزراعة وبذلك ازدادت مساحات الأراضي المزروعة وأدخلت طرق جديدة في الزراعة والري، كما تناقصت الأراضي الخالية بسبب تحولها إلى أراضي لبناء الدور والإسكان، كما ظهرت طبقة جديدة من الملاك الجدد الذين لهم نشاطات في ميادين اقتصادية أخرى كامتلاك المواشي والتجارة (صالح أحمد العلي ١٩٩٠م ، ص ٤٧٦).

كان معاوية بن أبي سفيان أكثر الخلفاء الأمويين اهتماماً بأراضي المدينة وتذكر المصادر اهتمامه بمزارع المدينة وشراؤه لبعض الأراضي وإنشائه مزارع واسعة كانت تدر له أموالاً ضخمة. ولعل اهتمامه هذا امتداد لتملك الخلفاء الراشدين والأنصار والمهاجرين (السمهودي ١٩٥٥م ، ص ١٥٢).

أهم مزارع المدينة المنورة تتمثل في النخيل الذي يعتبر أهم مزارع المدينة لملاءمة أرض المدينة لزراعته، وتمر المدينة متعدد الأنواع منه الجيد وغير الجيد ومن أشهر أنواعه الصيحاتي، أبي طالب، العجوة، الصرفان وعذق زيد. ثم الشعير الغلة الثانية بعد التمر وكان يُزرع تحت النخيل. كما زرع أهل المدينة الحنطة والتين والبصل والثوم والسفرجل والكروم وبعض أنواع الفاكهة والخضروات (صالح أحمد العلي ١٩٩٠م ، ص ١٦٩-١٧٠). أخيراً لم تكن منطقة المدينة المنورة بلا رعي، فقد كان لأهلها ثروة من الإبل والماشية والأغنام (السمهودي ١٩٥٥م ، ص ٢٢٢).

التجارة:

مارس أهل المدينة المنورة التجارة بحكم وضعهم الزراعي المتسم بالاستقرار ثم وقوع المدينة علي طريق التجارة بين الشمال والجنوب، ومن أهم مظاهر هذا النشاط وجود عدة أسواق تجارية قبل الهجرة وبعدها (عبد الله عبد العزيز بن ادريس ١٩٩٢م ، ص ٢٠٩).

عند دراسة النشاط التجاري لمنطقة ما يجب الاهتمام بدراسة الطرق التي تربطها بالمناطق الأخرى التي تتبادل معها العلاقات التجارية، فأقليم الحجاز الذي تقع فيه المدينة المنورة ارتبط بالعديد من الطرق مع العالم الخارجي، سواء كانت طرق برية أو بحرية. وذكرت المصادر العديد من الطرق الداخلية التي تصل المدن الحجازية، خاصة البرية التي تربط بين مكة والمدينة ومكة والطائف. وأسهب في ذكر المحطات الواقعة على تلك الطرق والمسافات بينها (غيثان بن جريس ١٩٩٤م، ص ٤٠).

الطرق التي كانت تربط هذه المدن قبل الإسلام وخلال العصور الإسلامية المتعاقبة كانت تستخدم لنقل الحجاج والزوار الوافدين، كذلك التجار والعلماء وغيرهم ممن يأتون الي مكة والمدينة، وقد أشار القرآن الكريم في (سورة قريش) إلى وجود نشاط تجاري واقتصادي بين الحجاز عموماً والشمال والجنوب في رحلتي الشتاء إلى الجنوب والصيف إلى الشمال، وبالضرورة أن الرحلتين كانتا تمران بالمدينة المنورة، وللمدينة دور فيهما (الأزرقى ١٩٨٣م، ص ٢٣٩).

أما الطرق البرية التي كانت تربط المدينة المنورة مع غيرها من أجزاء العالم فهي التي ربطت الحجاز، الذي مركزه المدينة مع تلك المناطق، فهناك الطرق التي تربط الحجاز باليمن، وهي قديمة وترجع إلى ما قبل الإسلام وأصبحت أكثر وضوحاً في القرون الإسلامية المبكرة. وجاء ذكرها في كتب الجغرافيين فذكروا أن هناك طريقان بريان يربطان اليمن بالحجاز (الهمداني ١٩٥٧م ، ص ٣٣٨-٣٤١).

أما الطرق التي كانت تربط أجزاء غرب العالم الإسلامي كالأندلس وشمال أفريقيا ومصر مع المدن الحجازية، فكانت تسلك العديد من الممرات حتى تتجمع في محطة آيلة شمال خليج العقبة ثم تتفرع إلى طريقين: أحدهما يسلك الأراضي الداخلية حتى يصل إلى المدينة المنورة، والآخر يتجه بمحاذاة ساحل البحر الأحمر

حتى ميناء الجار ومنه إلى جدة ثم مكة، ثم يتجه شرقاً إلى المدينة المنورة. وكان هناك طريق بري آخر يربط بلد الشام بالحجاز، إذ يخرج من دمشق ويلتقي الطريق الذي يأتي من شمال أفريقيا في آيلة، ثم يسير حتى يصل المدن الحجازية. جميع تلك الطرق لم تكن في مستوي واحد من حيث الأمن والخدمة خلال العصور الإسلامية، خاصة بعد أن انتقلت العاصمة من المدينة المنورة إلى دمشق ثم بغداد، ففي عهد الدولة الأموية اهتم الأمويون بالطرق التي تربط الشام بالحجاز وبذلوا الأموال في صيانتها وإصلاحها ومراقبتها لتكون حلقة اتصال بين المدن المقدسة في الحجاز وعاصمة الخلافة سريعة ونشطة (غيثان بن جريس ١٩٩٤م، ص ٤٦).

كانت هناك طرق بحرية تصل الحجاز بالعالم الخارجي مثل الطريق البحري الذي كان يأتي من الصين ماراً بالمحيط الهندي حتى يصل البحر المتوسط، عبر البحر الأحمر ثم يواصل السير حتى جنوب غرب أوروبا، ماراً بموانئ الحجاز التي تقع على البحر الأحمر أهمها مينائي جدة والجار. وقد استخدم المسلمون ميناء جدة لتوصيل البضائع والأدوات التي يحتاج إليها أهل الحجاز عن طريق البحر، ويُذكر أن بعض خلفاء بني أمية استخدموه لإرسال أدوات البناء إلى الحجاز أثناء إجراء بعض الإصلاحات العمرانية وإنشاء بعض المرافق في ذلك الإقليم. أما ميناء الجار فيبعد عن المدينة نحو مائة وسبعين كيلو متر ويعد الميناء الرئيس للمدينة المنورة، ولأهمية مينائي جدة والجار فقد حرص الخلفاء الراشدون والأمويون على الاهتمام بهما، ولم يستمر الاهتمام في العصر العباسي لانتقال النشاط التجاري إلى الخليج العربي (غيثان بن جريس ١٩٩٤م، ص ٥٢).

كانت سوق المدينة المنورة بعد الهجرة واسعة وأقرب إلى الطول منها إلى العرض. وحتوت معظم أنواع البضائع، كما كان يباع فيها جميع ما يرد إليها من الخارج كالزيت والعسل وبعض الكماليات مثل أواني الفضة (السمهودي ١٩٥٥م، ص ٧٤٨-٧٥٦).

مارس أهل المدينة أيضاً أعمال الصيرفة، وكانوا يعتبرونها نوعاً من التجارة، وكانت قائمة على بيع الذهب بالفضة يداً بيد (عبد الله عبد العزيز بن ادريس ١٩٩٢م ، ص ٢١٢).

مارست المرأة أيضاً التجارة بما أقره الإسلام " للنساء نصيب مما اكتسبن" (سورة النساء، الآية ٣٢)، فمنهن كانت بائعات العطر، يظن به علي النساء في البيوت (ابن حجر ١٣٢٨هـ، ص ٢٧٨).

كان للقبائل المجاورة للمدينة دور في ازدهار ورواج التجارة في أسواقها إذ كانوا يقدون عليها حاملين بضائعهم للبيع والشراء، وكان أهم ما يأتي للمدينة من البضائع الخارجية أنواع الثياب مثل البرود والعمائم والعطر من اليمن، والخمائن (كساء رقيق من الحرير والصوف وقيل ثوب أسود) من الشام (عبد الله عبد العزيز بن ادريس ١٩٩٢م، ص ٢١٥).

تداول الناس في المدينة من العملات الدراهم والدنانير أو أوزانها من الذهب والفضة كعملة رسمية في البيع والشراء أثناء العصر النبوي والعصرين الراشدي والأموي، ولم تكن خاصة بالعرب بل كانت من ضرب الفرس والروم، وتم تعريبها في العصر الأموي في عهد عيد الملك بن مروان سنة ٥٧٧/٦٩٦م، كما تعامل الناس بطريقة المقايضة أي التبايع بالعروض (ابن حجر ١٣٢٨هـ، ص ٣٦٠-٣٦١).

أما الموازين والمكاييل التي كانت مستعملة في سوق المدينة فمنها المتقال، ويسمي درهماً وديناراً، والأوقية وكانت تساوي أربعين درهماً، والقنطار وهو عند العرب المال الكثير، ومن مكاييل أهل المدينة المد (أربعة حفنات للرجل)، والصاع (أربعة أمداد)، والفرق (مقدار ستة عشر رطلاً)، والعرق (يعادل مابين خمسة عشر صاع إلى عشرين)، والوسق (ستين صاعاً) (عبد الله عبد العزيز بن ادريس ١٩٩٢م ، ص ٢١٩).

اهتم الأمويون بسوق المدينة، إذ يروى أن معاوية بن أبي سفيان بنى دارين بسوق المدينة وضرب عليها الخراج، كما بنى هشام بن عبد الملك بإشارة من والي المدينة داراً ضخمة في السوق، سد بها وجوه الدور والشوارع وجعل لها أبواباً مصنوعة في الشام وجعل لها حوانيت في أسفلها وسكن للإيجار في أعلاها، وظلت حتي وفاة هشام فتم هدمها (صالح أحمد العلي ١٩٩٠م، ص ٣١٢-٣١٣). وظل سوق المدينة المنورة حراً لا تؤخذ عليه ضريبة إلى أن جاء الخليفة العباسي المهدي فوضع عليها الخراج (الطبري ١٩٦٠م، ص ٥٦٣).

الحرف والصناعات:

الصناعة في الجزيرة العربية من الحرف المتوفرة، لموقع الجزيرة الاستراتيجي وتوفر المواد الخام، خاصة المعادن مثل الذهب والفضة والحديد، وتوفر الأيدي العاملة، وقد مارس الصناعات والحرف بعض العرب والموالي والرقيق (عبد الباسط بدر ١٩٩٣م، ص ٤٦٢). تُعد دراسة الحرف والصناعات في الحجاز، من الموضوعات الصعبة الدراسة، لعدم توفر المعلومات عنها جراء ندرة التدوين والتأليف وقتذاك. ورغم شح المعلومات عن هذا النشاط إلا أنه وجدت العديد من الحرف والصناعات في المدينة المنورة أشهرها:

١/ دباغة الجلود:

مورست في المدينة المنورة بشكل جيد، كما كانت هناك حرفة الخرازة التابعة لها وتأتي بعد عملية دبغ الجلود بتشكيلها علي أنماط مختلفة (غيثان بن جريس ١٩٩٤م، ص ٢٣٧).

٢/ النجارة:

عرف سكان الحجاز حرفة النجارة منذ وقت مبكر، وتروي المصادر وجود النجارين في المدينة المنورة ومكة، ولم تورد تلك المصادر مستوى النجارين في أعمالهم التي ينتجونها ولا طرق مزاوله حرفتهم، وهل إنتاجهم يكفي حاجة المجتمع

الحجازي؟ وهل كان يصدر منه شيء خارج الحجاز، كما تورد المصادر توفر أسواق خاصة للأخشاب المحلية والمستوردة بالمدينة المنورة ومكة (الفاسي ٥١٣٥٦ ، ص ٣٤٦).

٣/ الخياطة:

توفرت المنسوجات في المدن الحجازية عن طريق الاستيراد أو الإنتاج المحلي، وأشارت المصادر لوجود أصحاب المهنة في المدينة المنورة ومكة الذين يقومون بإحضار الأقمشة وبيعها إلى الخياطين. لم يكن أولئك الحرفيون من أهل الحجاز فقط، وإنما كانوا يأتون إلى أسواقه من الخارج بجانب من كان يقيم بشكل دائم ويمارس المهنة بالمدينة ومكة، حتى أصبحت لهم أماكن خاصة بهم كأسواق القماشين والبزازين (تجار الثياب) (غيثان بن جريس ١٩٩٤م، ص ٢٤٢).

٤/ الحدادة:

عرفت عند العرب قبل الإسلام، وتعتمد على الأيدي الفنية التي تصنع الحديد، وتروي المصادر أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر سبى ثلاثين عبداً كانوا صناعاً وحدادين ثم جعلهم يعلمون المسلمين حرفة صناعة الحديد، وأنه كان يوجد نشاط للحدادين في أسواق المدينة المنورة ومكة في القرنين الثاني والثالث الهجريين. كان الحدادون يزاولون حرفتهم لصناعة أدوات حديدية متنوعة الأشكال لمختلف الاستخدامات. وأشارت المصادر إلى أن غالبية الأيدي العاملة في هذه الحرفة كانوا من طبقتي الموالى والعبيد، إذ كان العرب ينظرون إلى هذه المهنة نظرة ازدراء واحتقار. مع وجود الحدادين إلا أنه لم تكن هناك معادن تسد حاجتهم، لذا كانوا يستوردون الحديد من داخل وخارج الجزيرة العربية مقل اليمامة واليمن وفارس والهند وغيرها (الأزرقي ١٩٨٣م، ص ص ٢٣٩-٢٥٦).

٥/ الصياغة:

من الحرف التي عرفها أهل المدينة المنورة، فقد كان يمارسها اليهود قبل الإسلام، وبعد إخراجهم مارسها سكانها. تطور العمل في حرفة الصياغة بعد العصر النبوي حيث كان يوجد في إحدى ضواحي المدينة المنورة ما يقارب ثلاثمائة صانع يمارسون المهنة، الأمر الذي يدل على سعة ونشاط ومزاولة الحرفة في المدينة المنورة (الطبري ١٩٦٠م، ص ٤٨١).

من الحرف والصناعات الأخرى التي كانت موجودة في المدينة المنورة حرفة البناء، ومن يطلع على التوسعات المعمارية التي حدثت في الحرمين النبوي والمكي، يجد أن هناك من يجيد حرفة البناء والنقش. إن من كان يعمل بهذه الحرف لم يكن من أهل الحجاز، وإنما كان يستقدم بعض البنائين والنقاشين والمهندسين المهرة، كما فعل الخليفة الوليد بن عبد الملك عندما استقدم عدداً من الحرفيين من مصر والشام أثناء توسعة الحرمين المكي والمدني (السمهودي ١٩٥٥م، ص ٢٠٤). وكانت هناك أيضاً صناعة الخصف والحبال والعطور وتركيبها، واشتهرت المدينة بصناعة دهن البان المدني (أحمد إبراهيم الشريف ١٩٦٧م، ص ٣٧٥-٣٧٦).

لما كانت المنطقة زراعية قامت بعض الصناعات المعتمدة على الزراعة والإنتاج الزراعي كالأقفاص التي تصنع من جريد النخيل وكذلك السلال والأطباق من الخوص، كما كانت تصنع الخيام من الجريد والوبر، أيضاً استفاد السكان من الأخشاب والجريد في عمل أسقف المساجد والمنازل، فضلاً عن الأبواب والشبابيك (الأزرق ١٩٨٣م، ص ٢٦٣).

الخلاصة:

من خلال الأنشطة الاقتصادية التي كانت سائدة في المدينة المنورة في العصر الأموي نخلص إلى الآتي:

١/ تأثرت الحالة الاقتصادية في المدينة المنورة في العصر الأموي بالعامل السياسي نتيجة لانتقال مركز الدولة منها، الأمر الذي صحبه تحويل كل الموارد المالية التي كانت ترد إليها إلى الحاضرة الجديدة دمشق.

٢/ لم تحرم المدينة المنورة من بعض أعطيات الأمويين الكبيرة، إذ كان الخلفاء عندما يحجون أو يعتمرون، يحملون إليها أموالاً كثيرة يوزعونها علي الناس، ويخصون بعض وجوه أهل المدينة بأعطيات أكبر (عبد الباسط بدر ١٩٩٣م، ص٤٥٧).

٣/ حرص الخلفاء الأمويون على إكرام من يفد إليهم من أهل المدينة المنورة وإعطائه الأموال الوافرة، خاصة إن كان من وجوه المدينة (عبد الباسط بدر ١٩٩٣م، ص٤٥٨).

٤/ هناك علاقة بين السيطرة الأموية السياسية والاقتصادية على أهالي المدينة المنورة وثوراتهم ضد الحكم الأموي، ويفسر ذلك شراسة الموقف الذي أتخذه كلا الطرفين في قضية تم فيها دمج المبادئ والقيم بقضايا مصلحة والواقع الاقتصادي والاجتماعي للحجاز وما آلت إليه الأمور من خسارة هؤلاء وكسب كبير للأمويين.

٥/ ثورة المدينة التي استهدفت إسقاط الحكم الأموي ورفضه، انطلقت من أسباب عديدة. وأسهمت الأمور الاقتصادية بدور كبير فيها بسبب استياء سكان المدينة لامتلاك الأمويين معظم أراضي المدينة المنورة بالشراء أو الإقطاع، فقد فرضت الظروف المادية السيئة علي أهل المدينة بيع ممتلكاتهم لأصحاب السلطة والثراء (ابن الأثير ١٩٦٥م، ص ص١٦٧-١٧٠).

٦/ سوء الأوضاع الاقتصادية في المدينة أدى إلى إهمال الأراضي الزراعية، فلم يعد أصحابها قادرين علي استثمارها والاعتناء بها، فاضطروا إلى بيعها تفادياً للخسائر التي ربما تلحق بهم بسبب قلة إنتاجها.

٧/ الإنتاج الصناعي لم يكن قاصراً علي الأمصار الإسلامية البعيدة فقط، بل كان للمدينة المنورة نصيب فيه، والصناعات بها كانت ذات جودة ومتانة، وكان بعضها يصدر لخارج الجزيرة العربية.

٨/ إجمالاً يمكن القول بأن انتقال مركز النقل السياسي من الحجاز وحاضرتة المدينة المنورة إلى الشام وحاضرتة، دمشق قد سلب الحجاز الكثير من خيراته التي كانت ترد إلى العاصمة، كما خسر كثيراً من تجارته وفقد جزءاً كبيراً من أهميته التجارية بسبب انتعاش الطرق المتجهة إلى الشرق عن طريق العراق، وبذلك خسرت مدنه التجارية مكة والمدينة المنورة أهميتها بعد أن كانت قبلة الأنظار ومركز النقل السياسي والاقتصادي.

المصادر والمراجع:

١/ المصادر:

- ١/ القرآن الكريم.
- ٢/ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبو الكرم محمد بن عبد الكريم ١٩٦٥م: الكامل في التاريخ، بيروت.
- ٣/ ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن مجد الكناني العسقلاني ١٣٢٨هـ: كتاب الإصابة في تمييز الصحابة، القاهرة، مطبعة السعادة.
- ٤/ الأزرق، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد ١٩٨٣م: أخبار مكة، تحقيق رشدي الصالح، مكة.
- ٥/ السهمودي، نور الدين علي بن عبد الله بن أحمد ١٩٥٥م: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، القاهرة، المكتبة العلمية.
- ٦/ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ١٩٦٠م: تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل، مصر، دار المعارف.

٧/ العباسي، الشيخ أحمد عبد الحميد (د. ت): كتاب عمدة الأخبار في مدينة المختار، (تصحيح) محمد الطيب الأنصاري.

٨/ الفاسي، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي ١٣٥٦هـ: شفاء الغرام بأنباء البلد الحرام، مكة المكرمة.

٩/ الهمذاني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن داوود ١٩٥٧م: كتاب صفة جزيرة العرب، تصحيح محمد عبد الله النجدي، مصر، مطبعة السعادة.

١٠/ ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ١٩٧٥م: معجم البلدان، بيروت.

٢/ المراجع:

١/ أحمد إبراهيم الشريف ١٩٦٧م: مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ﷺ، القاهرة.

٢/ أحمد يسن الخياري ١٩٩٣م: تاريخ معالم المدينة قديماً وحديثاً، مطابع مؤسسة المدينة للصحافة، جدة.

٣/ حسن إبراهيم حسن ١٩٦٤م: تاريخ الإسلام السياسي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٤/ سليم أبو طالب سليم ١٩٩٩م: أثر المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية على الفكر الإسلامي في الدولة العباسية، مكتبة الإشعاع الفنية، القاهرة.

٥/ السيد عبد العزيز سالم ١٩٩٣م: دراسات في تاريخ العرب-تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية.

٦/ صالح أحمد العلي ١٩٩٠م: الحجاز في صدر الإسلام - دراسات في أحواله العمرانية والإدارية، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٧/ عبد الباسط بدر ١٩٩٣م: التاريخ الشامل للمدينة المنورة، المدينة.

٨/ عبد الحكيم حسن إبراهيم ٢٠٠٦م: الأوضاع الإدارية والسياسية والاقتصادية في المدينة المنورة في العصر الأموي، (رسالة دكتوراة غير منشورة)، جامعة النيلين، الخرطوم.

٩/ عبد السلام هاشم حافظ ١٩٨٢م: المدينة المنورة في التاريخ - دراسة شاملة، المدينة، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي.

١٠/ عبد الله عبد العزيز بن ادريس ١٩٩٢م: مجتمع المدينة في عهد الرسول صلي الله عليه وسلم، جامعة الملك سعود، عمادة شؤون المكتبات، الرياض.

١١/ عمر الفاروق السيد رجب ١٩٧٩م: المدينة المنورة - اقتصاديات المكان والسكان والمورفولوجيا، دار الشروق، جدة.

١٢/ غيثان بن جريس ١٩٩٤م: بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

١٣/ فوزان بن عبد الرحمن الفوزان ١٩٩٩م: المدينة المنورة - البيئة والإنسان - مجموعة مقالات، نادي المدينة المنورة الأدبي.

١٤/ محمود الشرقاوي (د. ت): المدينة المنورة، القاهرة.

٣/ الدوريات:

١/ شكري خربوطلي (كانون أول) ١٩٩٥م: "الحياة الاقتصادية في المدينة المنورة

قبل الهجرة وأثر الهجرة عليها"، مجلة دراسات تاريخية، تصدر عن لجنة كتابة تاريخ العرب، جامعة دمشق، العدد ٥٤، ص ٣٥-٤٠.

الصورة النمائية في موشحات الأعمى الشطيلي (أدوات تشكيلها وطرائق بنائها)

د. محمد محبوب محمد عبد المجيد

كلية التربية - جامعة أمدرمان الإسلامية

المقدمة:

حظي الأعمى الشطيلي بمكانة رفيعة في الأدب الأندلسي عامة وفي دنيا الموشحات بخاصة. ولعلنا لا نعدو الحق إذا قلنا إنه سيد وشاحي الأندلس بلا منازع، فقد شهد له معاصروه ومنافسوه بالإجادة والنبوغ، بل بلغ الأمر بالوشاحين إلى خرق موشحاتهم فور سماعهم أحد مطالعه. لكن المعاصرين - وللأسف الشديد - كانوا أقل وفاءً له، إذ اقتصر اهتمامهم به على دراسة شعره. ولما لم تقم دراسة علمية لبناء الصورة وتشكيلها في موشحاته - على حد علمنا - رأينا أن ننهض بذلك.

تمهيد:

الشطيلي هو أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة الشطيلي، وتتفق المصادر على اسمه واسم أبيه. أما فيما يتعلق بأصله فالراجح أنه عربي الأرومة سواء أكان قيسياً أم عبسياً كما يقول مترجموه. وليس بين أيدينا شيء عن طفولته، لكنها في الغالب لا تختلف عن حياة لداته من أبناء عامة الأندلس، ولا شك أن أسرته قد دفعت به - على عادة الأندلسيين - إلى الكتاب لتلقف المعارف الأساسية، وهي في الغالب لا تتجاوز حفظ بعض آي القرآن الكريم والحديث الشريف، ومبادئ الفقه المالكي - مذهب أهل الأندلس - وعلوم العربية. ويبدو لنا أن مخايل النبوغ كانت بادية عليه، يقول ابن بسام "وكان له فهم لا يجارى وذهن لا يبارى". ويتبدى ذلك جلياً فيما حفظه من الشعر العربي في عصوره المختلفة، ويبدو أن سيرته قد تجاوزت مدينة شطيلة. وأكبر الظن أنه وجد عننا ومشقة في حياته، إذ لم تعد صناعة الشعر تقيم

الأود ، أو تواجه غلواء الحياة وشدتها ولا سيما أن المرابطين ومن تَقَيَّلَهُم من الفقهاء المتشددين قد سدوا الأفق أمام الشعر والشعراء، وحصرُوا موضوعاته في الزهد والتصوف، أو غيرها من الموضوعات ذات الصبغة الدينية ، وهذا كله ليس بمجال إبداعه. ويولي وجهه شطر بلاد المغرب عسى أن تفتح في وجهه الأبواب التي أوصدها الأندلسيون. ويبدو أنه حظي بمكانة مرموقة فيها. وأغلب الظن أن رجال الدولة وكبار مسؤوليها كان يتهادونه فيما بينهم، فموشحاته تحتج مجموعة من أسماء الوزراء وزعماء العشائر. ويبدو أنه اعتبب - مات بغير علة - شاباً يقول ابن بسام "ولم يطل به زمانه، ولا امتد أوانه فاعتبب عند ما به اغتبط" ويذكر الصفدي وابن شاعر " أنه توفي سنة خمس وعشرين وخمسائة" ونستنتج من الأقوال السابقة أنه قد عاش في الفترة ما بين نهاية القرن الخامس الهجري ومنتصف العقد الثالث من القرن السادس الهجري أو تقريباً ما بين (٤٨٥-٥٢٥هـ) كما يقول إحسان عباس في مقدمة ديوانه (التطيلي ١٩٨٩: أ).^٣

الصورة الفنية:

أخذ مصطلح الصورة طريقه إلى الدرس النقدي في العصر الحديث، لكنه مع ذلك ظل ضبابياً وغائماً، بل متأرجحاً بين تصورات الفلاسفة ومناهج النقاد، يقول عز الدين إسماعيل "والصورة تركيبية عقلية تنتمي إلى عالم الفكرة أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع" (إسماعيل ١٩٦٣: ٦٦) ويقصرها شفيح السيد على التعبير اللغوي " فالصورة ذلك التعبير اللغوي الذي يتخذ نسقاً معيناً يستثير في النفس مدركات حسية مستخدماً في ذلك كل وسائل تأثير اللغة من عبارات حقيقية وتشبيهات ومجازات،

³أقدنا ترجمة الشاعر من مقدمة ديوانه، انظر: التطيلي. الأعمى، الديوان، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، الطبعة الأولى ١٩٨٩م. ص (أ) وما بعدها.

وكلمات ذات جرس خاص وربط جمل وفصل بينها وتضاد وتجانس وما إلى ذلك". (السيد ١٩٩٥ : ٣٢).

ومهما يكن من أمر فإن الصورة - في جوهرها - تعبير لغوي لتوسلها باللغة، وتركيبية عقلية في استعانتها بالذهن، ونظرية معرفية كونية لارتباطها بالإنسان وقضاياها ومواقفه من الحياة والوجود والعدم، وفي سبيل ذلك تتكئ على الحقيقة والمجاز، وتتوسل بالكناية والمباشرة، وتستعين بالتشبيه والتمثيل، وعلينا ألا نغفل عن دور الخيال في تشكيلها، فهو أشبه بالومضة التي تشرق في النفس وتضيء عتمة الروح وتثير العقل، إنه المنسق بين المتوهم والمتخيل، والملائم بين المتناقض والمعقول. فالصورة إذاً أحد عناصر العمل الفني، بل أكثرها أهمية، فيها يتفاضل الشعراء، وبها يغدو الشعر عظيماً ومؤثراً.

المحور الأول أدوات التشكيل:

نوعت أدوات بناء الصورة الفنية في موشحات الأعمى التطيلي، فشملت التشبيه والاستعارة والكناية والتشكيل اللغوي البديع. أما التشبيه فكان أكثرها حضوراً وتنوعاً، ولعل كثرته يفصح عنها التكرار التراكمي له.

كان للثقافة الدينية دور مهم في بناء التشبيه، ولاغرو في ذلك فالموروث الديني هو أول صوت سمعه الأندلسي، وتشنفت به أذنه، فقد جرت عادة أهل الأندلس أن يدفعوا أبناءهم منذ نعومة أظفارهم إلى الكتاتيب لحفظ القرآن، وما يزالون بهم حتى تغرس في نفوسهم معانيه السامية، يقول التطيلي (التطيلي ١٩٨٩ : ٢٥٦):

رِفْقاً بِنَفْسِ أَيْيَّةٍ لَوْلَاكَ لَمْ تَدْرِ مَا الْهُونُ
تَدْعُوكَ وَهِيَ دَرِيَّةٌ كَمَا دَعَا اللَّهُ ذُو النُّونِ

وقد يغري الاستقراء العَجَل للصورة بأنها ليست أكثر من علاقة مشابهة بين دعاء المحب ودعاء ذي النون يونس عليه السلام، لكن الحق غير ذلك، فالتطيلي يركز

على الجانب النفسي والروحي المتمثل في إجابة كل من دعا بهذا الدعاء استناداً إلى قول النبي محمد صلى الله عليه وسلم "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فإنه لم يدع بها رجل مسلم قط إلا استجاب الله له" (الطبراني ١٩٨٧: ٨٣٨).

ويقوده استهلاك القدماء للمعاني والصور إلى التماس أساليب ووسائل جديدة، منها توظيف مصادره الثقافية المتنوعة لبناء صورته، كأن يبني صورة تشبيهية اعتماداً على مفردات الحج، يقول (التطيلي ١٩٨٩: ٢٦٢):

جُدِّي بِحَجِّ عِنْدَهَا أَوْ اعْتِمَارَ وَلَا اعْتِدَارَ قَلْبِي هَدْيٍ وَدُمُوعِي جِمَارَ
فَالْأَعْمَى يَقْصِدُ كَعْبَةَ مَحْبُوبِهِ كَيْمَا يَطُوفُ بِهَا فَوَادِهِ، أَوْ يَلْبِي بِهَا نِدَاءَ مَنْ
يُحِبُّ، وَلَا يَكْتَفِي بِذَلِكَ، بَلْ يَجْعَلُ مِنْ قَلْبِهِ هَدْيِي يَمِينِهِ عَلَى أَعْتَابِ مَنْ يُحِبُّ.
ونلاحظ أنه لا يكاد يبقى على منسك للحج إلا ذكره في نظمه، فزيارته حج، وقلبه
قربان، ودمعه جمار. وقد لا يجد حرجاً من تشبيه رقة الخصر برقة تدينه (التطيلي
١٩٨٩: ٢٨٩):

وَخَصْرٍ إِنْ ضَاهَى بِهِ كَرِقَةَ دِينِي

وتمتاز تشبيهاته بطابع الحضارة الذي طغى على نمط الحياة الأندلسية، مثل
(التطيلي ١٩٨٩: ٢٦٤):

أَنْتَ مَهْرَجَانِي وَخَدَّكَ بُسْتَانِي غَطَّ يَأْسَمِينَهُ إِنَّ النَّاسَ يَجْنُونَهُ

فالحبيب مهرجان يكتظ بالألوان والأصباغ، والخد بستان يملؤه الزهر والورد
والعطر. ويرتد إلى الخد مرة ثانية فيصفه بالياسمين، ويلتمس حبيبه أن يغطيه من
نظرة (عين الحسود) قد نقطفه. والصورة ليست بديعة فحسب، بل تصور إلى درجة
كبيرة طابع الحضارة والمدنية التي لونت حياة الأندلسيين، ومدت أطناها إلى
عالمي الشعر والموشحات.

ويتأنق في وصف الخال وجماله في الوجه فيصوره بزنجي تائه في

روض من الياسمين، يقول (التطيلي ١٩٨٩: ٢٦٤):

وَالْخَالَ الْعَجِيبَ قَدْ جَالَ فِي النَّسْرِينَ
كَزْنَجِي تَاهَا فِي رَوْضِ الْيَاسْمِينِ

والصورة رائعة، بل أكثر من رائعة، فهو إذ يجعل الوجه حديقة غناء، فإنه يختار لبياضه وإشراقه الياسمين والنسرين، وكلاهما عُرِفَ ببياض اللون وديمومة النور والإشراق. وتقترب الصورة من قول أبي علي النشار (ابن سعيد ١٩٨٩: ٢١٣):

وَبَيْنَ الْخَدِّ وَالشَّفَتَيْنِ خَالٌ كَزْنَجِي أَتَى رَوْضًا صَبَاحًا

فكلاهما شبه الخال بزنجي، وكلاهما جعله تائها في الروض، إلا أن الأعمى زاد على صورة النشار، فالخال ليس زائراً فحسب، وإنما هو تائه في روض ياسمين، وثمة أمر آخر، وهو، أن سواد الخال لا يتبدى جلياً إلا إذا كان في صفحة بيضاء مشرقة أو نسرين وياسمين على حد قوله. ويحمد للأعمى أنه جعل الخال متحركاً بصورة تجعل خيالك يختار له أحسن موضع له، بينما حدده النشار ما بين الخد والشفتين. وهذا الموضع وإن كان يحلو لبعضهم فقد ينبو عند الآخر. ويفيد من هيئات الحروف وأشكالها في رسم صورته التشبيهية، فالحاجب كالنون (التطيلي ١٩٨٩: ٢٨٨):

قِسِيَّ الْحَوَاجِبِ سِيَّهَا مَهَا عَيْنَاهُ
كُنُونِي كَاتِبٌ قَدْ خَطَّهُنَّ اللَّهُ

وأحيانا يحشد التشبيهات على نحو يذكرنا فيه بصنيع ابن هاني الأندلسي في شعره (التطيلي ١٩٨٩: ٢٦٦):

كَالْهِنْدَوَانِي وَكَالْغَمَامِ الْهَتَّانِ وَفَقَّ الْأَمَانِي وَمِلْءُ عَيْنِ الزَّمَانِ
كَالدَّهْرِ وَأَنْ وَمَابِهِ مِنْ تَوَانِ كَالشَّمْسِ دَانِي عَلَى تَأَيِّ الْمَكَانِ

أما الاستعارة فتمتاز عن التشبيه وعن غيره من أدوات بناء الصورة بعمقها وشدّة تأثيرها، وقدرتها على صنع عوالم أسطورية قد يستحيل فيها الجماد حياً ناطقاً ، والأعجم فصيحاً كما يقول الجرجاني (الجرجاني ١٩٥٩: ٢٩) ولعل مزاياها وصفاتها قد أتاحت له فرصة أن يخلق بخياله بعيداً عن الأرض ودون رغبة في الأوبة إليها، يقول التطيلي (التطيلي ١٩٨٩: ٢٦٦):

جيشُ الظلامِ بالصُّبحِ مهزُومٌ فقمُ يا نديم

لا بدُّ لي على الوردة من وردٍ

فهايتها معصفرةُ البردِ

نار من الزُّجاجةِ في زندٍ

كلُّما لثمتُها لظمتُ خذي

ولا كمثلِ خدِّ ملطومٍ من بنتِ الكرومِ

أركبُ على اسمِ ربِّك في الفلكِ

إلي الخليجِ ناهيك من ملكِ

والوشي صفا في الحُبكِ

والورقُ في مأتَمها تبكي

والروضُ سرُّه غيرُ مكثومٍ

في صدرِ النسيمِ

ويعمل على مضايقة الصور والإكثار من عناصرها (الظلام ، الصبح ، الورد ، الخمر ، النار ، الزجاجة ، الخد ، الفلك ، الخليج ، الوشي ، الورق ، البكاء ، النسيم). وهذا خطير لأنه قد يشوش على القارئ، ويحول دون فهمه أو تخيله، مع ذلك يمكن أن نرد كثرة العناصر إلى عالمين محبيين عنده، وهما، الخمر والطبيعة. والحق أن الموشحة مفعمة بالحياة ، غنية بالحركة والحيوية، وغيرها مما يكفل للعمل الفني البقاء والخلود. فصورة أجناد الظلام وهم عائدون منهزمين من جنود الصباح صورة بديعة مستلثة من الواقع الحربي الذي يسيطر على حياة

الأندلسيين. أما تشبيه الخمر في الزجاج بالنار المتقدة فصورة تقليدية لا تكاد تخلو منها خمرية، وأما قوله " اركب على اسم ربك" فإشارة إلى قوله تعالى "وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ" (سورة هود، الآية ٤١) ولا نغفل الاستعارتين المكنيتين في قوله "الورق تبكي" و"الروض سره غير مكتوم" ولا يخفى على القارئ الفطن التنوع الأسلوبي، كالتقديم والتأخير في قوله "الورق - في مأتها- تبكي"، والإبقاء علي الترتيب المنطقي للجملة "الروض سره غير مكتوم في صدر النسيم". فتقديم الجار والمجرور في الجملة الأولى له غاية ومقصد، فالحمام يبكي في الأصل لكن بكاءه هنا مخصوص بمأتمه فلا بد أن يكون أشد وأقسى، أما الجملة الثانية فأبقاها على حالها لأنه يعلم يقينا أن الروض سره شائع ومذاع. وقبل أن تغادر هذه الصورة نشير إلى عنصرين بصريين ظلا مسيطرين على معظم صورهما، الألوان والحركة، أما الألوان فمنها، الأسود (الظلام) والأبيض (الصبح) والأحمر (النار) وكلها من الألوان الرئيسية في الطبيعة، وأما الحركة والحيوية ففي قوله (الطم، اللثم، البكاء). ولاشك أن الألوان الصارخة والحركة العنيفة تحيلان المشاهد إلى كائن حي يحس ويشعر، ويشارك الآخرين قعدتهم الخليعة. ومن صور الاستعارية، صورة الإبريق، الذي يحيله من جماد لا حياة فيه إلى كائن حي يواسي المكظوم، ويلطف المحزون (الغرناطي ١٩٩٢):

ولا مَحْلُوقٌ يُواسِيهِ فِي البُعْدِ
سَوى إِبْرِيقٍ يُفَهِّقُهُ كَالرَّعْدِ

فالخمر المهركة من الإبريق على الكأس الفارغ تصدر صوتا أو قهقهة - على حد تعبيره- تواسي به لوعته، وتؤنس به وحدته وبعده عن دياره. والصورة جديدة وطريفة، وجدتها تعود لكونها لم تجعل الخمر - كما جرت العادة - سبيلا إلى إزاحة ماران على الفؤاد، بل هممة إبريقها، فهو من يجلب السعادة. وعلينا ألا نغفل قوله "ولا مخلوق سوى إبريق" ففيه يعتمد على لا النافية للجنس لينفي عن

الخلق مواساتهم له من جهة، ومن جهة ثانية يسبغ على الإبريق صفة الخلق كما يمهده له القيام بفعل إنساني فيما بعد (يقهقه). وقبل أن يغادر صورة الإبريق نراه يشبهه بالرعد في حدة صوته، وفي صخبه، وربما في كسره لحالة السكون والركود التي تغطي الكون، أو التي يعانيتها محزونه. ومن جليل استعاراته (التطيلي ١٩٨٩: ٢٨٦):

سَطَا فَسَلَّ مِنَ الْأَجْفَانِ سَـيْفًا مُؤَيَّـذًا
أَنَا الْقَتِيلُ بِهِ فِي الْحَيْنِ دَمَمِي تَقْلِيدًا

وتختبئ الدلالة وراء موكب من الاستعارات، فيه الجفن عين، والسيف نظرة، والعاشق قتيل، والصورة تستدعي مفرداتها من أجواء الحرب (الجفن - السياف - القتيل - الدم المهرق)، لكنها تعرف كيف توظفها. ويبدو أن التطيلي لم يكن وحده قتيل اللحظة، فهناك من ينتظر المصير نفسه، ويدل على ذلك قوله "أجفان" بصيغة الجمع بدلا من المفرد، وعلينا ألا نغفل عن تأكيده نفاذ النظرة/ السياف.

ومن صورته الاستعارية الجميلة (التطيلي ١٩٨٩: ٢٧٥):

هَيْهَاتَ تُسْتَمَالُ أَوْ يُعْتَدَى عَلَيْهَا
وَدُونَهَا نِصَالُ مِنْ سِحْرِ مَقْلَتَيْهَا
وَقَدْ مَشَى الْجَمَالُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهَا

يحتال الشاعر على الوسيلة التقليدية التي يعمد عليها الشعراء في التعبير عن الحبيبة المنيعه - كاستدعاء مجموعة من الحراس ليقفوا على بابها حراسة لخدمها - فيستبدلها بوسيلة جديدة تعتمد على جمال مقلتيها وسحرهما، فهما من يزود عنها، ويدفع غائلة الطامعين. وقبل أن يغادر هذا المشهد يستدعي عنصرا جديدا يؤكد به المعنى "قد مشى الجمال". والتطيلي إذ يحيل الجمال إلي شيء محسوس بناء على

التصور الاستعاري، فإنه يمنحه أرجلاً يذهب بها إلى الفتاة لينضم إلي موكبها من جهة، وليصبح أحد حراسها من جهة أخرى .

أما فيما يتعلق بالكناية فنلاحظ تراجعها مقارنة بالتشبيه والاستعارة، وأغلب الظن أن طبيعة الموشحة وثقافة متلقيها، هما من صرفاه عن موارد المعاني، أو الاختباء خلف أختيبتها، فالمباشرة والوضوح هما طلبية محبي الموشحات. ولا يفهم من حديثنا أن موشحاته تخلو منها تماماً، وإنما كان حضورها خجولاً ومعظمه مما هو محفوظ في الذاكرة، أو مما يسهل على المتلقي - حتى لو كان عادياً - أن يفهمه، كتكنية الخمر "ببنت الكروم وبنت الدنان"، وتكنية المرأة بلوازم زينتها "ذوات الحلبي ومخضوبة البنان"، أو بصفة من صفاتها "عود الزان" والشجاع "بثابت الجنان" والحزن والحسرة "بلطم الخدود". وعلى الرغم من اقتراب معظم هذه الكنايات من الروح الشعبية فإن بعضها جاء في ثوب قشيب، مثل قوله في تكنية الهموم بينات القلب (التطيلي ١٩٨٩ : ٢٥٧):

سَلْ بِنَاتِ قَلْبِي هل تعزى وتقر

وتكنيته عن الدهشة التي يحدثها الجمال في وجه المفتون به "بتقييد العيون (الصفدي ١٩٦٦ : ١٢١) :

يا مَنْظَرًا قَيَّدَ العُيُونَا فمن ترى ما سواه دونَا

ومن بديع كناياته اعتماده على الألوان في التعبير عن معانيه (التطيلي ١٩٨٩ : ٢٧٤):

أُيْنَنَ الأَمَلُ مِنْ وَجَنَةِ تُكْسَى
وَرَدَ الخَجَبُ وَأَكْتَسَى الوُرْسَا

فهو إذ يكني عن حمرة الخجل وخفر صاحبتة وامتلائه بالحياة والشباب بوجنة تكسوها وردة حمراء فإنه يكني عن العلة والمرض بالورس - وهو نبات لونه أصفر

فالق، فالألوان هنا تتجاوز كونها أصباغاً إلى نموذج يصور الحياة وتناقضها، فمتلماً يكون اللون الأحمر بشيراً بالحياة والفتوة، يكون اللون الأصفر نذيراً بالنهاية والفناء. ويمزج مزجاً فنياً بين الكناية والاستعارة (ابن سناء الملك ١٩٧٧: ٨٠):

والرَدَى يَقَطْرُ من مَخْلَبٍ وَخَلْخَلُ

وتحتجج الصورة إلى جوار الاستعارة المكنية (الردى يقطر) كنايتين، الأولى تقنية الضاري بالمخلب، والثانية تقنية المرأة بالخلخل، فضلاً عن المزج الفني البديع بين النقيضين (المخلب و الخلل) في مشهد واحد.

وثمة ظاهرة تميزت بها الكناية عنده ، وهي إلحاحها على عبارات بعينها، أو صيغة لغوية واحدة هي، "ملء" ومنها (الغرناطي ١٩٩٢: ٤٦٥):

غَاذَةً مِلءُ العَيَانِ تُشْرِقُ الآفَاقُ مِنْهَا

و(التطيلي ١٩٨٩: ٢٥٧ - ٢٨٤) : خَذُّكَ الأَسِيلُ مِلءُ نَاطِرِي وَفَمِي

و: وَفَق الأَمَانِي وَ مِلءُ عَيْنِ الزَّمَانِ

وعلى الرغم من تفاوت الكناية ما بين بهاء الطلعة وحسن المنظر، وجليل الخصال، وامتلاء الجسد، يظل الحسن هو المعنى الحاضر في كل تلك الصور، وتظل صيغة "ملء" المكون اللغوي لها. ولا تقتصر أدوات بناء الصورة عند التطيلي على التشبيه والاستعارة والكناية فحسب، بل تمتد لأدوات، منها تركيب الجمل وبنائها دلاليًا ومنطقيًا وموسيقياً، أو ما نسميه بالتشكيل اللغوي البديع (التطيلي ١٩٨٩: ٢٦٠):

وَالشَّوْقُ يَقْضِحُ لي كَتْمَانِي وَالسُّدْمُ عِ يَشْهَدُ

وَقَدْ حُرِمْتُ مِنَ الكَرَى جُفُونِي وَليسَ أَسْعَدُ

فَلئنِ مَنَعَتِ عيني لذيذَ النَّوْمِ فَلقد نَعِمْتُ فيكَ قَدِيمَا

ويستعين بوسائل لغوية مختلفة كتفجير الطاقات الإبداعية للمفردات والإفادة منها قدر المستطاع، فهي هو يصطنع من مفردتين جناساً وطباقاً ونعني بذلك، منعته

ونعمت، ففضلا عن الجناس المقلوب بينهما تضاد، منع (حرم) ونعم (ظفر). أما قوله "لذيذ النوم" فمغرق في العامية، لكنه مع ذلك مفعم بالدلالة، فضلا عن مناسبته للموقف النفسي، فاللذة التي حدثت بعد جوع شديد تماثل ساعة نوم أعقبت سهرًا وأرقًا، يقول (الغرناطي ١٩٩٢: ٥٠٢):

أَيَا نَدْبًا	مِنْ خَلْقٍ وَإِنْعَامٍ
وَيَا عَضْبًا	مِنْ حَزْمٍ وَإِقْدَامٍ
ذِرِّ الْحَرْبِ أَلَا	وَطَاعِنِ بِالْأَقْلَامِ
هِيَ الْأَقْدَارُ	قَدْ أُجْرَيْنَ فِي الْأَسْطَارِ
دَمَّ الْأَنْفَاسِ	عَلَى وَجَنَةِ الْقِرْطَاسِ

ويضع المحسوس (الأقلام) بإزاء المعنوي (الأقدار) ثم يهجره إلي التوسع في وصف المعنوي. فالأقدار إذ تجري علي السطور (الصحف) دماء الأنفاس (الأرواح المزهقة)، فإنها تترك في وجنة القرتاس حمرة قانية. وتمتاز الصورة بحشد للعلاقات المجازية (كإسناد الطعن للقلم ومنح القرتاس وجنة)، وبدقة اختيار المفردات، وملائمتها بعضها بعضا، فالطعن تتاسبه (أجرين، الدم) وتنسجم الأقلام مع مفردات (الأسطار، القرتاس) وعلينا ألا نغفل الخيال المبحج الذي لون وجنة القرتاس بالدماء المهركة. فقلم الممدوح يفوق صنيع السيف، فإذا كان للسيف نبوة أو كهام فإن للقلم قدراً نافذاً لا راد له (الحمداني ١٩٩٤: ٣٧).

ومن بديع صورته، بل نظمه كله (التطيلي ١٩٨٩: ٢٥٣):

ضَاكِكُ عَنْ جُمَانٍ	سَافِرٌ عَنْ بَدْرِي
ضَاقَ عَنْهُ الزَّمَانُ	وَحَوَاهُ صَدْرِي
أَهْ مَمَّا أَجْدُ	شَفَنِي مَا أَجْدُ
قَامَ بِي وَقَعْدُ	بَاطِشٌ مُتَّعْدُ
كَلَّمَا قُلْتُ قَدْ	قَالَ لِي أَيْنَ قَدْ

وتنوء الموشحة بالصور الفنية المتلاحقة التي لا تكتفي بالاعتماد على عناصر المجاز والاستعارة والتشبيه، بل تمد نطاقها إلى العلاقات اللغوية الجديدة، والمحسنات البديعية التي تتجاوز كونها حلاً موشية إلى عناصر أصيلة في البناء. فالمحبوب يفتر ثغره أو سنه عن جمان ودر، ويسفر وجهه عن بدر، فإذا ضاق به الفضاء أو الزمان، رحب به صدره واتسع. ويستعير الجمان للأسنان، والبدر للوجه، ويطابق بين السعة (حواه) والضيق (ضاق)، ويجانس بين قد (حسبك) والقوام (،) ، و يعمد لاسم الفاعل (ضاحك، سافر، باطش) تعبيراً عن الثبات والديمومة، ولم يفته أن يخلع على الصورة حركة وحيوية باستخدام الأسلوب الحوارى الذي يقوم على صيغة: قال قلت، فضلاً عن حسن انتقائه لمفرداته. ومن بديع لوحاته، لوحة العاذل وعتابه له، وفيها تتنوع أدوات تشكيله ما بين البديع والكناية والاستعارة، فضلاً عن استدعائه للصور الشعبية (عنانى ١٩٨٦: ٢٨٠):

عَاذِلِي رُوَيْدًا فَهَلَّا	أَطَلَّتْ فِي الْحُبِّ عَذَلًا
أَتَلُّومُ فِي الْحُبِّ جَهَلًا	يَكْفِيكَ مَا بِي حَلًّا
مُدَّ صَدًّا خَلِي وَسَدًّا	بَابَ الرِّضَا وَعَيْلَ صَبْرِي
فَطَعْمُ هَجْرِ الْحَبِيبِ	أَمْرٌ مِنْ كُلِّ صَبْرٍ

وتكتظ الصورة بأنواع من الفنون البلاغية كالجناس "بين صد وسد"، ورد الأعجاز إلى الصدور بين "يا عاذلي وعذلا"، والاستعارة في قوله "باب الرضا"، والكناية في "عيل صبري"، وتكرار عبارة "في الحب" والصورة المغرقة في الشعبية "طعم الهجر أمر من الصبر"، فضلاً عن تفاوت خطاب العاذل ما بين الرقة (رويداً فهلاً) والعتاب (أتلوم) والشدة (يكفيك). ولاشك أن تنوع الأساليب لا يدفع سامة القارئ فحسب، بل يبرهن على قدرة الوشاح وحذقه فنه. ومن بديع صورته التي تتكى على التشكيل اللغوي قوله (التطيلي ١٩٨٩: ١٥٦):

خَلَعْتُ عِزِّي وَدِينِي فِي أَهْيَفِ الْقَدِّ لَدَنَهُ
يَسْطُو بِسَيْفِ الْمَنُونِ مَا جَفَنَهُ غَيْرَ جَفَنِهِ
يَا قَسْوَةَ الْحَبِّ لِنِّي وَلَوْ بِرُمَانِ غُصْنِهِ
لَمْ تَبْقَ مِنِّي
وَارْحَمْنَا لِلْمُحِبِّينَ

عَبْدَ الْمَلِيكِ أَحِبُّكَ وَلَا سَبِيلَ إِلَيْكَ
مَوْلَايَ حَسْبِي وَحَسْبُكَ قَدْ ذُبْتُ وَجَدًا عَلَيْكَ
حَتَامَ يَضُنِّي مُحِبُّكَ وَبُرُؤُهُ بَيْنَ يَدَيْكَ
اللَّهُ اللَّهُ فَمَنْ يَه فَرَرْتُ مِنْ حَرْبِ صِفِينِ
كَمْ فِيكَ مِنْ أُمْنِيَّةٍ أَمْسَى بِهَا الْحَتْفُ مَقْرُونِ

وينوع أساليبه اللغوية في تبليغ خطابه الغزلي، كالكناية عن التهتك والمجون (خلعت عزي وديني) والجناس بين جفن العين والسيف، والنداء (يا قسوة) والادعاء (وارحمتا للمحبين)، وأسلوب القصر (ما الحب إلا منية) والحذف (اعني حذف الفعل والفاعل في قوله الله الله)، والطباق في قوله (يضنني وبرؤه) وقوله (أبيرة والهوان)، والتوكيد اعتماداً على المصدر (رفقا) والاستبطاء (حتى م). والأعشى لا يقنط من عودة المحبوب، بل يبقى الباب مواربا والأمل معقودا. والحق أن الموشحة تنساب رقة وسهولةً وليناً، فالألفاظ على قدر المعاني، والمعاني فيض عاطفة صادقة ومتأججة تلامس قلبك، وتسمو بمشاعرك، وتكاد تطير بك من العوالم الأرضية المادية إلى العوالم العلوية حيث لا رقيب سوى الضمير اليقظ.

المحور الثاني طرائق البناء:

سبق أن أشرنا من قبل إلى أن شعور الأندلسيين باستهلاك القدماء - المشاركة تحديداً- للمعاني والصور قد دفعهم إلى التماس أساليب ووسائل جديدة تنبئ عن شخصيتهم، وتعلن عن وجودهم المعانين، أو إن أردت الدقة تشعرهم بأنهم ليسوا

بعالة على من سبقهم. ومهما يكن من أمر فإن محاولة التطيلي - أو من نَقَّله من الوشاحين - " في الصورة كانت مستمرة للتخلص من النسيج العنكبوتي للمشاركة وهو يحيط بكل مظاهرهم الثقافية وتقاليدهم الشعرية فحبوا حيناً، وقفزوا حيناً، وحلقوا في سماء التجديد والإبداع أحياناً أخرى" (ساعي ١٩٩٣: ١٧-٢٥).

لجأ الأعمى التطيلي إلى مجموعة من الطرائق لاصطناع صور جديدة ، منها، عنصر المفاجأة، وفيه يفجؤك بخاتمة يخالف بها مقدماته، أو لما كان يعتقد القارئ مثل قوله (التطيلي ١٩٨٩: ٢٧٨):

أَجِيلُ الطَّرْفِ فِي بَدْرِ وَأَقْحُوَانِ

فَذَا حَلِيٍّ وَذَا جَنِيٍّ وَالرِّيْقُ رِيٌّ لَكِنْ حَمَى الْوَرْدَا طَرْفٌ أَبِيٍّ

فأقواله التي مهد بها تخالف النتيجة التي انتهى إليها، فهو يجيل الطرف أو يمتع ناظره بالوجه والثغر ثم يشعرك بأنه قد نال منهما شيئاً (جني، الريق ري) لكن ما يلبث أن يفاجئك بأن كل ما يشتهيها منها لم يتيسر له فهي محمية (حمى، أبي) وفي الموشحة حشد من الصور الاستعارية (التصريحية) كاستعارة البدر للوجه، والأقحوان للثغر، والورد للخد أو الوجنة.

وقد يخالف التطيلي المنطق الأرسطي القائل إن المقدمات الصحيحة تقضي إلى النتائج، فيبدأ بالنتائج (النهاية) وصولاً إلى البداية، أو ما يعرف بالارتداد ((flash back، وهي تقنية ممتازة، إذ لا تشعر القارئ بالراحة النفسية فحسب، بل تدفع فضوله إلى معرفة الأحداث التي قادت إلى هذه النتائج، يقول الأعمى (الغرناطي ١٩٩٢: ٤٥):

كَمْ اسْتَضَامُ	وَكَمْ عَلَا لِي قَدْرُ
هَلْ الْغَرَامُ	إِلَّا اشْتِيَاقٌ وَذِكْرُ
جَنِّ الظَّلَامُ	فَاطَلَعُ يَا بَدْرُ
طَالَ الْمَغِيبُ	وَكَمْ لِيَالٍ سَرَيْتُ

فَـضَّلَ رَكْبِي وَبِـسْنَاكَ اهْتَدَيْتُ

فهو إذ يخبر عن ظلم حاق به فإنه يفصح في الوقت نفسه عن انزياحه عنه. أما من ظلمه ثم جاء فأنصفه فيشير إليه في السمط الثاني، ثم يسوق أشكال الظلم والمعاناة (الظلام - انتظار البدر - سهر الليالي) وصولاً إلي ثلج اليقين (وبسناك اهتديت). وتعتمد الموشحة على التقابل لإظهار التفاوت في المشاعر (القلق والراحة أو الظلم والعدل) من جهة، ولإقناع القاري من جهة أخرى .

كـم اسـتـضام وكم عـلـي قـدر
جـن الظـلام اطلـع يـا بـدر
فـضـل ركبـي وبـسـنـاك اهـتـديت

ونلاحظ حسن انتقائه للأفعال التي تناسب ما أسندت إليه، فالفعل جن يناسب الظلام، وطلع يناسب البدر، كذلك لا نغفل الدلالات النفسية المرتبطة بالظلام (الخوف - الضياع) وبالبدر (الاطمئنان الراحة)، والضلال والهدى، فضلاً عن الاستعارة التصريحية (يا بدر) والمبالغة في قوله (بسناك اهتديت). فتعدد أطراف الصورة (الظلم والعدل، الشوق والذكريات، الظلام والبدر، السهر والنوى) وتجادب أطرافها لم يخل بها، أو يشوش على قارئها، بل أشعره بأنها صادقة وواقعية، صادقة لأنها أفنعت بتناقضات الحياة وناموسها القائم على الصراع، وواقعية لأنها قدمت الحياة على النحو الذي هي عليه بلا بهرجة .

ومن طرائق بنائه للصورة، الحشد والتكثيف، ومنها قوله (التطيلي ١٩٨٩:

:٢٨٢)

أحلى من الأمن يـرتـأبُ في قـربي وَيَفْرُقُ
في وجهه سنه يَشجَى بها العَدْلُ وَيَشْرُقُ
الله ما أقرب على مُحبيه وأبعدا

حَلُو اللَّمَى أَشْنَبُ آسَى الضَّنَا فِيهِ وَأَسْعَدَا
أَحِبُّ بِهِ أَحِبُّ وَيَا تَجَنِّيَّ طَالَ الْمَدَى

تستوعب الصورة العناصر المكونة لعالم الحب، ففيها العاشق والمعشوق (الحاضر بروحه الغائب بجسده)، وفيها آفة الحب (العدل) ولا تخلو الأبيات من المفارقات، منها، أنه يشعر بالأمن تجاه محبوب يخافه (يرتاب ويفرق). وتستغني الصورة في بنائها عن الاستعارة والتشبيه والكناية لتعتمد على التشكيل اللغوي. كالأفعال ذات الدلالة النفسية (يرتاب، يفرق، يشجي) والتعجب بشقيه المعنوي (الله) والقياسي (ما أقرب وأحبب به) وأسلوب التفضيل (أحلى)، فضلاً عن تقنية التضاد في تصوير المتناقضات التي يحسها المحب. وعلينا ألا نغفل حرف القاف (قربي، يفرق، يشرق، أقرب) وما يحدثه من قلقلة واضطراب تشاكل قلقه وخوفه، أما قوله (أحلى من الأمن) فيختزل فيه كل معاني الحب المادي منه والمعنوي، فمثلما ترضي حلوة المحبوب جسد المحب ترضي روحه. وثمة أمر يجب أن نفظن له في استقراء هذه الصورة، وهو، أن افتقار الأندلسيين إلى الأمن والأمان جعلهم يرون تحقيقه أقصى أمانيهم، ولعل هذا ما جعل التطيلي يقول إن محبوبته أحلى من الأمن.

ومن طرائقه أيضاً التحايل⁴ (ساعي ١٩٩٣: ١٧)، ونقصد به إفادته من البنى القديمة والصورة التقليدية الجاهزة، بإعادة تشكيلها على نحو جديد، يعبر به عن شخصيته من جهة، وعن موقفه من الموروث من جهة أخرى، كأن يقيم تشبيها يسلك فيه مهياً جديداً قوامه إضافة المشبه إلي المشبه به (عاني ١٩٨٦: ٢٩):

هَلْ مِنْ سَبِيلٍ لِعَبْدِكَ إِلَى جَنِّي رَوْضِ خَدِّكَ
وَصَمَّ خَيْرُورٍ نَهْدِكَ وَعَضُّ رُمَانٍ نَهْدِكَ*

⁴التحايل: أخذنا هذا المصطلح من د. أحمد بسام ساعي. انظر بحثه: الوجه الآخر للموشحات، ص ١٧

فهو لا يجعل الخد روضاً، أو القد خيزراناً (خيزور)^٥ أو النهدي رماناً كما جرت العادة، وإنما يقلب الصورة رغبة منه في الانتقال من القريب إلي البعيد، ومن الوضوح إلي الغموض، ومن البساطة إلي المغالاة (التطيلي ١٩٨٩: ٢٧٣).

لو تَبَعْتَهُ الْأَنْجُمُ	ذو سُؤدد لا يُنَالُ
فهو الجريءُ المَقْدَمُ	إذا ذَكَرتِ الْغَزَالَ
فهو الجَوادُ المنعَمُ	وإن طَلَّبتِ النَّوَالَ
ما قامَ للغَمائمِ مِيزانُ	تالله مُذْ بَدَلًا
فإنَّ جُودَ حاتمِ بُهْتانِ	اضْرِبْ به المِثْلا

فالتطيلي يتمرد على الصورة النمطية أو الموروثة عن الأجداد في صياغته لصفات المديح، فالمعروف أن ثمة معاني وشخصيات محفوظة في الذاكرة الشعرية يسهل استدعاؤها وقت النظم، وعلى رأسها حاتم الطائي في الجود، والنجوم والسماء في الرفعة والعلو. وحقاً أن الأعمى لا ينفي عن حاتم جوده، وعن النجم رفعتة، بل يجعلهما بكل ما يحملانه من رصيد تاريخي يتضاءلان أمام ممدوحه، فالنجوم تحاول أن تدرك شأوه فتخذل، وحاتم يريد أن ينازعه جوده فيتوارى، هذا إن لم يترك له مكانه التاريخي ليحل محله. والتطيلي إذ يحطم الثوابت التاريخية أو الفنية فإنه يأتي ليعيد صياغتها من جديد (إن جود حاتم بهتان). ومما يجري في هذا الاتجاه قوله (التطيلي ١٩٨٩: ٢٧٤):

يَجْأُو الدُّجى نُورُهُ	أُنبتَ القَمَرُ
يَرفُ دِيَجورُهُ	تحتَ الشَّعرِ
ناداه مَهْجورُهُ	إذا خَطَرُ

^٥ الخيزور: لغة في الخيزران، ولعله أخذها من قول الراجز: منطوياً كالطبق الخيزور.

وهو إذ يشبه محبوبه بالقمر في ضيائه وتألؤه واستدارة وجهه فإنه ينتزع منه صورتين أخريين، ففي الأولى يجعل الظلمة المحيطة بدارة القمر لونا لسواد شعره ، وفي الثانية يتخذ من بُعد القمر وعلوه صورة من صور الهجر. إن للتطيلي موهبةً فذةً في اختراع الصور الجديدة، أو في إعادة تشكيل الصورة التقليدية على نحو جديد. فقد جرت العادة أن يتخذ من القمر وتألؤ ضيائه واستدارته صورة للمرأة في وجهها ولونها، لكن أديبنا جاء فاخترق بصورته النسق المألوف، إذ لم يختلس المشهد التقريري التقليدي أو المستهلك من لدن القدماء، بل أفاد من العالم المحيط به في تشكيل صورتين مختلفتين هما، مادية (صورة الشعر) ومعنوية (صورة الفجر).

النتائج:

اعتمد التطيلي في كثير من صورهِ على ما حفظته الذاكرة - وما أكثره - أو ما تلقفه من الحياة الاجتماعية، أو العالم المحيط به. كما دفعته عاهته إلي تحسس الأشياء بيده، أو بلسانه، ولعل هذا ما يفسر لنا نزوعه الدائم إلي الحسية. كذلك خلت موشحاته - بسبب عماء - من لوحات الطبيعة الحية المتحركة، ففي مجموع صورهِ التي بين يدينا يتعذر عليك أن تجد غزاً لا يرتع، أو ظبياً يكنس، أو أتاناً تنتظم خلف مسحلها، أو طائراً يحسو الماء في خوف ووجل. لم تقتصر أدوات بناء الصورة عنده على التشبيه والاستعارة والكناية فحسب، بل امتد نطاقها إلى تركيب الجمل وبنائها دلاليًا ومنطقيًا وموسيقياً. درج التطيلي على تنويع أدواته مخافة سأم القارئ، فكان أن عمد إلي عناصر المفاجأة والحشد والتكثيف، فضلاً عن التحايل على الصور الكلاسيكية وإعادة إنتاجها على نحو جديد يبرز فيه مقدرة الأديب على الخلق والإبداع .

المصادر والمراجع:

- إسماعيل، عز الدين ١٩٦٣م: التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، القاهرة.
- التطيلي، الأعمى ١٩٨٩م: الديوان، (تحقيق) إحسان عباس، دار الثقافة، ط١، بيروت.
- الجرجاني، عبد القاهر ١٩٥٩م: أسرار البلاغة، إشراف محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، ط٦ القاهرة.
- الحمداني، أبو فراس ١٩٩٤م: الديوان، (تحقيق) خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت.
- ساعي، أحمد بسام ١٩٩٣م: "الوجه الآخر للموشحات"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد ٣، الإمارات العربية المتحدة.
- ابن سعيد، الأندلسي ١٩٨٩م: رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق د. محمد رضوان الداية، دار طلاس، ط١، دمشق.
- ابن سناء الملك ١٩٧٧م: دار الطراز في عمل الموشحات، (تحقيق) جودت الركابي، دار الفكر، ط٢، دمشق.
- السيد، شفيع ١٩٩٥م: التعبير البياني "رؤية بلاغية نقدية"، دار الفكر العربي، ط٤، القاهرة.
- الصفدي، صلاح الدين ١٩٦٦م: توشيح التوشيح، (تحقيق) ألبير مطلق، دار الثقافة، ط١، بيروت.
- الطبراني ١٩٨٧م: كتاب الدعاء، تحقيق د.محمد سعيد محمد، دار البشائر، ط١، الرياض.
- عناني، محمد زكريا ١٩٨٦م: المستدرک على ديوان الموشحات الأندلسية، دار المعرفة الجامعية، ط٢، القاهرة.

- الغرناطي، على بن بشرى ١٩٩٢م: عدة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس،
(عنى بتحقيقه) ألن جونز، بريطانيا، مطبعة مركز الحسابات بجامعة أكسفورد ، ط١.

دراسة عوامل تلف مخطوطات المملكة العربية السعودية (مخطوطات مكتبة الأمير سلمان بن عبد العزيز نموذجاً)

د. عبد اللطيف حسن أفندي

جامعة الملك سعود

مقدمة:

تعد المخطوطات السجل الحضاري المدون لتاريخ الشعوب على مر العصور، وتضم الدوائر الحكومية والمكتبات وغيرها في المملكة العربية السعودية عدداً كبيراً من المخطوطات والوثائق التي تحوى الكثير من المعلومات. وهذه المخطوطات ذات مكونات مختلفة و تتعرض لعوامل تلف مختلفة تستدعى التعرف على أشكاله والعوامل المسببة لها حتى نستطيع حفظ هذه الكنوز لأطول فترة ممكنة . ويتناول هذا البحث أسباب وعوامل تلف المخطوطات داخل المملكة العربية السعودية تطبيقاً على المخطوطات المحفوظة في مكتبة الأمير سلمان بن عبد العزيز بجامعة الملك سعود ، والاستعانة بالعديد من الفحوص والتحليل لدراسة مكونات المخطوطات السعودية ومسببات تلفها مثل: الفحص الميكروبيولوجي، الفحص باستخدام المجهر الاليكتروني الماسح ،الفحص باستخدام المجهر الضوئي، الفحوص الكيميائية للكشف عن مكونات الورق (النشا، اللجنين، القلنونية)، الفحوص والتحليل الكيميائية للتعرف على أنواع أحبار المخطوطات السعودية، الفحص الكيميائي لدرجات حموضة الورق، التحليل باستخدام جهاز طيف الأشعة تحت الحمراء ، التحليل باستخدام حيود الأشعة السينية للتعرف على المواد المألثة المضافة أثناء التصنيع لأوراق المخطوطات.

مشكلة البحث:

تعرض مجموعات كبيرة من مخطوطات المملكة العربية السعودية لأشكال مختلفة من التلف بسبب طبيعة تركيبها العضوى، وعوامل حفظها وتداولها بطريقة

غير مناسبة. وكذلك ندرة الأبحاث التشخيصية لعوامل ومظاهر تلف المخطوطات المحفوظة في المكتبات والدوائر الحكومية في المملكة العربية السعودية.

أهداف البحث: يهدف البحث للآتي:

١- التعرف على الحالة الفعلية للمخطوطات داخل المكتبات في المملكة العربية السعودية

٢- دراسة مكونات مخطوطات المملكة العربية السعودية.

٣- تشخيص أشكال وأسباب تلف مخطوطات المملكة العربية السعودية.

٤- وضع لبنة لدراسات مستقبلية لاحقة لاختيار انسب طرق علاج المخطوطات وصيانتها.

٥- إلقاء الضوء على أنواع الأحبار المستخدمة على المخطوطات في المملكة العربية السعودية.

أهمية البحث:

حسب علم الباحث يعد هذا البحث أول دراسة متخصصة تعنى بدراسة عوامل ومظاهر تلف المخطوطات والوثائق في المملكة العربية السعودية. وأنه يمهّد الطريق للدراسات المستقبلية في مجال ترميم وصيانة المخطوطات والوثائق.

منهجية البحث:

يتبع الباحث المنهج التحليلي في معرفة عوامل ومظاهر التلف التي تصيب المخطوطات في المملكة العربية السعودية. وسيتم عمل عدد من الفحوص والتحليل المخبرية لعينة من المخطوطات لدراسة مكوناتها وتحديد أسباب تلفها باستخدام طرق الفحص والتحليل الآتية :-

- الفحص الميكروبيولوجي لتحديد الفطريات والحشرات التي تصيب المخطوطات في المملكة العربية السعودية.

- الفحص باستخدام المجهر الاليكتروني الماسح للتعرف على بعض مكونات المخطوطات ومسببات التلف.
 - الفحص باستخدام المجهر الضوئي.
 - الفحوص الكيميائية للكشف عن مكونات الورق (النشا، اللجنين، القلفونية).
 - الفحوص والتحليل الكيميائية للتعرف على أنواع أحبار المخطوطات السعودية.
 - التحليل باستخدام جهاز طيف الأشعة تحت الحمراء للتعرف على مكونات الورق وحالة التلف التي وصلت اليها المخطوطات السعودية.
 - التحليل بالأشعة تحت الحمراء للتعرف على الوسيط اللوني المستخدم مع الأحبار.
 - التحليل باستخدام حيود الأشعة السينية للتعرف على المواد المألثة المضافة أثناء التصنيع لأوراق المخطوطات.
- المحور الأول للدراسة : عوامل تلف المخطوطات الورقية والمظاهر الناتجة عنها:**
- أولاً : عوامل التلف الخارجية :**
- البيئة الخارجية المحفوظة فيها المخطوطات والوثائق تؤثر تأثيراً مباشراً في مدى استقرارها أو تلفها وهي تتمثل في عدة عناصر متداخلة ومتشابكة كما يلي :
- ١- درجة الحرارة (Temperature) : تلعب دوراً مهماً في تلف المخطوطات الورقية فهي تزيد من سرعة التفاعلات الكيميائية المتلفة مثل تفاعلات تحلل اللجنين والتحلل المائي الحمضي للسليولوز وغيرها. فكلما ارتفعت درجة الحرارة كلما زادت عملية التلف ،كما أن تردد الحرارة يؤدي إلى الانكماش والتمدد المتكرر بما يجهد هذه المواد ميكانيكياً ويؤدي في النهاية إلى تشققها ونفقتها(حمدي عبد المنعم ٢٠٠٤). لهذا يجب الاحتفاظ بنبات درجة الحرارة قدر

الإمكان ، فيفضل على سبيل المثال إبعاد الكتب عن الجدران الخارجية للسماح بدورة الهواء والاحتفاظ بها في درجة حرارة ثابتة.

٢- الرطوبة النسبية: (Relative humidity) : من خصائص المواد العضوية الخاصة الهيجروسكوبية وهي التغيرات المستمرة في محتوى الورق من الرطوبة والمعروف أن المحتوى المائي الداخلي في الظروف العادية للورق ما بين ٥% : ١٢% في حالة الكرتون ، ١٤% في الجلود. ويؤدي ارتفاع درجة الحرارة والرطوبة إلى تعجيل التفاعلات الكيميائية المسئولة عن تلف الوثائق. تشجع الرطوبة النسبية التي تتجاوز ٦٠% على نمو وانتشار العفن والفطريات بين الكتب، ويوصي بأن يتراوح معدل الرطوبة النسبية فيها ما بين ٤٠ : ٤٥% مع قبول تغير سنوي يتراوح ما بين ٣٥:٥٥% بشرط أن يحدث هذه التذبذبات بشكل تدريجي (A.Baranski et.al 2004, pp. 68-74).

٣- الضوء Light: التعرض المستمر والزايد للضوء يزيد من عمليات التدهور الفيزيكية- الكيميائية ، حيث يحتوي الضوء ضمن عناصره على الأشعة فوق البنفسجية شديدة الضرر بالكتب والوثائق. ويؤدي الضوء إلى الإسراع من تلف الورق بفعل التأكسد فيصيب ألياف السليلوز بالهشاشة وقد يصل إلى حدوث بقع واصفرار أو غمقان في الورق. كما أن للأشعة فوق بنفسجية تأثيرات عاى الألوان المائية والأحبار الحساسة للضوء مثل الأحبار الحديدية وبعض الأحبار الصبغية (Lee.S.B., et.al 1989).

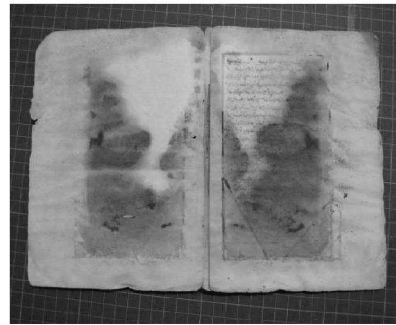
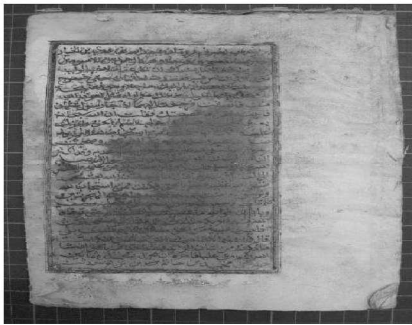
٤- غازات التلوث الجوي والأتربة والمواد العالقة Air pollution

يعتبر ثاني أكسيد الكبريت ، وثاني أكسيد النتروجين والأوزون من أكثر الغازات الملوثة ضرراً بالوثائق. وكذلك جسيمات الأملاح في أجواء المدن القريبة من البحار (Begin.P., et.al, 1999).

* **الغازات الحمضية** : وأكثر هذه الغازات خطورة على الكتب والمخطوطات والوثائق هو غاز ثاني أكسيد الكبريت إذ إنه يتأكسد إلى حمض الكبريتيك بفعل بخار الماء وأكسجين الهواء الجوي (E. Rousset et.al 2004,pp104-118). ومن الملوثات الأخرى الموجودة في الجو الأتربة والمكونة من مركبات غير عضوية (الرماد- بقايا المعادن - الطين - الأملاح ...) ومركبات عضوية (حبوب لقاح - جراثيم - بقايا نباتية) يمكنها أن تلحق الضرر سواء من الاحتكاك المباشر أو من التفاعل الكيميائي بوصفها مواد حمضية.

* **الهواء**: يتعرض اليومى للهواء والشوائب الغازية الموجودة في جو المدن الصناعية نتيجة لاحتراق الوقود الضارة جداً بالورق خاصة على مواد الكتابة والأحبار، فضلاً عن ذلك يحتوي الهواء على فيروسات وبكتيريا وفطريات وعفن وطحالب ، بمعنى آخر كائنات حية مجهرية يمكن أن تظل في حالة سكون ما لم تتم آثارها من خلال زيادة الرطوبة

* **الأحبار** : بالإضافة للتأثيرات الخارجية من رطوبة وحرارة وهناك تأثيرات حمضية متلفة نتيجة لوجود الأحبار خاصة الحديدية . صورة رقم (١)



صورة رقم (١) نموذج من تلف الأحبار على الورق القديم

ثانياً: عوامل التلف الداخلية

وتتمثل بشكل أساسي في المكون الرئيس في عجينة (لب الورق) بالإضافة إلى جميع العناصر المضافة للعجينة لإكسابها بعض المواصفات الخاصة من قوة، متانة، تماسك، نضاعة ونعومة ملمس وغيرها

مكونات المخطوط وتأثيراته على دوام واستقرار عمر الورق

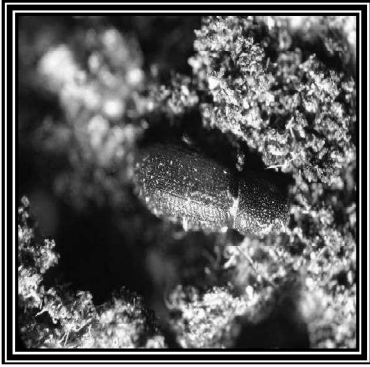
• اللجنين الموجود في كثير من الأوراق المصنعة من لب يدوى غالباً تكون قليله الدوام وهو المسبب الأول للحموضة حيث يوجد بنسبة من ١٦:٢٤% للورق المكون من الخشب الجاف وبنسبة ٢٥:٣١% في الورق المصنع من لب الخشب الناعم (Begin.P., et.al, 1999).

• **نوعية الأحبار:** عادة ما تحتوي الأحبار على الأحماض المعدنية و أمماض الجاليك و التانيك وأملاح الحديد ، فهذه الأحبار تتغير لونها نتيجة تأثير الضوء والعوامل الكيميائية المختلفة وينتج عنها بعض العمليات الخطيرة والتي تؤثر على خواص الورق خاصة عملية الأكسدة والحموضة والتي تتميز بها تلك الأحبار (Vina.V. and R.Vinas 1988). و يتلف السليلوز في الوثائق الورقية التاريخية بسبب وسائل الكتابة المستخدمة خاصة الحبر الحديدي أو صبغات الأكسيد النحاسية (Antje Potthas, et.al, 2008)

• **المواد المضافة للورق:** تستخدم نوعيات متعددة من الإضافات الطبيعية المختلفة لتحسين خواص الورق أثناء تصنيعه مثل مواد التغيرية (sizing) والنشا والشبة والكازين وإضافة مواد التبييض أو الصقل لتحسين الخواص البصرية والمواد الملونة والصبغات حسب الاحتياج والاستخدام (Altat H. Basta 2003, pp106-116)

٣: عوامل التلف البيولوجي صورة (٢، ٣)

١-٣ الحشرات والقوارض: وهي تتغذي على المواد النشوية والغراء ... وتتلف الأوراق التي يدخل في تركيبها النشا كما تتلف أغلفة الكتب المصمغة .. ونجد أنها تأكل منها مساحات غير منتظمة وتتركز الإصابة في أعقب الكتب لاحتوائها على كمية كبيرة من هذه المواد وتسبب أضرار كبيرة وتشوهات (بهاء الدين محمد حسنين: ١٩٨٧).



صورة (٢) بعض الحشرات المعزولة من مخطوطات

٢-٣ . والبيئة الحارة الرطبة تشجع على وجود ونمو جميع الحشرات ، والمواد النباتية والحيوانية الموجودة في الورق و الجلد تهاجم بواسطة الحشرات و يحدث تغير في لون الورق ويكون ضارب إلى السواد ويترك بقعاً ثابتة (Magaudda, et.al, 2001).



صورة (٣) بعض أغلفة المخطوطات المصابة بالرطوبة والتلف الفطري والحشري

٣-٣ الفطريات والبكتيريا والأكتيوميستات (الكائنات المجهرية) صورة (٤)

توجد جراثيم الفطريات التي يمكن أن تتحول إلى عفن في كل مكان، فيمكنها التواجد في الهواء أو على أجسام الحشرات. والفطريات عبارة عن كائنات مجهرية تعتمد على كائنات أخرى في الحصول على طعامها ، والفطريات والبكتيريا لا تتسببان في مشاكل كبيرة للمجموعات حين وجودها في حالة سكون. ولكن خطرهما يتمثل في حالة التدهور المفاجئ الذي قد يحدث عند وجود ظروف مواتية لنمو هذه الكائنات. (Bertini, M.B. 2005).

يُتلف الورق بفعل أصناف عديدة من الكائنات الحية الدقيقة تبعًا للتركيب الكيميائي ودرجة الحموضة أو القلوية ودرجة الرطوبة النسبية والحرارة وكمية ونوعية الإضاءة. و الفطريات تتسبب في تبقع الورق ببقع تختلف في لونها باختلاف الفطر المسبب لها كما أن مظهر التلف يختلف هو الآخر تبعًا لذلك. والكائنات الدقيقة يمكن تقسيمها إلى مجموعتين : الفطريات والبكتيريا المنتشرة في كل الوثائق والكتب. (Hanna, S, et.al, 1992)



صورة (٤) بعض الأغلفة لمخطوطات مصابة بالبقع الفطرية

فالحشرات تهاجم عادة الورق الجيد ، سواء ورق الخرق، أو الورق المتعادل أو القلوي. ومن أنواع التلف الشائع أن تجد 'تآكل' في الوثائق والمحفوظات المكتيبة بسبب تأكسد آثار المعادن - مثل أحبار الجال في الوثائق المكتوبة و بعد هجوم الحشرات تكون الهوامش فقط. هي السليمة وأماكن الكتابات فارغة وخاصة الأوراق

المُصنعة من لب الخشب ، ومن الممكن تحديد نوعية الورق بواسطة كمية نشاط الحشرات عليه. والتأثير الناتج من عمل الكائنات المجهرية (البكتيريا والفطريات) يؤدي إلى إضعاف الورق في المناطق المصابة (يحيي عثمان محمود ٢٠٠٤) وهناك أنواع عديدة من التلف الفطري الذي يحدث على الورق مثل التلف السطحي في شكل عتامه على سطح الورق ، التغير اللوني بسبب الصبغات التي تنتج من الفطريات المتغلغلة في ألياف الورق، التدهور البنائي للورق والذي قد يؤدي إلى الهضم الإنزيمي للسليولوز.

٤- الإتلاف البشري :

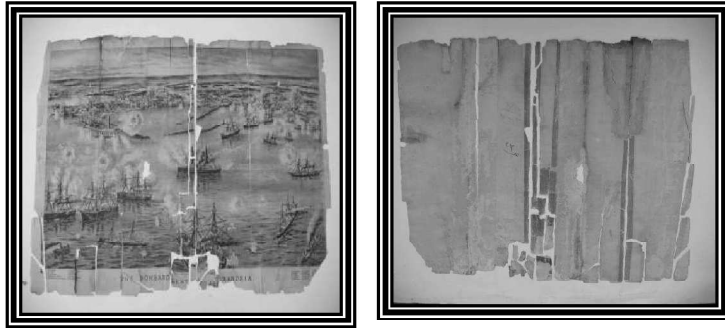
للإنسان كذلك دوره في إتلاف المخطوطات، وذلك بالاستخدام الخاطئ لها أو تصويرها وترميمها وتخزينها في أماكن غير مناسبة وصالحة، ويمكن إجمال هذه الحالات بالآتي:

- التقليل العنيف لصفحات المخطوطات يؤدي إلى تمزقها وتشوه أحرف زوايا هذه الصفحات.
- التقليل والتناول للمخطوطات بأصابع غير نظيفة أو ملوثة بالحبر أو مبللة بالعرق والدهون يؤدي إلى ظهور بقع وبصمات مشوهة على هذه المخطوطات وصفحاتها.
- ثني الأوراق للدلالة على الأماكن التي وصل إليها القارئ من العادات السيئة التي تؤدي إلى تكسر ألياف الورق.
- التدخين أو الأكل والشرب أثناء الاطلاع على المخطوطات يؤدي إلى أضرار سقوط الدخان أو شرر الدخان أو المأكولات والمشروبات على صفحاتها وأغلفتها، مما يسبب أضراراً متعددة من اصفرار واحتراق وتبقع يصعب إزالته
- الضغط على الكتاب المخطوط أثناء التصوير يؤدي إلى تفكك الملازم وتلف كعب المخطوط.

- إضافة علامات وكتابات أثناء القراءة مما يشوه بهاء النص الأصلي.
- الإهمال وعدم الالتزام بالمعايير اللازمة في درجة الحرارة ونسبة الرطوبة، وقوة الأشعة الضوئية مما يعرضها لأضرار بالغة.
- عدم مقاومة وإيادة القوارض والحشرات بشكل سليم، فضلاً عن عدم رش المخازن بشكل دوري بالمبيدات اللازمة.

٤-١ الأستخدام العشوائي لكل من :

الجيلاتين ، أشرطة السلوتيب ، الإضافات الضارة مثل الشبة والغراء. صورة (٥) وكانت تستخدم هذه الطرق في الحالات الطارئة لسهولة وسرعتها ولكي تحافظ على الأجزاء المنفصلة من الأوراق والوثائق الهامة دون النظر إلى الأضرار التي قد تترتب عليها فيما بعد وكان المستخدم لهذه الطرق من غير المتخصصين في مجال الترميم وتؤثر هذه الخامات على إضعاف أماكن الاتصال بين أوراق السلوتيب وبين الورق القديم وبالتالي وجود بقع و اصفرار الورق. وتكون الأحبار(الألوان) بصفة خاصة أكثر تأثر بهذه الخامات المضافة حيث تساعد على انفصال الأحبار والألوان والتفاعلات السريعة لتقادم الورق (SPIROS ZERVOS,2007, pp55-69) وإضافة الشبة والغراء إلى النشا كمادة رابطة قد تقيد أحيانا في إبعاد نمو الفطريات ولكنها تؤثر بالتلف والجفاف و الإسراع في التقادم إلى جانب انفصالها بمرور الوقت.



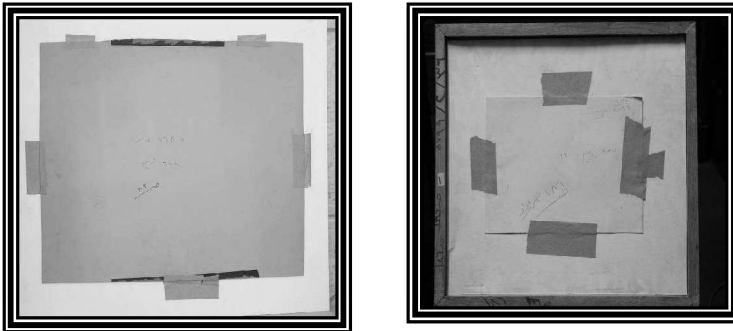
صورة(٥) توضح تلف الترميم الخاطئ باستخدام أشرطة السلوتيب

٤- ٢ اللصق على خلفيات رديئة (ورق، كرتون، قماش) صورة (٦)

استخدمت خامات مختلفة لتدعيم الورق الضعيف بصفة خاصة التي تشمل على الأعمال الفنية أو الوثائق ذات طابع خاص والخرائط وغيرها . وتؤثر هذه الخلفيات على الورق ومع الظروف المحيطة تسرع في عمليات التلف حيث يختلف معامل الانكماش والتمدد لكل خامة، هذا إلى جانب الوسيط (مادة الربط) كان يستخدم الورق المقوي في عمل الأغلفة والحافظات للمخطوطات وهي من العوامل المتلفة نتيجة لتسرب الحموضة من الخلفيات إلى ورق المخطوطات حيث يحتوي على نسبة عالية من اللجنين والشوائب الداخلة في التصنيع أو مواد مضافة لتحسين النصاعة أو الملمس.

٤- ٣ التغليف بأوراق البرجامين

استخدمت أوراق البرجامين الشفافة لتقوية الأوراق الضعيفة وباستخدام مواد لاصقة حيث ثبت من التجارب التي أجريت على الأوراق المعالجة باتباع أسلوب التقادم الصناعي، أن الأوراق التي تم تغليفها باستخدام مواد لاصقة أقل ثبات من الأوراق التي تم تغليفها بالضغط والحرارة. ومن ناحية أخرى فقد ثبت أن المواد اللاصقة يتغير لونها بمرور الوقت مؤدية إلى تغير لون الورق المعالج ، فضلاً عن حدوث انفصال بين الأوراق والصحائف المغلفة لها في بعض الأحيان.

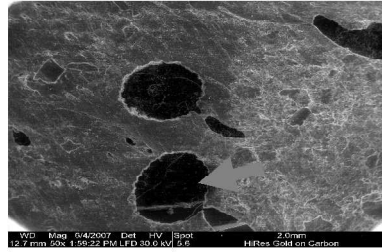


صورة (٦) التلف الناتج من لصق الأوراق على خلفيات كرتونية

المحور الثاني للدراسة: الفحوص والتحليل لبعض المخطوطات

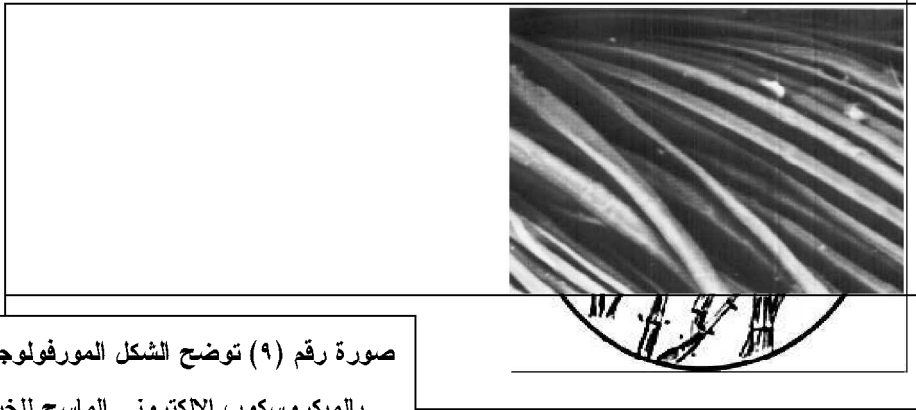
١- الفحص باستخدام المجهر الإلكتروني الماسح والمجهر الضوئي لأغلفة بعض المخطوطات:

تم أخذ عينة من الأغلفة الجلدية والأوراق، التي تعاني من مظاهر تلف شديدة، بغية الوصول إلى حالة هذه المخطوطات من خلال تصويرها بالميكروسكوب الإلكتروني الماسح، والتعرف على نوعية الألياف التي صنعت منها المخطوطات الورقية، حيث تبين لنا من خلال الفحص أنها تعاني من التلف الشديد من خلال تحطم الألياف، وتوزيعها العشوائي، ووجود بعض الإصابات الفطرية والحشرية صورة (٧).



صورة رقم (٧) توضح عملية التآكل الحشري وما نتج عنه من فجوات وثقوب للجلد.

١-١ فحص عينات من الخيوط المستخدمة في خياطة ملازم المخطوطات باستخدام المجهر الضوئي و التحليل بطيف الأشعة تحت الحمراء: صور (٨،٩)
يهدف هذا الفحص للتعرف على نوعية الخيط المستخدم في الخياطة ، ومن خلال عمل شرائح مجهرية لعينات من الخيوط وغليها جيداً ثم وضعها على الشريحة وفحصها أسفل المجهر الضوئي، وبمقارنة شكل الألياف اتضح لنا أن الخيوط التي استخدمت في خياطة ملازم المخطوطات في مكتبة الأمير سلمان من الكتان والحريز كما تظهره الصور التالية.



صورة رقم (٩) توضح الشكل المورفولوجي بالميكروسكوب الإلكتروني الماسح للخيوط المستخدم في خياطة بعض المخطوطات

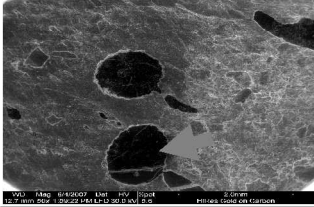
صورة رقم (٨) توضح شكل ألياف الكتان أسفل الميكروسكوب الضوئي

١- ٢ تحليل بعض جلود المخطوطات من مكتبة الأمير سلطان بن سلمان - جامعة الملك سعود

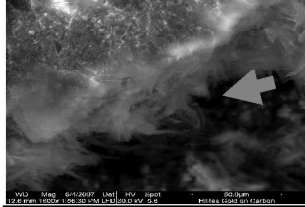
- التحليل باستخدام المجهر الإلكتروني الماسح

ويتضح كما بالصور (١٠-١٥) تلف جلود بعض المخطوطات المحفوظة في مكتبة الأمير سلمان بالتقشر وتآكل طبقات الجلد والتلف الفطري والحشري .

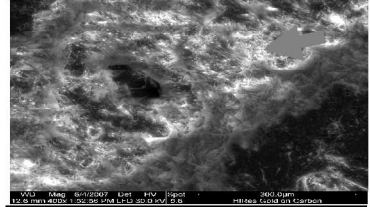
<p>صورة رقم (١٢) توضح تقشر في جزء من الطبقة السطحية (X) لجلدة المخطوط (٢٥)</p>	<p>صورة رقم (١١) توضح المظهر السطحي لعينة من جلدة مخطوط بالمجهر الإلكتروني الماسح (٢٥X)</p>	<p>صورة رقم (١٠) توضح المظهر السطحي لعينة قياسية من جلد الماعز بالمجهر الإلكتروني الماسح تكبير (٣٧)</p>



صورة رقم (١٥) توضح التآكل الحشري وما نتج عنه من فجوات وثقوب للجلد.



صورة رقم (١٤) توضح تآكل طبقة الجلد.



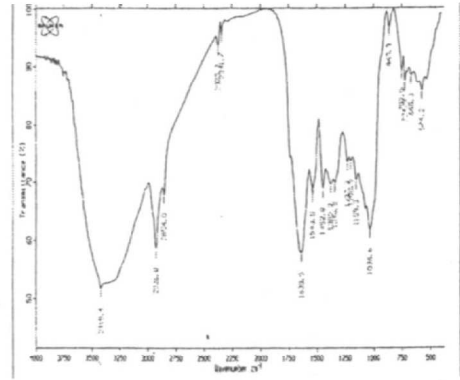
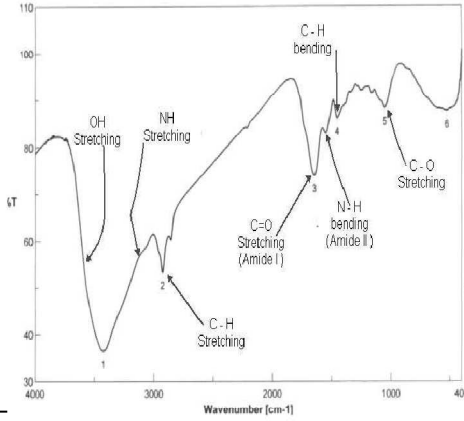
صورة رقم (١٣) تآكل بعض الطبقات التي تم نزعها من الجلد.

١- ٣ التحليل لعينات من جلود المخطوطات باستخدام جهاز طيف الأشعة تحت الحمراء

يعتبر من الطرق التي تعتمد على أسلوب المقارنة بين العينة الأثرية، وعينات أخرى قياسية ومقارنة النتائج بعضها ببعض ومنها يمكن التعرف على المادة المجهولة، ومن خلال حصر للمجموعات الفعالة بالعينات ونسبة تركيزها مثل مجموعة الهيدروكسيل والامينو والكربوكسيل، وتعتبر من طرق التحليل غير المتلفة، نظراً لدقتها العالية وضآلة حجم العينة، حيث يمكن أخذ ٢ مجم من المادة المراد التعرف عليها وتخلط مع ١٩٨ مجم في بروميد البوتاسيوم لتعطي تركيزاً ١%، وتستخدم هذه الطريقة للعينات الصلبة والسائلة، ففي حالة استخدام العينات الصلبة يتم إعداد العينة بخلطها مع بروميد البوتاسيوم، ثم طحنها جيداً ثم كبسها في مكبس خاص لتكون قرص شفاف دائري من العينة "سمك ١-٣ مم" وقطر القرص حوالي اسم، ثم يوضع القرص داخل حامل جهاز التحليل.

١- ٤ التعرف على مادة دباغة الجلد

حيث تم تحليل عينات من اغلفة بعض المخطوطات، وبمقارنته بشارت مادة القرص نظراً لاحتمالية استخدام مادة القرص في الدباغة النباتية قديماً. وبمقارنة النتائج سواء للعينات الأثرية الأثرية والعينة القياسية وجد أن المادة المستخدمة في الدباغة كانت مادة القرص كما توضح الإشكال الآتية (٢، ١) : (عينة ١)



شكل (٢) يوضح نتيجة التحليل بطيف الأشعة تحت الحمراء لعينه من الجلد الأثري .

شكل(١) يوضح نتيجة التحليل بطيف الأشعة تحت الحمراء لجلد مدبوغ بمادة القرص .

شكل رقم (١ و ٢) يوضح التحليل بالأشعة تحت الحمراء للعينة المأخوذة من غلاف جلدى ويتضح أن مادة الدباغة المستخدمة هي قرون شجر السنط "القرص" مقارنة بعينة قياسية.

و من خلال عمل مقارنة مع عينة معلومة المصدر، حيث ثبت بالمقارنة أن مادة القرص هي المادة المستخدمة في دباغة الجلد المستخدم في عمل أغلفة بعض المخطوطات بالمكتبة.

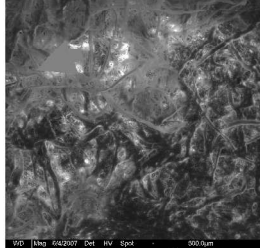
٢- فحص وتحليل نوع ألياف أوراق المخطوطات

١-٢ الفحص باستخدام المجهر الإلكتروني الماسح لعينات ورقية. صور (١٦-٢١)

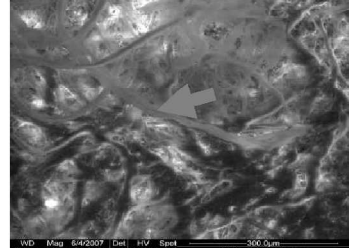
تم أخذ عينات من بعض أوراق المخطوطات من عصور متنوعة من القرن السابع حتى الثالث عشر الهجري، والتي تعاني من مظاهر تلف شديدة، بهدف الوصول إلى حالة هذه المخطوطات من خلال تصويرها بالميكروسكوب الإلكتروني الماسح، أيضا تم التعرف على نوعية الألياف التي صنعت منها المخطوطات الورقية الأثرية، حيث تبين لنا من خلال الفحص أنها تعاني من التلف الشديد من خلال تحطم الألياف، وتوزيعها العشوائي، ووجود بعض الإصابات الفطرية، ويظهر ذلك من خلال نموات الجراثيم الفطرية، ويتضح ذلك من الصور التالية:



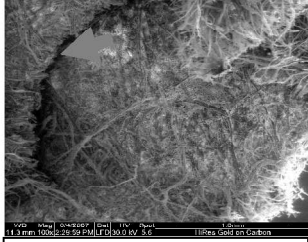
صورة رقم (١٨) توضح تلف الورق ومدى التغيرات اللونية التي حدثت له.



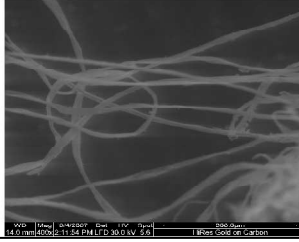
صورة رقم (١٧) توضح مدى تهتك ألياف المخطوط الأثري.



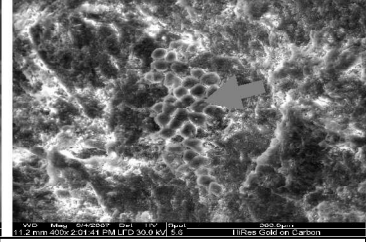
صورة رقم (١٦) توضح شكل ألياف أحد المخطوطات الأثرية صنع من لب الخرق.



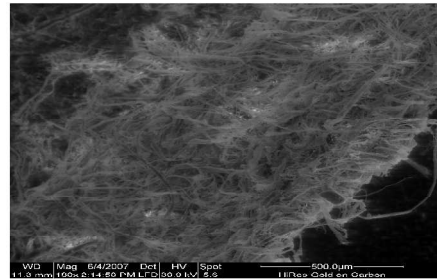
صورة رقم (٢١) توضح التآكل الفطري للألياف الورقية.



صورة رقم (٢٠) توضح ألياف القطن المستخدمة في صناعة ورق مخطوط.



صورة رقم (١٩) توضح بعض من البويضات الصغيرة للحشرات



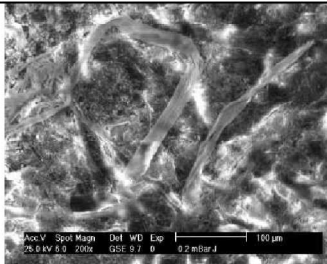
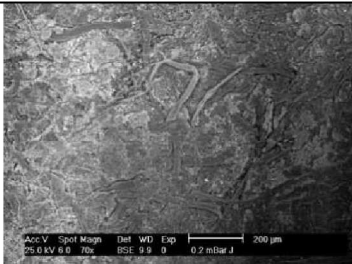
صورة رقم (٢٢) توضح مدى تآكل ألياف المخطوط.

٢-٢ التحليل باستخدام وحدة قياس تشتت الأشعة السينية الملحقه بجهاز الميكروسكوب الإلكتروني الماسح

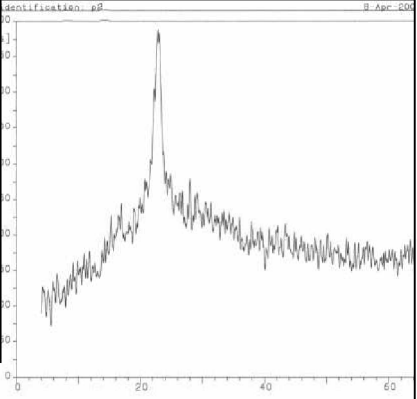
وقد تم استخدامها في تحليل عينات من الورق الأثري ، واتضح منها نسب المكونات الأساسية لورق المخطوطات وكانت النسب كالتالي: صور(٢٤،٢٣) وشكل (٣)

وجداول (١)

الكربون Carbon بنسبة ٤٧,٦%
الأوكسجين Oxygen بنسبة ٤٢,٥%
الكالسيوم Calcium بنسبة ٥,٧%
السليكون Silicon بنسبة ٠,٧٩% ، والألومنيوم ٠,٤٢% ، والصوديوم ٠,٥٦% ،
والكلور ٠,٧١% ، والكبريت ٠,٤٢% .

	
<p>صورة رقم (٢٤) وهي مكبرة من الصورة السابقة ويتضح منها أن الورق مصنع من ألياف القطن (٢٠٠x))</p>	<p>صورة رقم (٢٣) توضح شكل الألياف غير المنتظم لعينة الورق الأثري (٧٠x).</p>

Compounds	Rel.int [%]	d-value	
Cellulose	١٠٠	٣,٩٢٢٥	٢٢,٦٥٠
K AlSi ₃ O ₈ - Orthoclase	٣٢,٩	٣,١٨٦٢	٢٧,٩٨
CaO.SiO ₂ Truscotite	١٢,٧	٥,٣٠٩٠	١٦,٦٨٥
Calcite(CaCO ₃ (١٢,٢	٣,٠٦٧٦	٢٩,٠٨٥

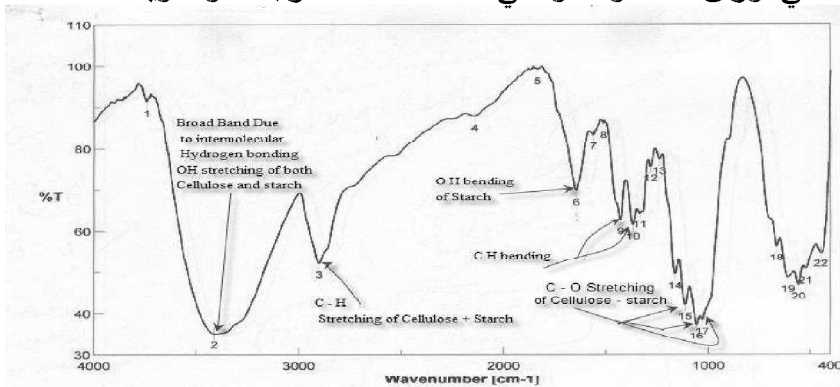


جدول رقم (١) يوضح نتائج التحليل بحيود الأشعة السينية لعينة الورق الأثري.	شكل رقم (٣) يوضح نمط حيود الأشعة السينية لعينة من الورق الأثري.
--	---

٢- ٤ الكشوف الكيميائية عن الإضافات التي استخدمت في صناعة أوراق المخطوطات المحفوظة في مكتبة الأمير سلمان

شكل (٤) - الكشف عن النشا - Starch

تم تحضير الكاشف بخلاط ٣% يوديد بوتاسيوم ٣ جم، بحيث يذاب في ١٠٠ مللي ماء مقطر، مع وضع قليل من اليود حوالي ٠,٣ جم. بعد تجهيز الكاشف تم وضع قطرة منه على عينات من أوراق بعض المخطوطات ، وقد ظهر لونها أزرق وهذا دليل على وجود النشا في أوراق المخطوط. و التي استخدمت كمادة رابطة أو مقوية.



شكل (٤) يوضح التحليل بالأشعة تحت الحمراء لعينة ورق من المخطوط الأثري، ويتضح من التحليل وجود مادة النشا والتي تظهر من الأطوال الموجية الموضحة.

النتائج: استخدمت مادة النشا كمادة رابطة بين ألياف الورق أثناء الصناعة أو كمادة تدعيم بعد الصناعة.

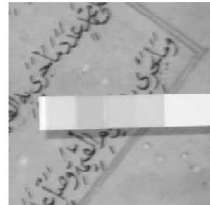
- **الكشف عن القفونية:** ويتم بوضع نقطة من الأثير على الورق. تم ملاحظة تكون حلقة ، وهذا يدل على وجود قفونية في أوراق المخطوط ، وهذا مؤشر على مدى أهمية استخدام القفونية على سطح أوراق المخطوطات ، بهدف منع سيلان الأحبار على الورق ، وبالتالي عدم تشرب الأوراق للأحبار، حيث أنها تقوم بسد مسام الورق.

- **الكشف عن اللجنين:** باستخدام ١٠ جم من سلفات الأثلين تذاب في ٥٠ سم^٣ من الماء المقطر مع إضافة نقطة من حمض الكبريتيك. لم يظهر أي تغير في الورقة وهذا يدل على عدم وجود لجنين.

دراسة حموضة اوراق بعض المخطوطات صورة رقم (٢٥)

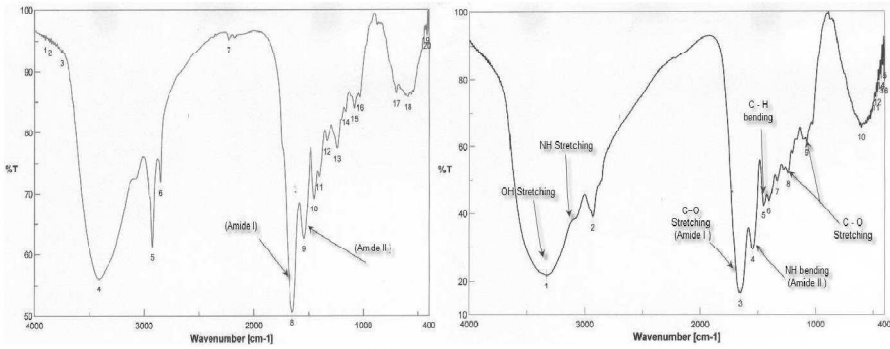
تم قياس درجة الحموضة لأوراق بعض المخطوطات وذلك للوقوف على حالة التدهور لأوراق المخطوطات، وذلك من خلال استخدام أوراق ملونة، وتم وضع نقطة من الماء المقطر على جزء من الورق ثم تم وضع ورق عليها فيظهر ألوان مختلفة وبمقارنة تلك الألوان بالألوان القياسية الموجودة لدينا، وجد أن متوسط القراءات

التي تم أخذها من مناطق مختلفة من جميع أجزاء المخطوط كانت في حدود ، وهذا مؤشر على أن الأوراق تميل إلى الوسط المتعادل.



صورة رقم (٢٥) توضح قياس درجة الحموضة

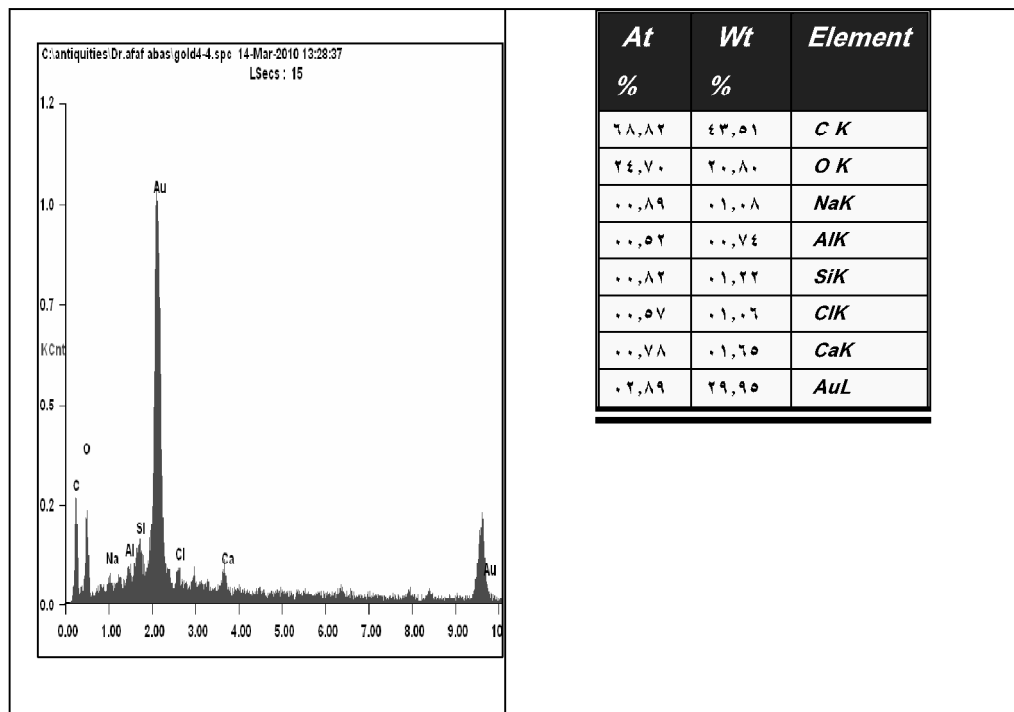
٢-٥ دراسة احبار بعض المخطوطات : يبيل جزء من الكتابة في مكان غير واضح بمحلول مخفف من حمض الخليك ١%، يترك لمدة ٥ ثوان، ثم يتشرب ناتج اللبل بورق نشاف ويضاف إليه نقطة من فيرو سيانيد البوتاسيوم ١%. لم يعطي لوناً أزرقاً وهذا دليل على أن هذا الحبر حبر كربوني
- التعرف على الوسيط اللوني، الذي استخدم مع الأحبار. شكل رقم (٥)



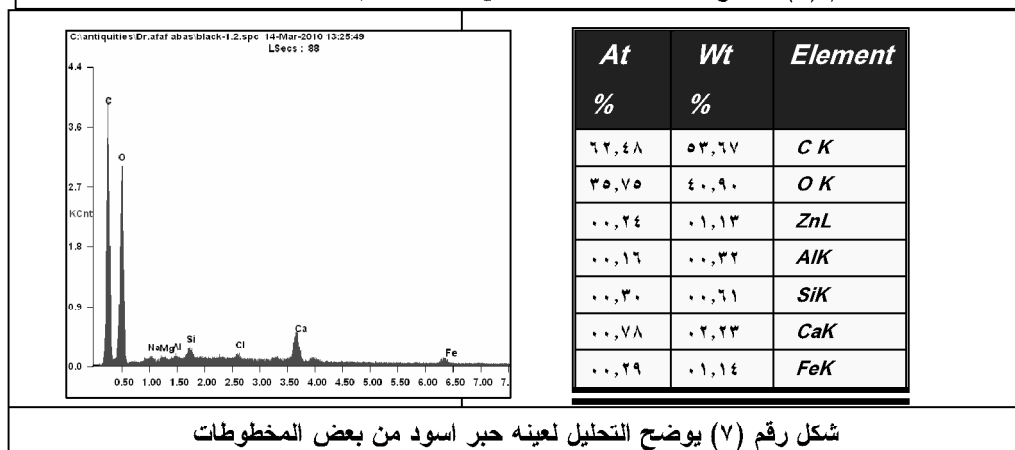
شكل رقم (٥) يوضح التحليل بالأشعة تحت الحمراء للوسيط اللوني ويتضح أنه الغراء الحيواني المستخدم مع الأحبار الكربونية

النتائج الوسيط المستخدم مع الأحبار هو الغراء الحيواني

اللون الذهبي: شكل رقم (٦): نسبة عنصر الكربون (%68.82 C) أعلى نسبة في مكونا العينة ويلبها نسبة (%24.70 O) ثم يأتي بعض النسب الصغيرة من الصوديوم (Na) و الالومنيوم (Al) والسيليكا (Si) والكلور (Cl) نسبة ٠.٥٧% ثم نسبة من عنصر النحاس و عنصر الذهب (Au) بنسبة ٢,٨٩%



شكل رقم (٦) يوضح التحليل لعينه لون ذهبي من بعض الإطارات المذهبة



شكل رقم (٧) يوضح التحليل لعينه حبر اسود من بعض المخطوطات

اللون الأسود : شكل رقم (٧) نسبة عنصر الكربون (C) 53.67% أعلى نسبة في
مكونا العينة ويليه نسبة (O) 40.90% ثم يأتي بعض النسب الصغيرة من

الزنك (Zn) و الومنيوم (Al) والسيليكا (Si) والكالسيوم (Ca) نسبة ٢,٢٣% ثم نسبة من عنصر الحديد (Fe) بنسبة ١,١٤%

- وأوضحت نتائج التحليل استخدام الحبر الحديدي في كتابة بعض المخطوطات كالتالي

- أوضح التحليل بحيود الأشعة السينية للأحبار، أن الحبر المستخدم مع بعض المخطوطات هو الحبر الحديدي.

- وإن الكتابات التي في حالة جيدة تحتوى على الكربون، بينما التي تعاني من تلف حاد تتكون فقط من كبريتات الحديد iron-sulfate

الاستنتاجات:

استخدم الكربون (C) فيعمل اللون الأسود وبالتأليف الحبر المستخدم هو الحبر الكربوني واتضح ذلك أيضا منخل الاختبار حساسية الحبر للماء ونتائج الفحص الميكروسكوبي والتحليل، كما استخدم الحبر الحديدي (المعدني) مع بعض المخطوطات ويظهر بلون مائل للبنى .

المحور الثالث : الدراسة البيولوجية :

وتشتمل الدراسة على التعرف على الإصابات الفطرية للمخطوطات بمكتبة الأمير سلمان وتحديد أنواع الفطريات التي تصيب المخطوطات حتى نستمكن من مقاومتها مستقبلاً، كما اشتملت الدراسة التعرف على أنواع الحشرات التي تم عزلها من بعض المخطوطات بالمكتبة. الإصابة الفطرية:

تأخذ الإصابة الفطرية فترة من الوقت حتى تصبح مرئية للعين المجردة إلا أن رائحة العفن التي تصيب المخطوطات هي إشارة لبدأ الإصابة . وتتطور الإصابة الفطرية عند توافر الظروف البيئية المناسبة حيث توجد الجراثيم في الهواء الجوى ثم تنمو عند توافر درجة الحرارة والرطوبة المناسبة لتبدأ الجراثيم في الإنبات لتكون الأطوار التالية:

الكونيدا :- و تكون صغيرة لا ترى بالعين المجردة دائرية أو بيضاوية الشكل يتراوح قطرها بين ٥-٢٠ ميكرون وتحتوى على خلية واحدة تنمو لتنتج أنبوية جرثومية تتفرع إلى خيوط متشعبة تسمى الهيفا. و هي الطور الخضري (Dhamo K.Butani 1998 , p.157) الذي يخزن الإنزيمات الهاضمة و يمتص المادة الغذائية من المصدر الغذائى لها

الميسيليوم: وهو الطور الزهري للفطر وينشأ عند تطور الهيفا وتفرغها ونموها حتى تكون كتلة دائرية هي الميسيليوم ويكون هذا النمو سريعا في الظروف الملائمة وبطيئا في الظروف غير الملائمة يتوقف النمو (J.Heritage ,et.al (1996, p.8)

التأثير المتلف للفطريات على المخطوطات:

تتسبب الفطريات في تبقع ورق المخطوطات ببقع ملونة نتيجة ما تفرزه من إفرازات وفضلات وكذلك نتيجة تغلغل النوات الفطرية الملونة داخل ألياف الورق. - ظاهرة الـ Foxing وتنتج عن الفطريات المحبة للحديد وهي عبارة عن بقع بنية اللون تتسبب في تلف ورق المخطوطات حيث تشوه السطح والبقع الخاصة بالـ Foxing تكون غير موزعة بشكل منتظم وغير دائرية وليس لها مركز لانتشارها (Mary-lou E.Florian & Lesley Manning 1999, P. 137). وقد وجد ظهور هذه الظاهرة بشكل كبير في الورق المصنع من لب الخرق (Mary - lou E.Florian 1996, p. 65) وهو الورق الذي استخدم في صناعة المخطوطات لفترة طويلة. وتنتج هذه البقع نتيجة إستعمال الفطريات لأثار العناصر المعدنية الموجودة في الورق و ما عليه من أحبار و ألوان في عمليات التمثيل الغذائى حيث تحول أيونات المعادن (خاصة الحديد) اللالونية إلى بقع لونية مرئية وذلك من خلال أكسدة أكسيد الحديدوز الغير ملون إلى أملاح الحديديك البنية. (Soyeon Choi 2007 , pp.137-139).

- الفطريات تعمل على إضعاف الورق نتيجة الإفرازات الحمضية التي تزيد من حموضة الورق (N.L. Rebrikora & N.V. Manturo Vskaya) . (2000, p. 85)

- كما تعمل الفطريات على تحلل السليلوز حيث تفرز أنزيمات هاضمة للسليلوز مما يغير من تركيب الورق و يجعل السليلوز أقل تبلمرا حيث أنه يستهلك السليلوز أثناء عملية التمثيل الغذائي حيث تستخدمه كمصدر كربوني لتغذيتها،(Hanna Szczepanowska and R. Cavaliere 2000)

الفحص الميكروبي ولوجي للمخطوطات المحفوظة بمكتبة الأمير سلمان - جامعة الملكسعود:

يهدف هذا الفحص إلى تحديد أهم الفطريات التي تصيب المخطوطات الورقية بمكتبة الأمير سلمان، والوقوف على مدى تأثير الإصابات الفطرية على خواص الورق الميكانيكية والضوئية.

يهدف تحديد أهم الوسائل والمواد التي يمكن استخدامها في مقاومة تلك الفطريات مستقبلاً. حيث تم أخذ العزل اتمن مخطوطات متنوعة، ومن كعوب وأغلفة بعض المخطوطات، ومن الغلاف الخارجي والأوراق، وتم العزل باستخدام مسحات من القطن المعقم، والمندى قليلاً بماء معقم والملفوف على سيقا خشبية، ويتم وضع المسحا تبعد العزل مباشرة في أن ابيبمعقمة بعد تعريض فواتها للهب أولاً لضمان التعقيم الكامل لها، وتم نقل مثل هذه العزلات إلى معمل الميكروبي ولوجي - كلية العلوم - جامعة الملكسعود، وتم إجراء العمل كالتالي:

(١) **زراعة المسحات Swab culture:** تم تحضير البيئات الغذائية المناسبة

لأماكن أخذ المسحات وهي:

أ- بيئة البروتين أجار **Protein agar medium:** وتحتوي على المكونات الآتية بالجرام /لتر: نترات صوديوم ٢، فوسفات بوتاسيوم ثنائي الهيدروجين

١، كلوريد بوتاسيوم ٠,٥، كبريتات ماغنسيوم ٠,٥، جيلاتين ١٠، أجار ٢٠، ماء صنوبر ١٠٠٠ مل. يتم إذابة الأملاح في الماء، ويعقم الوسط في جهاز الأوتوكلاف عند درجة حرارة ١٢١ م ٥ لمدة ١٥ دقيقة.

ب- بيئة السليولوز أجار Cellulose agar:

وتحتوي على نفس مكونات البيئة السابقة مع استبدال مادة الكولاجين "الجيلاتين" بالسليولوز ١٠ جرام/لتر، ثم يتم زراعة المسحات المأخوذة على هذه البيئات وتحضينها عند درجة حرارة ٣٠ م ٥ لمدة تتراوح ما بين ٣-٢١ يوم^(٦).

(٢) العزل والتنقية:

بعد انتهاء فترة التحضين تم أخذ النماوات التي ظهرت في الأطباق وأجريت عملية تنقية لها للحصول على الكائنات الحية في صورة نقية يمكن معها استكمال التجارب المعملية.

(٣) التعريف: صور (٣٠:٢٦)

تم تعريف الكائنات التي تم تنقيتها حيث تم زراعتها على بيئات غذائية خاصة بالتعريف، وعمل شرائح ميكروسكوبية منها لمعرفة الصفات المورفولوجية، ومقارنتها بالصفات المورفولوجية القياسية الموجودة بالكتب والمراجع العلمية المختصة بتعريف الكائنات الحية الدقيقة، (Domscheta, (1980) and Gilman (1959))، (معمل الميكروبيولوجي - كلية العلوم - جامعة الملك سعود). وكانت النتائج كما في الجدول رقم (٢) (Domsch K H 1980):

(٦) تم تحضير هذه البيئات في معمل الميكروبيولوجي - كلية العلوم - جامعة الملك سعود.



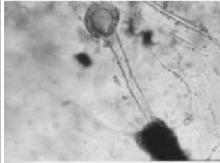

جدول رقم (٢) بيان بأسماء الفطريات المعزولة من بعض المخطوطات
القديمة حسب مكررات كل عزلة

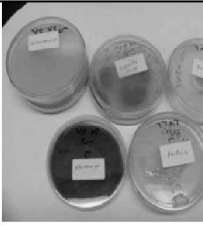
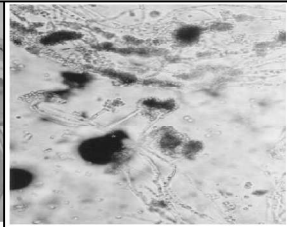
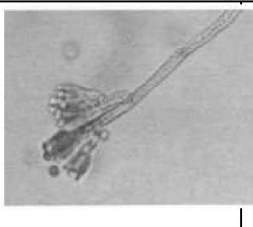
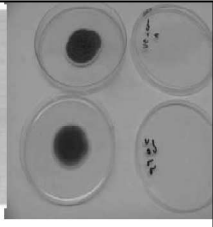
المصدر	رقم المخطوط	مقبرة ١	مقبرة ٢	مقبرة ٣
مخطوطات من مكتبة الأمير سلمان جامعة الملك سعود	٦٦٥٢	<i>Saccharomyces</i> <i>sp</i>	<i>Penicillium</i> sp	---
	٦٦٦٤	<i>Saccharomyces</i> <i>sp</i>	---	---
	٦٦٨٦	<i>Saccharomyces</i> <i>sp</i>	Bacteria	Bacteria
	٦٦٨٨	<i>Alterinaria</i> sp, <i>Saccharomyces</i> <i>SP</i>	<i>Penicillium</i> sp	<i>Saccharomyces</i> sp
	٦٧٣٧	<i>Penicillium</i> sp	<i>Saccharomyces</i> <i>sp</i>	---
	٦٧٣٩	<i>Penicillium</i> sp	<i>Penicillium</i> sp	<i>Penicillium</i> sp
	٦٧٤٥	<i>Penicillium</i> sp	<i>Penicillium</i> sp	<i>Penicillium</i> sp
	٦٨٠٨	<i>Saccharomyces</i> <i>sp</i>	<i>Penicillium</i> sp	
	٧٢٥٢	<i>Saccharomyces</i> <i>sp</i>	<i>Saccharomyces</i> <i>sp</i>	<i>Helmenthosporium</i> <i>sp</i>
	٧٢٥٥	<i>Saccharomyces</i> <i>sp</i>	<i>Saccharomyces</i> <i>sp</i>	Bacteria
	٧٢٦١	<i>Saccharomyces</i> <i>sp</i>	Bacteria	---
	٧٢٧٢	<i>Saccharomyces</i> <i>sp</i>	---	<i>Saccharomyces</i> sp
	٧٢٧٤	<i>Penicillium</i> sp	---	---

المصدر	رقم المخطوط	مقبرة ١	مقبرة ٢	مقبرة ٣
	٧٢٧٨		---	<i>Saccharomyces sp</i>
	٧٢٨٠	<i>Aspergillusflavus</i>	<i>Aspergillusflavus calemorus</i>	---


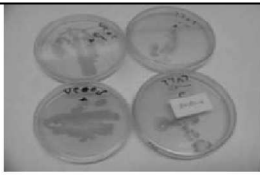
أسماء الفطريات المعزولة والمعرفة		
عدد العزلات	اسم الفطر	مسلسل
١٦	<u>Penicillium Chrysogenum</u>	١
١٠	<u>Penicillium Citrinum</u>	٢
١٣	<i>Aspergillusflavus</i>	٣
٢٧	<i>Saccharomyces sp</i>	٤
٢	<i>Alterinaria sp</i>	٥
١	<i>Helmenthospodium sp</i>	٦
٢	<i>Aspergilluspp</i>	٧
٩	Bacteria	٨

وتوضح الصور من ٢٦-٣٣ التالية أشكال بعض الفطريات النامية على المخطوطات المحفوظة بمكتبة الأمير سلمان - جامعة الملك سعود

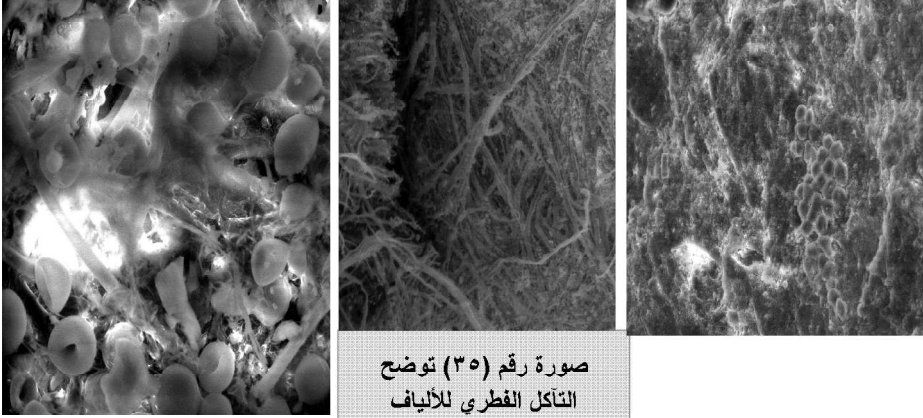
			
صورة (٢٧) توضح فطر <u>Alternaria Alternata</u>		صورة (٢٦) توضح فطر <u>Asp. Flavus</u>	

			
صورة (٣١) شكل الفطريات بعد تنقيتها وقبل تصويرها	صورة (٣٠) توضح فطر <u>Penicillium Citrinum</u>	صورة (٢٩) توضح فطر <u>Penicillium</u> <u>Chrysogenum</u>	صورة (٢٨) <u>Penicillium</u>

ب - الفحص باستخدام الميكروسكوب الاليكتروني الماسح :

	
صورة (٣٣) <u>Saccharomyces sp</u>	صورة (٣٢) <u>Bacteria</u>

تم أخذ عينة من الأغلفة الجلدية والأوراق، التي تعاني من مظاهر تلف فطري شديد، بهدف الوصول إلى حالة هذه المخطوطات من خلال تصويرها بالمجهر الاليكتروني الماسح، وتبين لنا من خلال الفحص أنها تعاني من التلف الشديد من خلال تحطم الألياف، وتوزيعها العشوائي، ووجود بعض الإصابات الفطرية، ويتضح ذلك من الصور التالية:



صورة رقم (٣٥) توضح
التآكل الفطري للألياف
الورقية.

دراسة الحشرات التي تصيب المخطوطات المحفوظة بمكتبة الأمير سلمان - جامعة الملك سعود

تعد الحشرات والقوارض من أخطر العوامل المؤدية إلى تلف المخطوطات والكتب والوثائق والمعروضات المتحفية خاصة المواد العضوية كالخشب والجلود والورق والأقمشة وقد يكون ذلك بشكل مباشر بقرض الأوراق وفقد مساحات منها أو أحداث ثقوب مثل النمل الأبيض والسمك الفضي والصراصير وكذلك قمل الكتب ويمكن أن يكون التلف الناتج عن الإصابة الحشرية غير مباشر وذلك بتواجد بقع لونية من الفضلات الناتجة عنها وقد تنقل بعض الحشرات فطريات ضارة لجسم المخطوط، كما تفرز بعض الحشرات أفرزات ذات درجة حموضة مختلفة مما يؤثر على حموضة أوراق المخطوطات.

أهم الحشرات التي تصيب المخطوطات بمكتبة الأمير سلمان بن عبد العزيز ،
جامعة الملك سعود :تم تعريف الحشرات بكلية العلوم ، جامعة الملك سعود
صورة(٣٧):Termite: النمل الأبيض

وهو حشرة صغيرة يتراوح لونها بين اللون الأبيض و الأصفر و تعيش حشرة النمل الأبيض في مستعمرات و هناك حوالي ٢٦٠٠ نوع و النمل الأبيض يتغذى



صورة (٣٧) حشرة النمل
لأبيض

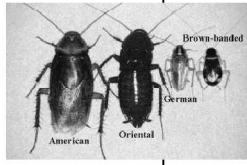
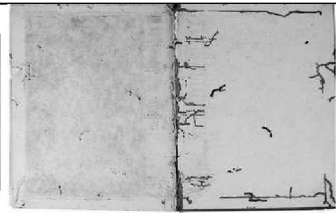
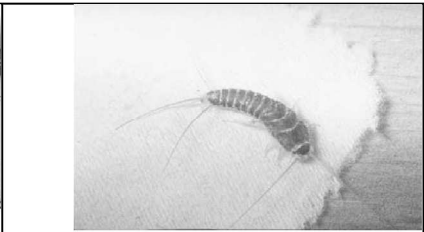
على الكربون الموجود في
Michel S, et.al 2009 ,p
p.1-3 (

• السمك الفضي : Silver Fish

صور(٣٨،٣٩)

و هي حشرات أسطوانية بدون أجنحة
على أجسامها حراشيف طولها حوالي

٢/١ بوصة و ترجع التسمية إلى شكل جسمها المسحوب و لونها الرمادي الفضي و حركتها الملتوية التي تشبه السمك. و تتواجد هذه الحشرة بين الأوراق أو بجوار الحوائط حيث أنها لا تستطيع البقاء في الضوء. و تضع بيضها في الأجواء الدافئة و في الشقوق و البرقة لها نفس شكل الحشرة اليافعة و لكنها أفتح لونا و أقل حجما ثم يتحول لونها إلى الرمادي بعد ثلاثة شهور ثم تصبح حشرة كاملة بعد عدة أنسلاخات و دورة حياتها تصل إلى ٤ سنوات. وتتغذى على الورق والكرتون و النشا و الجيلاتين وذات مظهر إصابة غير منتظم الشكل و الحدود وهناك خمسة أنواع من السمك الفضي هي Lepidotrichidae , Nicoletiidae , Ateluridae , Lepismatidae , Maindroniidae (Alexandr P. & Donald L 2002 , (p. 74

		
<p>صورة (٤٠) أهم أنواع الصراصير</p>	<p>صورة (٣٩) توضيح التلف الناتج عن السمك الفضي</p>	<p>صورة (٣٨) حشرة السمك الفضى</p>

• الصراصير : cockroaches صورة (٤٠)

وهي ذات شكل بيضاوي وخفيفة وسريعة الحركة (William J. et.al 2007, pp.1-2) لأنها تتميز بستة سيقان رفيعة و قرون أستشعار خيطية طويلة ، تختبئ في أماكن تتميز بالضوء الخافت و الدفء و الرطوبة (L . Patricia Kite 2001 , pp. 11-13) و تكون اليرقة بيضاء ثم تتحول إلى البني أو الأسود (Martha E. H. Rustad 2003 , p. 11) الذي يشبه لون الحشرة البالغة و لكنها تكون أصغر و بدون أجنحة حتى تبلغ حيث تتمتع الصراصير الكبيرة الحجم البالغة بقدرتها على الطيران. ودورة حياة الصراصير من ٥ شهور إلى عدة سنوات ، و هناك أكثر من ٣٥٠٠ نوع من الصراصير ، و تتغذى الصراصير على الورق والخشب والقماش و الملابس و اللوحات (Deirdre A. Prischmann 2006 , p. 13).

صورة (٤١) Book Lice : قمل الكتب

وهي حشرات صغيرة فاتحة اللون يتراوح لونها من الرمادي الفاتح إلى الأبيض المصفر ذات فم قارض و لا يزيد طولها في الأطوار البالغة عن ١/١٢ من البوصة و تفضل العيش في الأماكن المظلمة و الرطبة و الدافئة.

وتضع الأنثى البيض ليفقس عن حوريات تتسلخ عدة أنسلاخات حتى تصل إلى الطور البالغ و الحورية تشبه الحشرة البالغ إلى أنها أصغر حجما و بدون أجنحة في حالة الأنواع المجنحة ولها نفس التأثير المتلف على المخطوطات (Jay B Karren, Alan H. , Roe 2000 ،

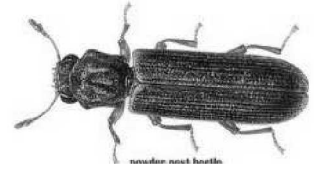
2-1pp). حيث تتغذى على الفطريات و الورق و النشا المستخدم في الخرائط سواء للصق أو التغطية السطحية للورق مسببة ثقوب صغيرة بسطح الورق (P.G.Koehler , et.al 2009, p.1) .

• خنافس Powder post : صورة (٤٢)

و هي حشرات طولها يتراوح بين ٢-٥ مم و لونها بين الأسود والأحمر الغامق وهذه الخنافس تهاجم المواد العضوية و تتغذى عليها و تعتبر اليرقة هي الطور المتلف للمخطوطات حيث تحدث أنفاق ضيقة داخل الورق مما يحدث ثقوب (Michael F. Potter : 2010 , p.1) .



صورة (٤١) حشرة
قمل الكتب

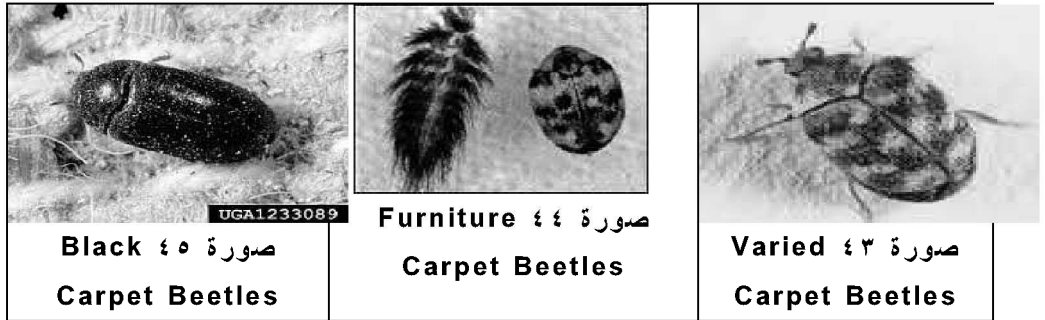


صورة (٤٢)
توضح خنافس
ال Powder Post

• خنفساء السجاد Carpet beetle : صور (٤٥:٤٣)

تنتمي خنفساء السجاد إلى رتبة مغمدمات الأجنحة و هناك ثلاثة أنواع من خنفساء السجاد و أطوالها جميعا لا تزيد عن ١٢مم (Robin Stewart, 2002, p. 89)

- ١- **Varied Carpet Beetles** يبلغ طولها ١/١٠ بوصة و هي سوداء اللون يغطي ظهرها مساحات غير منتظمة من اللون الأبيض أو البني و كلما كبرت في العمر تختفي هذه الألوان وتتحول إلى البني أو الأسود
- ٢- **Furniture Carpet Beetles** هي أكبر في الحجم من **Varied Carpet Beetles** و أكثر استدارة وذات بقع بنية أو سوداء على الظهر و تكون بيضاء من الجهة السفلية وبتقدمها في العمر تتحول إلى الأحمر الداكن ثم إلى البني ثم إلى الأسود .
- ٣- **Black Carpet Beetles** يبلغ طولها ١/٨ يتراوح لونها بين البني الفاتح والأسود اللامع . و خنفساء السجاد تتغذى على المواد العضوية مثل الجلود و القماش و الخرق و الورق و الألياف(Pat O'connor-marner2006, (pp.138-140).



نتائج البحث :

- ١- تعرض مجموعات كبيرة من مخطوطات المملكة العربية السعودية لأشكال مختلفة من التلف بسبب طبيعة تركيبها العضوي، وعوامل حفظها وتداولها بطريقة غير مناسبة.
- ٢- لهذا يجب الاحتفاظ بنبات درجة الحرارة قدر الإمكان ، فيفضل على سبيل المثال إبعاد الكتب عن الجدران الخارجية للسماح بدورة الهواء والاحتفاظ بها في درجة حرارة ثابتة.

٣- تستخدم نوعيات متعددة من الإضافات الطبيعية المختلفة لتحسين خواص الورق أثناء تصنيعه مثل مواد التغيرية والنشا والشبة والكازين وإضافة مواد التبييض أو الصقل لتحسين الخواص البصرية.

٤- يُتلف الورق بفعل أجناس وأنواع عديدة من الكائنات الحية الدقيقة تبعاً للتركيب الكيميائي ودرجة الحموضة أو القلوية ودرجة الرطوبة النسبية والحرارة وكمية ونوعية الإضاءة. و الفطريات تتسبب في تبقع الورق ببقع تختلف في لونها باختلاف الفطر المسبب لها كما أن مظهر التلف يختلف هو الآخر تبعاً لذلك

٥- للإنسان كذلك دوره في إتلاف المخطوطات، وذلك بالاستخدام الخاطئ لها أو تصويرها وترميمها وتخزينها في أماكن غير مناسبة وصالحة

٦- الاستخدام العشوائي لكل من الجيلاتين ، أشرطة السلوتيب ، النشا و الإضافات الضارة مثل الشبة والغراء من أسباب تلف المخطوطات السعودية

٧- تبين لنا من خلال الفحص أن المخطوطات السعودية تعاني من التلف الشديد من خلال تحطم الألياف، وتوزيعها العشوائي، ووجود بعض الإصابات الفطرية، ويظهر ذلك من خلال نموات الجراثيم الفطرية.

٨- الخيوط التي استخدمت في خياطة ملازم المخطوطات في مكتبة الأمير سلمان من الكتان والحريير.

٩- وجد أن جلود بعض المخطوطات التي تم فحصها من جلد الماعز و المادة المستخدمة في الدباغة مادة القرص

١٠- أوراق بعض المخطوطات التي تم فحصها كانت من ألياف القطن والخرق .

١١- استخدمت مادة النشا كمادة رابطة بين ألياف الورق أثناء الصناعة أو كمادة تدعيم بعد الصناعة.

١٢- الأحبار المستخدمة على بعض المخطوطات بعضها كان من الحبر الكربوني والبعض الآخر من الحبر الحديدي والوسيط المستخدم مع الحبر الغراء الحيواني

١٣- تم تعريف الفطريات التي تصيب المخطوطات بمكتبة الأمير سلمان (أنظر جدول ((٢)).

١٤- تم التعرف على الحشرات التي تصيب المخطوطات بمكتبة الأمير سلمان كالتالي ، النمل الأبيض ، السمك الفضي ، الصراصير ، قمل الكتب ، بعض أنواع من الخنافس، خنفساء السجاد.

أولاً: المراجع العربية :

١- بهاء الدين محمد حسنين ١٩٨٧م: " تجارب معملية عن التلف البيولوجي لورق مخطوط ربة الشريفة من العصر العثماني - من مدينة رشيد ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة.

٢- حمدي عبد المنعم ٢٠٠٤م : دراسة في علاج وصيانة المخطوطات الورقية المصورة ذات الأغلفة الجلدية الملونة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة.

٣- يحيى عثمان محمود ٢٠٠٤م: "دراسة تأثير التلف الميكروبي ولوجي على مكونات المخطوط الأثري وطرق علاجه"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون الجميلة، جامعة المنيا.
ثانياً : المراجع الأجنبية:

1- A.Baranski, D. Dutka, R. Dziembaj, A. Konieczna, Et.A2004l: "Effect of Relative Humidity on the Degradation Rate Of Cellulose." Mythology Studies. Restaurateur Vol. 25 No.1.

2- Alexandr P.Rasnitsyn & Donald L.J.Quicke 2002: History of Insects , Kluwer Academic Publishers , New York.

3- Altaf H. Basta 20003: "The Role Of Chits An In Improving The Aging Resistance Of Rosin Sized Paper." Restaurateur Vol. 24, No.2.

4- Antje Potthast, Ute Henniges, Gerhard Banik: 20008: "Iron Gall Ink-Induced Corrosion of Cellulose: Aging, Degradation and Stabilization. Part I: Model Paper Studies." Springer Science +Business Media B.V..

5- Begin.P., S. Deschatelets, D. Grattan, N. Gurnaguls J. Iraci, E., Kaminska, D. woods X. Zou 1999: "The Effect Of Air Pollutants On Paper Stability", Restaurtor, vol.20, no.1.

- 6- Bertini M.B 2005: "La Conservazione Dei Beni Archivistici E Library, Roma, CAROCCI.
- 7- Dhamo K.Butani 1998: Dictionary of Biology , Academic (India) Publishers , New Delhi .
- 8- Deirdre A. Prischmann 2006 : Cockroaches , Capstone Press , U.S.A.
- 9- Domsch K H., Games, W, and Anderson T.H. 1980: Compendium of Soil Fungi, academic press, London, Vols. 1-2.
- 10- E.Rousset, S.Ipert, & H.Chér Adame 204: " Mass Deacidification Of Paper And Books, 11: Deacidification In The Liquid Phase Using Aminosilanes." Restaurateur Vol. 25, No.2.
- 11 - Gilman L. 1969: A manual for Soil Fungi, Indian edition, arrangement with the original American Publishers Iowa State Uni, press U.S.A.
- 12- Hanna, S. Charlos M. Lovcett1992 : "A Study Of The Removal And Prevention Of Fungal Stains On Paper," JAIC, Vol.31, No.2, Article 1.
- 13- Hanna Szczepanowska and R. Cavaliere 2000 : Fungal Deterioration of Eighteenth- and Nineteenth-Century Documents: A Case Study of the Tilghman Family Collection, Wye House, Easton, Maryland , The Book and Paper Group ANNUL , The American Institute for Conservation , Vol.19 .
- 14- H .Arai, N Matsui, N Matsumura, H Murakita, J S Mills, P Smith, K Yamasaki 1988 : Biochemical investigations on the formation mechanisms of foxing , Earth Sciences.
- 15 - Jay B Karren, Alan H. Roe 2000 : Booklice , cooperative extension , Utah State University.
- 16 - J.Heritage, E.G.V.Evans & R.A.Killington 1968 : Introductory Microbiology , Cambridge University Press .
- 17- Lee.S.B., J. Bogaurd, R.L.Feller1989 : "Darkening Of Paper Following Exposure To Visible And Near Ultraviolet Radiation." JAIC, vol.28, no.1, article 1.
- 18-L. Patricia Kite 2001: Cockroaches ,Lernar Publications Company , U.S.A.

- 19- Magaudda.G., M. Adamo, F. Rocchetti 2001 : "Damage Caused By Destructive Insects To Cellulose Previous, Subjected To Gamma .Ray Irradiation And Artificial Aging, "Restaurator, vol.22, no.4.
- 20-Mary – lou E.Florian 1996 : the role of the conidia of fungi in fox spots, studies in conservation, vol. 41.
- 21-Mary-lou E.Florian & Lesley Manning 1999 : the ecology of fungal fox spots in a book published in 1854, restaurator, vol. 20.
- 22- Martha E. H. Rustad 2003 : Cockroaches ,Capstone Press , U.S.A .
- 23- Michael F. Potter 2010 : Powderpost Beetles, Cooperative Extension Service , College of Agriculture , University of Kentucky.
- 24- Michel S. Engel, David A. Grimaldi And Kumar Krishna 2009 : Termites (Isoptera): Their Phylogeny, Classification and Rise to Ecological Dominance , American Museum Novitates, The American Museum Of Natural History , New York , June 25.
- 25- N.L. Rebrikora & N.V. Manturo Vskaya 2000 : Foxing A new approach to an old prpblem, restaurator, vol. 21.
- 26- Pat O'connor-mararer 2006 : Residential, industrial, and institutional pest control , University of California , California.
- 27- P.G.Koehler , D.Branscome , and F.M.Oi 2009 : Booklice and SilverFish , Extension , Institute of Food and Agricultural Sciences , University of Florida .
- 28- Pilch, S.Pentzien,H.Madebach And W.Kautek 2002 : " Anti-Fungal Laser Treatment of Paper: A model Study With A Laser Wavelength Of 532 Nm." Dermatology, Restaurateur, Vol.23, no.11.
- 29- Robin Stewart 2002 : Robin Stewart's Chemical Free Pest Control , Black Inc. , Australia.
- 30- Soyeon Choi2007 : "Foxing on Paper : A Literture Review" , Journal of The American Institute for conservation , Vol. 46, p p.137-139.
- 31- SPIROS ZERVOS 2007 : "Accelerated Aging Kinetics Of Pure Cellulose Paper After Washing, Alkalization And Impregnation With Methyl Cellulose." Restaurateur Vol. 28, No.1.
- 32- Vina.V. and R.Vinas 1988 : "Traditional Restoration Techniques," ARAMP study, Paris, Unesco .

33- William J. Bell, Louis Marcus Roth, Christine A. Nalepa 2007 :
Cockroaches: ecology, behavior, and natural history ,The Johns
Hopkins University press , U.S.A .

المعوقات المهنية والإدارية والمالية للتربية العملية بكلّيات التربية بالجامعات السودانية

د. نعمات حسين الحسن

د. عمر محمد السيمت

د. أحمد سليمان مصطفى

١- المقدمة :

يشهد العالم تغيرات مستمرة في كل مناحي الحياة، وتقديراً للدور المحوري الذي يقوم به المعلم في تشكيل شخصية الفرد المعاصر، وتزويده بالمعلومات والمهارات التي تمكنه من التفاعل بوعي مع إفرازات الثورة المعلوماتية ومواجهة المشكلات المعاصرة والتعامل معها بعقل مفتوح، فقد تنادى الخبراء والمسؤولون عن التربية في معظم بلدان العالم لعقد الاجتماعات في نهاية القرن العشرين لدراسة التحديات التي تواجه التربية وإعداد معلم المستقبل (حمدان علي نصر وآخرون ٢٠٠٣م).

أدى هذا الواقع بشكل أو بآخر إلى إعادة النظر في أهداف التربية بشكل عام في العالم بأجمعه، وبرامج إعداد المعلم وتربيته بشكل خاص، ذلك لمكانة المعلم في النظام التعليمي الذي يحدد نوعية التعليم واتجاهه، وبالتالي يحدد مستقبل الأجيال ونوع وحياة الأمة ومستقبلها. ويتضح مما تقدم أن المعلم يعتبر حجر الزاوية في العملية التربوية التعليمية، فهو من تقع على عاتقه تربية النشء وأجيال الغد. وعليه نجد أن الكثير من الدراسات والبحوث التربوية ركزت على الاهتمام بإعداده وتدريبه، خاصة في مراحل التعليم العام الذي يعتمد فيه التلميذ اعتماداً

كاملاً على المعلم. ولا يقتصر إعداد المعلم في جميع كليات التربية على الإعداد الأكاديمي (التخصص) فقط، بل يتعدى ذلك إلى جوانب أخرى. تتضمن برامج إعداد المعلم ثلاثة مكونات هي: الأكاديمية والثقافية والمهنية؛ ويتوقع منها أن تعمل جميعاً على إعداد المعلم المتمكن من المادة العلمية بحيث تكون لديه ثقافة عامة وخاصة، وأن تعمل على تزويد معلم المستقبل بالعديد من المهارات التدريسية المختلفة وتنمي الاتجاهات الإيجابية لديه نحو مهنة التدريس .

يشتمل الجانب المهني من برامج إعداد المعلم قبل الخدمة أثناء دراسته بكلية التربية، على كافة مقررات التربية النظرية والعملية، وتعرّف تلك الحزمة من المقررات بأنها مجموعة برامج ومواقف منظمة تخطط لها مؤسسات إعداد المعلمين بالتنسيق مع المدارس المعنية بحيث يتم من خلال هذه البرامج تفاعل الطالب المعلم مع عدد من المواقف المنظمة والمخططة والموجهة من أجل تزويده بمجموعة من المعارف والاتجاهات والمهارات التي تساعد على أداء عمله كمعلم مسؤول عن إدارة الصف وتوجيهه والقيام بدوره التربوي الشامل من تعليم وإرشاد وتوجيه وتقويم ومتابعة سلوك التلاميذ. وبناءً على ذلك حُددت أهمية التربية العملية في النقاط التالية (علي حمود علي ٢٠٠٨م) :

- تعمل التربية العملية على ترسيخ وتعزيز الجانب النظري الذي يدرسه الطالب في المقررات النظرية عن طريق التدريس في مدارس التدريب .
- تعريف الطالب/المعلم على المواقف التعليمية الحقيقية الجديدة ليتعود عليها.
- إتاحة الفرصة للطالب/المعلم ليثبت قدرته على التدريس ويكتسب مهارات مختلفة .

- تعمل على تنمية الاتجاهات الايجابية عنده نحو التدريس.
 - ينال الطالب/المعلم قدراً كبيراً من التوجيه والإرشاد.
- لأهمية التربية العملية فقد أعطتها المؤسسات التربوية المعنية بإعداد المعلم أهمية كبرى وخصصت لها جزءاً كبيراً من الجانب التربوي، فهناك من خصص لها فصلاً دراسياً كاملاً، ومنهم من خصص لها فصلين. كما أوصت العديد من الدراسات والمؤتمرات والندوات على المستوى العالمي والدولي والمحلي بأهمية التربية العملية في إعداد معلمي المستقبل .

من ضمن الندوات وورش العمل المحلية التي اهتمت بهذا الشأن المؤتمر الذي عقد بكلية التربية جامعة أدرمان الإسلامية عام ٢٠٠٧م، وندوة التربية العملية بكليات التربية . . المشاكل والحلول، التي أعتها لجنة الدراسات التربوية التابعة للمجلس القومي للتعليم العالي والبحث العلمي ببخت الرضا عام ٢٠٠٨م.

للتربية العملية عدة أهداف تسعى كليات إعداد المعلمين لتحقيقها عن طريق

الممارسة الفعلية للتدريب في المدارس، وتشمل :

- امتلاك الغايات والمهارات اللازمة لأدواره في مهنة التعليم.
- بناء الثقة بالنفس.
- تنمية الشخصية المهنية والاجتماعية.
- تنظيم الوقت واحترامه.
- ممارسة المهام الادارية للمعلم.
- التعرف على ظروف العمل في مهنة المستقبل.
- التعرف على عناصر النظام التربوي.
- التعرف على الأنشطة المصاحبة للمنهج وتنفيذها.

- بناء أسس للتنمية الذاتية بربطه وإطلاعه بالمشكلات التي ستواجهه في الحياة العملية (زين العابدين حسن محجوب ٢٠٠٨م).

هناك مجموعة من الأسس التي يجب أن يقوم عليها برنامج التربية العملية والتي لا بد من مراعاتها عند البدء في التخطيط لهذا البرنامج، وهي:-

- ضرورة توافر روح الفريق المتمثلة في التعاون والإخلاص والتفاني في العمل والعلاقات الإنسانية الطيبة بين الأطراف المشاركة في برنامج التربية العملية.
- اعتماد برنامج التربية العملية جزءاً أساسياً من مكونات برنامج إعداد المعلم.
- وضوح أهداف التربية العملية لجميع الأطراف المشاركة بها.
- التخطيط العلمي والتنفيذ الدقيق للبرنامج واختيار المدارس الصالحة للتدريب.
- التقويم المستمر لمخطط التربية العملية.
- مراعاة مصلحة تلاميذ المدارس التي تنفذ فيها التربية العملية (عامر عبد الله سليم الشهراني ١٩٩٤م).

يتم اختيار المشرفين على الطلاب المتدربين وفق التسلسل الآتي :

١. المشرف التربوي المتخصص.
٢. المشرف التربوي .
٣. المشرف الأكاديمي .
٤. المشرف التربوي التابع لإدارة التعليم .
٥. المعلم المتعاون .

إذا تحقق هذا التسلسل في اختيار المشرفين التربويين على الطلاب المعلمين في كلية التربية، يصبح المشرف الأول على الطالب/ المعلم هو المشرف التربوي المتخصص، وهو أحد أعضاء هيئة التدريس في الكلية ويقوم بتدريس مقرر طرق التدريس الخاص في مجال عمله، ويكون حاصلاً على درجة عليا في طرق التدريس. وهذا النوع من المشرفين الفنيين يعتبر عنصراً مهماً، نظراً لطبيعة دراسته وخلفيته في مادة التخصص وخبراته في مجال التدريس والتوجيه، بالإضافة إلى احتكاكه المباشر بالطلاب/المعلمين عند تدريسهم مادة طرق التدريس الخاصة، على مستوى البكالوريوس - في مادة التخصص أو الماجستير أو الدكتوراة في مجال المناهج وطرق.

يلبي المشرف التربوي المتخصص المشرف التربوي من الأقسام الأخرى كعلم النفس، الإدارة التربوية ... الخ . يليه المشرف الأكاديمي المتخصص في المادة التي يدرسها الطالب المعلم. يليه المشرف التربوي التابع لإدارة التعليم، ويليه اشتراك المعلم المتعاون. ويمكن أن يكون هنالك تعاون بين الكليات التربوية لمن تتوفر فيهم خصائص وكفاية الإشراف على الطلاب المتدربين (عبد اللطيف الحلبي ومهدي محمود سالم ٢٠٠٥م).

٢- مشكلة الدراسة :

بالنظر إلى واقع التربية العملية في كليات التربية السودانية هنالك اختلاف واضح في التخطيط والإعداد والتنفيذ والتقويم. ولكي نسهم في تطوير وتصحيح مسار التربية العملية لا بد من تنفيذ مثل هذه الدراسات والبحوث التربوية وتقويمها

من جوانب مختلفة. وهناك العديد من المشكلات والمعوقات التي تواجه التربية العملية، ما قد يحول دون الاستفادة من التدريب العملي.

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن هذه المعوقات التي تعترض مسيرة التربية العملية في بعض كليات التربية السودانية، من أجل تلافيتها بطريقة سليمة وتجاوز السلبات التي هي بحاجة إلى ضوابط لتوضيح الواجبات الأساسية للقائمين عليها. وسوف تتناول هذه الدراسة المعوقات المهنية والإدارية والمالية للتربية العملية. ويمكن طرح هذه المعوقات من خلال التساؤلات الرئيسة التالية:-

- ١- ما هي أبرز المعوقات المهنية التي تحول دون تنفيذ التربية العملية في بعض كليات التربية السودانية كما يراها مشرفو التربية العملية .
- ٢- ما هي أبرز المعوقات الإدارية التي تواجه التربية العملية لبعض كليات التربية السودانية كما يراها مشرفو التربية العملية .
- ٣- ما هي أبرز المعوقات المالية التي تواجه تنفيذ التربية العملية لبعض كليات التربية السودانية كما يراها مشرفو التربية العملية .
- ٤- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد الدراسة في نظرهم لأهم المعوقات التي تعاني منها التربية العملية في بعض كليات التربية السودانية تبعاً لمتغير المؤهل العلمي .

٣- أهداف الدراسة :

- ١- تحديد أبرز معوقات التربية العملية المهنية والإدارية والمالية من وجهة نظر مشرفي التربية العملية.
- ٢- معرفة ترتيب تأثير هذه المعوقات .
- ٣- الوقوف على كيفية إعداد وتنفيذ التربية العملية .

٤- إيجاد مقترحات وتوصيات بغرض تطوير التربية العملية بكليات التربية السودانية .

٤- أهمية الدراسة :

- ١- الاهتمام العالمي والمحلي المتزايد بالتربية العملية .
- ٢- إفادة القائمين على إعداد وتدريب المعلم بأهم معوقات التربية العملية التي قد تحول دون تحقيق الأهداف المنشودة .
- ٣- تزويد المسؤولين والمشرفين على التربية العملية بحلول يمكن من خلالها تحسين وتطوير التربية العملية .

٥- حدود الدراسة :

- الحدود الزمنية : خلال الفترة من يوليو - نوفمبر ٢٠١٠م.
- الحدود الموضوعية : المعوقات المهنية والإدارية والمالية للتربية العملية .
- الحدود المكانية : كليات التربية بجامعة الخرطوم، جوبا، دنقلا، الجزيرة (الحصاحيصا) .

٦- مصطلحات الدراسة :

التربية العملية :

هي برنامج متكامل يشمل الأنشطة المختلفة المتمثلة في المعارف والمهارات والكفايات والخبرات التي تساعد على إعداد الطالب المعلم وممارستهم المتكاملة لعملية التدريس تحت إشراف وتوجيه أكاديميين مؤهلين .

مشرف التربية العملية:

هو عضو هيئة التدريس بكلية التربية، ويقوم بالأشراف من خلال الزيارات التي يقوم بها للطلاب المتدربين في مدارس التدريب، من أجل توجيههم وتقويمهم .

مدرسة التدريب :

هي المدرسة التي يتدرب فيها الطالب/المعلم. والتابعة لإدارة التعليم بالولاية والمحليات.

المعوقات :

هي الصعوبات التي تواجه التربية العملية وهذه الصعوبات قد تعود إلى نظام الكلية أو إلى المدرسة وإدارتها .

منهج وإجراءات الدراسة :

أ- سوف يستخدم المنهج الوصف للحصول على المعلومات اللازمة لإعداد الدراسة ولطبيعة الدراسة، بالإضافة إلى ذلك فسوف يستخدم المنهج الإحصائي في التحليل، ومن ثم استخلاص النتائج.

ب- اشتملت عينة الدراسة على مجتمع الدراسة البالغ عددهم (٧٦ مشرفاً) وهم بعض مشرفي التربية العملية (أعضاء هيئة التدريس من جميع أقسام الكلية التربوية) والذين يقومون بالإشراف على الطلاب المتدربين في الفصل الدراسي المخصص للتربية العملية. وقد تم اختيار العينة بطريقة عشوائية من المجتمع الأصلي.

ت- وصف عينة الدراسة :

جدول (١): توزيع أفراد العينة حسب متغير الجامعة

الجامعة	التكرار	النسبة %
دنقلا	١٥	١٩,٧
الخرطوم	٣١	٤٠,٨
الجزيرة	١٨	٢٣,٧
جوبا	١٢	١٥,٨
المجموع	٧٦	١٠٠,٠

جدول (٢): توزيع أفراد العينة حسب متغير المؤهل

المؤهل	التكرار	النسبة %
ماجستير	٢٩	٣٨,٢
دكتورة	٤٧	٦١,٨
المجموع	٧٦	١٠٠,٠

لتحقيق أهداف الدراسة الحالية فقد تم :

- إعداد إستبانة للتعرف على آراء مشرفي التربية العملية فيما يتعلق بمشكلات التربية العملية.
- الوقوف على سير تنفيذ البرنامج في الكليات (الخرطوم، الجزيرة، جوبا، دنقلا).
- مراجعة الدراسات السابقة ذات الصلة بموضع الدراسة التي استفاد الباحثون منها في تصميم الإستبانة.

وصف أداة الأدراسة :

تتكون الإستبانة من ثلاثة محاور تتوزع على المعوقات المهنية والمعوقات الادارية والمعوقات المالية. كل محور به عبارات تمثل مشكلة من المشكلات التي قد تواجه المشرفين خلال فترة التدريب، وأمام كل واحدة عدة عبارة (خيارات) تمثل المشكلة (أوافق بشدة، أوافق، أوأفق إلى حد ما، لا أوافق، لا أوافق بشدة).

صدق أداة الأدراسة :

١- صدق المحتوى :-

تم عرض الأستبانة على بعض الأساتذة الخبراء في هذا المجال بغرض تقديم ملاحظاتهم على الأداة فيما يتعلق بمدى ملاءمة عبارات الأستبانة من الأدراسة وسلامة صياغة العبارات ومدى تعبيرها عن مشكلة الأدراسة. جرى تعديل عبارات الإستبانة في ضوء آراء المحكمين، بالحذف والإضافة وعبارات أخرى.

صدق وثبات أداة الأدراسة :-

جدول (٣): معاملي الصدق والثبات للإستبانة

معامل الصدق	معامل الثبات
٠,٩٤	٠,٩٣

مما يدل على درجة عالية من الصدق والثبات .

المعالجات الإحصائية :

تم استخدام المعالجات الإحصائية المناسبة في برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الإنسانية (SPSS) لمعالجة البيانات الخاصة بالدراسة وهي:

١. النسبة المئوية.
٢. المتوسط .
٣. الانحراف المعياري.
٤. إختبار كا^٢ .
٥. إختبار "ت" لعينتين مستقلتين .

الدراسات السابقة :-

لقد تم إجراء عدد من الدراسات في بلدان مختلفة منها العربية والأجنبية والمحلية فيما يتعلق بمشكلات التربية العملية سوف نشير إلى بعض الدراسات ذات الصلة بالدراسة .

دراسة هدفت للتعرف على المشكلات التي يواجهها طلاب التربية الميدانية بكلية التربية بجامعة الأزهر، بينت نتائجها أن هنالك بعض المشكلات منها. عدم تحقيق رغبة الطلاب في اختيار المدارس التي يتدرب فيها الطلاب لعدم توفير أماكن للطلاب المتدربين لكي يجلسوا فيها كما أشارت الدراسة إلى أن الزمن المخصص للتربية العملية غير كاف (عامر عبد الله سليم الشهراني ١٩٩٧م).

من الدراسات التي أجريت في السودان دراسة للتربية العملية ودورها في العملية التربوية. خلصت أهم نتائج هذه الدراسة إلى عدم وجود مكتب خاص بالتربية العملية وتأثير أسلوب المحاضرة على أداء الطلاب /المعلمين، واختلاف

استمارات التقويم المستخدمة في تقويم نتائج الطلاب (سعاد عبد الرحيم البشير ١٩٩٣م).

أجريت دراسة للتعرف على الصعوبات التي تواجه الطلاب المتدربين في تخصص الجغرافيا بكلية التربية جامعة الإسكندرية، وكيفية التغلب عليها. وضحت النتائج وجود صعوبات تواجه الطلاب المتدربين أثناء التخطيط والتفويض لبعض الدروس في بعض الموضوعات. ودراسة أخرى تناولت معوقات أداء الطلاب المتدربين بالكلية المتوسطة مركز العلوم والرياضيات بمدينة الرياض في مقررات التربية العملية (عامر عبد الله سليم الشهراني ١٩٩٧م). وضحت هذه الدراسة أن أهم هذه المعوقات تتمثل في عدم تمكن الطلاب المتدربين من المادة التي يقومون بتدريسها، وعدم توفر الوسائل التعليمية الضرورية لتدريسها وعلاقة الطالب المتدرب غير الجيدة بكل من إدارة المدرسة والمعلم المتعاون.

أجريت كذلك دراسة تقويم للتربية العملية بكلية التربية جامعة أفريقيا، أظهرت نتائجها وجود ضعف في أداء الطلاب/المعلمين يتمثل في الأداء وصياغة الأسئلة وفي تخطيط الدروس وفي مهارات توزيع الوقت بالنسبة للدروس وصعوبة توفير الوسائل التعليمية وصعوبة إقامة علاقات مع المدرسين والتلاميذ وقصور في الفترة الزمنية المحددة للتربية العملية (عصام الدين عبد الرحيم حجاج ١٩٩٨م).

هناك دراسة أخرى هدفت للتعرف على بعض مشكلات طلاب كلية التربية بجامعة أم درمان الإسلامية في أثناء أداء التربية العملية ومن أهم نتائجها، قصر فترة التربية العملية، عدم الأتصال بين المدرسة والكلية، عدم وجود ترحيل من وإلى المدرسة، عدم توفير الوسائل التعليمية وجود علاقة ضعيفة بين أداء الطلاب

في مادة طرق التدريس وأداء الطلاب في التربية العملية (روضة أحمد عمر ١٩٩٠م).

في دراسة استهدفت وضع نموذج مقترح لتطوير التربية العملية في كليات التربية السودانية وفقاً لمعطيات تكنولوجيا التعليم توصلت إلى افتقار الجانب العملي التطبيقي في كليات التربية أن محاضرات طرق التدريس يغلب عليها طريقة الإلقاء وعدم توفر ورش في كليات التربية لإنتاج الوسائل التعليمية وضيق الوقت المخصص للمشاهدة وعدم وجود قاعات للتعليم المصغر، مزودة بالتقنيات الحديثة (نصر الدين عباس رضوان ٢٠٠٤م).

أجريت أيضاً دراسة لتقويم برنامج التربية العملية بكليات التربية في الجامعات السودانية. كان من أهم نتائجها عدم إصدار دليل للتربية العملية وعدم اختيار مدارس صالحة للتدريب، عدم الاهتمام بالتدريب المصغر، إغفال اللقاءات والاجتماعات الأسبوعية بين الطلاب المتدربين والمشرفين وتسجيل مقررات صباحية أو مسائية أثناء التربية العملية، عدم التوافق بين ما يدرسه الطالب/المعلم داخل الكلية وما يقوم بتدريسه في مدارس التدريب، عدم توفر مكتب دائم للتربية العملية، عدم السماح للطلاب/المعلمين بالمشاركة في النشاط اللاصفي بمدارس التدريب، توزيع الطلاب المتدربين بعيداً عن أماكن السكن، كثرة عدد الطلاب المتدربين عند المشرف الواحد، تقويم المشرف للطلاب/المعلم لا يعتمد على مهارات التدريس (نعمات حسين الحسن ٢٠٠٦م).

أجريت دراسة أخرى هدفت إلى تقويم برامج التربية العملية بكليات التربية جامعة الجزيرة في ضوء أهداف التربية العملية، وتوصلت إلى التالي : قدرات

الطلاب على التخطيط للتدريس ضعيفة. كذلك تبين أن عدم تطبيق محاور الدروس التوضيحية، ودروس المتابعة تمت بدرجة متوسطة، وعدم مقدرة الطلاب على صياغة أسئلة التقويم النهائي. وعدم الإلمام بأساليب التقويم المتعددة (محمد الطيب الطاهر السمانى ٢٠٠٦م).

من خلال الدراسات السابقة نلاحظ أن هناك قدر كبير من الاتفاق على أهمية التربية العملية وموقفها الحيوي في برنامج إعداد المعلمين، وهي برنامج متكامل يوازي برنامج الدراسة النظرية والمعياري الحقيقي على مدى نجاح برنامج الإعداد، كما أن هنالك اتفاق على وجود مشاكل ومعوقات مازالت تحول دون تحقيق الأهداف المنشودة.

الوقوف على سير تنفيذ البرنامج بكليات التربية موضع الدراسة :

جدول (٤): النظام الدراسي و توزيع عدد الساعات المعتمدة بالكليات المختارة

الجزيرة	دنفلا	جوبا	الخرطوم		المطلوب
			بعد الإصلاح	قبل الإصلاح	
٩٢	٥٠ ر + ٣٠ ف ٨٠	٣٥+٥٤ ق ٨٩ ساعة	٩٥	٦٤ ٣٠+ ف ٩٤	عدد ساعات مطلوب التخصص
٦٧	٣٢	٤٢	٥٠	٣٦	مطلوبات الكلية

مطلوبات الجامعة	٢٥	٢٥	٢٩	٢٤	١٥
ساعات التخرج	١٥٤	١٧٠	١٦٠	١٤٢	١٨٤
ساعات التربية العملية	٥	١٠	ساعتان	٦	١٠

يتضح من الجدول أعلاه أن هنالك تبايناً واضحاً بين الكليات المختارة في نظام الدراسة فيما يلي توزيع عدد الساعات على مطلوبات التخصص ومطلوبات الكلية ومطلوبات الجامعة وعدد ساعات التخرج والساعات المخصصة للتربية العملية .

جدول (٥): كيفية إعداد و تنفيذ برنامج التربية العملية

الجزيرة	دنقلا	جوبا	الخرطوم	
إدارة التربية العملية وقسم العلوم التربوية	قسم العلوم التربوية والأقسام المتخصصة	قسم العلوم التربوية	قسم المناهج وطرق التدريس الترربية العملية	إدارة البرنامج

الجزيرة	دنقلا	جوبا	الخرطوم	
أكمال الفترة الأولى للتربية العملية بنجاح	إكمال مقررات المستوى الثالث بنجاح	إكمال مقررات المستوى الثالث بنجاح	إكمال مقررات قسم المناهج وطرق التدريس بنجاح . - أن يكون معدل الطالب أكثر من أثنين تحصل الطالب/المعلم عدد(١١٠)- ١٠٠ ساعة معتمدة نجاح	شروط تسجيل الطالب للتربية العملية
الفترة الأولى دروس توضيحية + حصص معاينات	تقديم نماذج نوع ما	نماذج تدريس من قبل بعض الطلاب	أعداد حصص معاينات لمدة أسبوعين بالمدارس التابعة للكلية (أحمد بشير العبادي)+	فترة التهيئة

الجزيرة	دنقلا	جوبا	الخرطوم	
			تدريس الإقران لمدة أسبوعين	
شهران	فصل دراسي كامل	فصل دراسي كامل	فصل دراسي كامل	فترة التدريب
تفريغ جزئي	تفريغ كامل	تفريغ جزئي	تسجيل ٢ كورس مسانني	تفريغ للطالب المتدرب

يشير الجدول (٥) إلى كيفية إعداد و تنفيذ برنامج التربية العملية حيث نلاحظ الاختلاف في الإعداد والتنفيذ بين هذه الكليات .

عرض وتحليل ومناقشة النتائج:

للإجابة عن أسئلة الدراسة تم القيام بحساب تكرارات استجابات أفراد العينة حول كل عبارة من عبارات الاستبانة ، ومن ثم تم استخدام إختبار (كا^٢) ومقارنة كل نتيجة لقيمة (كا^٢) المحسوبة بقيمة (كا^٢) المقروءة من الجداول الإحصائية أمام درجة حرية (٤) وتحت مستوى دلالة ٠,٠٥ والتي تساوي ٩,٤٨٨ كما هو موضح في الجداول التالية:-

جدول (٦): التكرارات التي تم الحصول عليها من إجابات أفراد العينة حول عبارات المحور الأول: المعوقات المهنية

رقم العبارة	العبارات	الإستجابة			
		أوافق بشدة	أوافق	أوافق لحد ما	غير موافق بشدة
١	لا تتوفر الكفايات التدريسية في فترة الإعداد للطلاب /المعلم.	٢٨	٢٧	٦	٢
٢	لا يوجد مقرر للتربية العملية في المستوى السابق للتربية العملية.	٢١	١٧	٨	٤
٣	قلة وجود التدريب والتطبيق للدراسة النظرية التربوية في فترة الإعداد.	٢٦	٣٠	٦	١
٤	قلة تعرض الطلاب /المعلمين لدراسة تحليل منهج المرحلة التي يتم	٣٥	٢٤	١٠	٢

الإستجابة					العبارات	رقم العبارة
غير موافق بشدة	غير موافق	أوافق لحد ما	أوافق	أوافق بشدة		
					إعدادهم للعمل فيها بعد التخرج.	
٨	١٨	١٢	١٧	٢١	المدة الزمنية المحددة لتدريس المقررات التربوية بكليات التربية غير كافية.	٥
٢	٧	٣	٢٤	٤٠	كثرة عدد الطلاب /المعلمين بالقاءات الدراسية يعوق عملية الإعداد والتدريب.	٦
٤	١٠	٩	٢٥	٢٨	قلة أعداد أعضاء هيئة التدريس المتخصصين في تدريس المقررات التربوية (المهنية) .	٧
٣	١	٢	٢٢	٤٨	لا تتوفر معامل لتدريس	٨

الإستجابة					العبارات	رقم العبارة
غير موافق بشدة	غير موافق	أوافق لحد ما	أوافق	أوافق بشدة		
					طرق التدريس والتعليم المصغر.	
٦	١٩	١١	١٩	٢١	لا يتلاءم ما يدرسه الطالب /المعلم في الكلية مع ما يقوم بتدريسه في مدرسة التدريب.	٩
3	١١	١٣	٢٢	٢٧	لا يوجد إعداد وتجهيز جيد لتنفيذ حصص المشاهدة.	١٠
٤	١٥	١٢	١٨	٢٧	الترشيح لمشرفي التربية العملية لا يتم وفق ضوابط مجددة	١١
٢	5	٧	٢٠	٤١	الزيارات الإشرافية على الطلاب /المعلمين غير كافية	١٢

جدول (٧) : قيمة كا^٢ المحسوبة و كا^٢ المقروءة والتفسير والنتيجة بالنسبة لعبارات المحور الأول: المعوقات المهنية:

رقم العبارة	الإستجابة					قيمة كا ^٢ المحسوبة	درجة الحرية	قيمة كا ^٢ المقروءة	التفسير	النتيجة
	أوافق بشدة	أوافق	أوافق لحد ما	غير موافق	غير موافق بشدة					
١	٢٨	٢٧	٦	١٣	٢	٣٧,٢٨٩	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق بشدة
٢	٢١	١٧	٨	٢٦	٤	٢١,٧٦٣	٤	٩,٤٨٨	دالة	غير موافق
٣	٢٦	٣٠	٦	١٣	١	٤١,٢٣٧	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق
٤	٣٥	٢٤	١٠	٥	٢	٥٠,٩٧٤	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق بشدة
٥	٢١	١٧	١٢	١٨	٨	٧,٠٢٦	٤	٩,٤٨٨	غير دالة	لا توجد إجابة
٦	٤٠	٢٤	٣	٧	٢	٧١,٢٣٧	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق بشدة
٧	٢٨	٢٥	٩	١٠	٤	٢٩,٦٥٨	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق بشدة
٨	٤٨	٢٢	٢	١	٣	١٠٨,٣٤٢	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق بشدة
٩	٢١	١٩	١١	١٩	٦	١٠,٨٤٢	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق بشدة
١٠	٢٧	٢٢	١٣	١١	٣	٢٣,٤٧٤	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق بشدة
١١	٢٧	١٨	١٢	١٥	٤	18.605	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق بشدة
١٢	٤١	٢٠	٧	٥	٢	68.933	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق بشدة

يتضح من الجدول أعلاه أن قيمة كا^٢ المحسوبة أكبر من كا^٢ المقروءة من الجداول الإحصائية في جميع العبارات ،عدا العبارة رقم (٥)، لم تحصل على أي فروق ذات دلالة إحصائية لأن قيمة كا^٢ المحسوبة تساوي ٧,٠٢٦ وهي أقل من

قيمة كاً^٢ المقروءة من الجداول الإحصائية أمام درجة حرية ٤ وتحت مستوى دلالة ٠،٠٥ والتي تساوي ٩،٤٨٨ وبالرجوع إلى الجدول رقم (٦) نلاحظ أن هناك دلالة إحصائية لصالح التكرار الأكبر، أي أننا نلاحظ أن أفراد العينة قد كانت إجاباتهم مابين (أوافق بشدة، أوافق، غير موافق) مما يوضح أن جميع ما ذكر من المعوقات المهنية، يختلف من جامعة لأخرى حسب آراء أفراد العينة، ويمكننا أن نتناول نقاش نتائج هذه العبارات بصورة تفصيلية كما يلي:-

يمكن القول من خلال النتائج أعلاه بأن هنالك معوقات مهنية بكليات التربية بالجامعات السودانية. ويمكننا ترتيب أهم هذه المعوقات المهنية وفقاً لآراء أفراد العينة حسب متوسطاتها كآآتي:- لا تتوفر معامل لتدريس طرق التدريس والتعليم المصغر ٤،٤٦- الزيارات الإشرافية على الطلاب /المعلمين غير كافية ٤،٢٤ - كثرة عدد الطلاب /المعلمين بالقاعات الدراسية يعوق عملية الإعداد والتدريب ٤،٢٢- قلة تعرض الطلاب /المعلمين لدراسة تحليل منهج المرحلة التي يتم إعدادهم للعمل فيها بعد التخرج ٤،١٢ -قلة وجود التدريب والتطبيق للدراسة النظرية التربوية في فترة الإعداد ٣،٨٨- لا تتوفر الكفايات التدريبية في فترة الإعداد للطالب /المعلم ٣،٨٧- قلة أعداد أعضاء هيئة التدريس المتخصصين في تدريس المقررات التربوية (المهنية) ٣،٨٣.

سوف يتم مناقشة المشكلات التي تميزت بأعلى المتوسطات في كل المحور.

يتضح من الترتيب السابق لمشكلات المحور الأول أن مشكلة عدم توفير معامل لتدريس طرائق التدريس والتعليم المصغر جاءت في المرتبة الأولى ذلك نتيجة لإدراك المشرفين للدور الذي تقوم به هذه المختبرات في إكساب الطالب

المتدرب بعض المهارات التدريسية التي يتم تقديم بعضها نظرياً في مقرر طرق التدريس. ويرى الباحثون عدم وجود هذه المعينات بالكليات معوقاً رئيساً لما لها من دور أساسي في تدريب الطلاب/المعلمين لأنها تعرضهم إلى المواقف التدريسية الحقيقية وتتيح لهم فرصة معالجة الأخطاء قبل الخروج إلى مدارس التدريب. هذا الرأي يوافقه (عامر عبد الله سليم الشهراني ١٩٩٧م).

أما مشكلة الزيارات الإشرافية غير الكافية جاءت في المرتبة الثانية حسب رأي المشرفين ويعزو الباحثون ذلك لانشغال المشرفين بأعباء أخرى أو قلة الزيارات المحددة من إدارة البرامج، أو ربما أن المشرف يجد صعوبة في زيارة كل الطلاب الذين هم تحت أشرفه لكثرة عددهم مما ينعكس سلباً على عملية الأشراف .

احتلت مشكلة كثرة عدد الطلاب بالقاعات المرتبة الثالثة، الأمر الذي يعوق عملية الإعداد والتدريب. ويعزى ذلك إلى التوسع في القبول لكليات التربية يقابل ذلك نقص في أعداد هيئة التدريس ونقص في القاعات والوسائل ما يؤدي لضعف المتابعة وتوجيه الطلاب والإمام بمعرفة قدرتهم .

أما مشكلة قلة تعرض الطلاب/المعلمين لدراسة تحليل منهج المرحلة التي يتم إعدادهم للعمل فيها بعد التخرج فتعزى لأدراك المشرفين لأهمية تحليل الكتاب المدرسي، لأن ذلك يقلل من الصعوبات التي تواجه الطلاب اثناء تنفيذ تدريس المحتوى الدراسي. يرجع الباحثون تلك المشكلة ربما لقلة الاهتمام وضعه من ضمن المقررات المعتمدة ببعض الكليات أو ربما لإدراجه ضمن مقررات طرق التدريس الخاصة الأمر الذي يقلل الزمن الكافي لتحليل محتوى الكتاب المدرسي .

بالنسبة لقلة وجود التدريب والتطبيق للدراسة النظرية التربوية في فترة الإعداد فيعزو الباحثون ذلك لعدم توفر الإمكانيات وأن الفترة الممنوحة لتنفيذ

التدريب والتطبيق غير كافية، وهذا يتفق مع دراسة (نعمات حسين الحسن ٢٠٠٢م) يؤكد ذلك تفسير المشكلة رقم (١) .

أما المشكلة التي تتعلق بعدم توفير الكفايات التدريسية المحددة في فترة الإعداد للطلاب/المعلمين يرى الباحثون أنها من الأساليب الحديثة كما أشار إلى ذلك (علي حمود علي ٢٠٠٨م) بأنه البرنامج الذي يحدد الكفايات التي ينبغي على المعلم أن يكتسبها ، كما يحدد المعايير التي تستخدم في تقويم مدى اكتسابه لتلك الكفايات، و يجعله مسؤولاً عن اكتسابه لتلك الكفايات . ويُعزى ذلك إلى عدم تطبيق هذه الأساليب .

نجد مشكلة قلة أعضاء هيئة التدريس المتخصصين في تدريس المواد التربوية (المهنية) احتلت المرتبة الخامسة. ويرى الباحثون أن هذا يعود إلى واقع حال كليات التربية وقلة استيعاب أعضاء هيئة التدريس فيها. الجدول (٨) أدناه يوضح متوسطات بقية عبارات المحور الأول: المعوقات المهنية التي لم يتم إدراجها ضمن أهم المعوقات المذكورة أعلاه:

رقم العبارة	العبارة	المتوسط
٢	لا يوجد مقرر للتربية العملية في المستوى السابق للتربية العملية.	٣,٣٣
٥	المدة الزمنية المحددة لتدريس المقررات التربوية بكليات التربية غير كافية.	٣,٣٣
٩	لا يتلاءم ما يدرسه الطالب /المعلم في الكلية وبين ما يقوم بتدريسه في مدرسة التدريب.	٣,٣٩
١٠	لا يوجد إعداد و تحضير جيد لتنفيذ حصص المشاهدة.	٣,٧٨
١٢	الترشيح لمشرفي التربية العملية لا يتم وفق ضوابط محددة	٣,٦٤

جدول (٩) : التكرارات التي تم الحصول عليها من إجابات أفراد العينة حول عبارات المحور الثاني المعوقات الإدارية: (أ) معوقات إدارية داخل كليات التربية:

رقم العبارة	العبارات	الإستجابة			
		أوافق بشدة	أوافق	أوافق لحد ما	غير موافق بشدة
١	ضعف النظام الإداري للتربية العملية.	٢٦	٢٥	٧	٢
٢	لا يوجد مكتب دائم لبرنامج التربية العملية يقوم بعملية التخطيط والتنظيم اللازمين للتربية العملية.	٣١	٢٠	١٤	٠
٣	لا يتوفر أعضاء هيئة تدريس متفرغين لبرنامج التربية العملية.	٤٢	٢٠	٣	٤
٤	ضعف توفير الوسائل التعليمية لمساعدة الطلاب المعلمين في تنفيذ الحصة الصفية بالمدارس.	٤٦	٢٢	٣	٠
٥	لا يتوفر الترحيل الكافي للطلاب /المعلمين من وإلى مدرسة التدريب	٤١	١١	٨	٠
٦	ضعف التنسيق بين كليات التربية من خلال مكتب	٢٧	٢٢	١٤	٢

الإستجابة					العبارات	رقم العبارة
غير موافق بشدة	غير موافق	أوافق لحد ما	أوافق	أوافق بشدة		
					التربية العملية بالكلية مع المسؤولين عن التدريب بالولاية.	
٠	٨	٧	٢٣	٣٢	لايوجد دليل للتربية العملية بكلية التربية.	٧
٢	١٤	٨	٢٠	٣٢	الفترة المحددة للتربية العملية بكلية التربية غير كافية.	٨
٢	١٧	٢١	٢٤	١٢	الترشيح للعاملين لإدارة التربية العملية لا يتم وفق ضوابط محددة.	٩
1	٩	١١	٢١	٣٤	التداخل بين مهام وإختصاصات الأقسام المختلفة المشاركة في التربية العمية.	١٠
4	١٤	٦	١٨	٣٤	لا يلتزم المشرفون بالزيارات المحددة للطلاب المعلمين.	١١
٠	٤	٥	٢٦	41	الإعتماد على المشرف الواحد يقلل من فاعلية الإشراف.	١٢

جدول (١٠): قيمة كايا المحسوبة و كايا المقروءة والتفسير والنتيجة بالنسبة لعبارات المحور الثاني: المعوقات الإدارية: (أ) معوقات إدارية داخل كليات التربية:

رقم العبرة	الإستجابه				قيمة كايا المحسوبة	درجة الحرية	قيمة كايا المقروءة	التفسير	النتيجة
	أوافق بشدة	أوافق	أوافق لحد ما	غير موافق بشدة					
١	٢٦	٢٥	٧	١٦	29.921	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق بشدة
٢	٣١	٢٠	١٤	١١	12.316	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق بشدة
٣	٤٢	٢٠	٣	٠	71.237	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق بشدة
٤	٤٦	٢٢	٣	٥	62.632	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق بشدة
٥	٤١	١١	٨	١٦	35.684	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق بشدة
٦	٢٧	٢٢	١٤	١١	24.921	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق بشدة
٧	٣٢	٢٣	٧	٨	33.789	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق بشدة
٨	٣٢	٢٠	٨	١٤	35.053	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق بشدة
٩	١٢	٢٤	٢١	١٧	19.658	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق بشدة
١٠	٣٤	٢١	١١	٩	42.421	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق بشدة
١١	٣٤	١٨	٦	١٤	37.684	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق بشدة
١٢	41	٢٦	٥	٤	50.211	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق بشدة

من نتيجة الجدول (١٠) أعلاه نلاحظ أن قيمة كا^٢ المحسوبة أكبر من كا^٢ المقروءة من الجداول الإحصائية في جميع العبارات. وبالرجوع إلى الجدول رقم (٩) نلاحظ أن هناك دلالة إحصائية لصالح التكرار الأكبر. وقد حصلت معظم العبارات على التكرار الأكبر في أوافق بشدة والبعض الآخر في أوافق فقط، لذلك يمكننا اعتبارها دليلاً على وجود معوقات إدارية داخل كليات التربية.

اتضح من النتائج المذكورة أعلاه أن أهم المعوقات الإدارية داخل كليات التربية بالجامعات السودانية مرتبة من قبل الباحثين وفقاً لمتوسطاتها حسب آراء أفراد العينة كالآتي:- ضعف توفير الوسائل التعليمية لمساعدة الطلاب المعلمين في تنفيذ الحصة الصفية بالمدارس ٤،٤٣ - الاعتماد على المشرف الواحد يقلل من فاعلية الإشراف ٤،٣٧ - لا يوجد دليل للتربية العملية بكلية التربية ٤،٢٠ - لا يتوفر أعضاء هيئة تدريس متفرغين لبرنامج التربية العملية ٤،١٧ - التداخل بين مهام واختصاصات الأقسام المختلفة المشاركة في التربية العملية ٤،٠٣ - لا يتوفر الترحيل الكافي للطلاب /المعلمين من وإلى مدرسة التدريب ٤،٠١ - لا يوجد مكتب دائم لبرنامج التربية العملية يقوم بعملية التخطيط والتنظيم اللازمين للتربية العملية ٣،٩٣.

نلاحظ من الترتيب السابق أن مشكلة ضعف توفير الوسائل التعليمية لمساعدة الطلاب/المعلمين في تنفيذ الحصص الصفية جاءت في المرتبة الأولى. ويعود ذلك لمعرفة المشرفين بدور الوسائل في تسهيل وتوصيل المعلومات ويعزو الباحثون ذلك لقلة الفنيين لمساعدة الطلاب في تدريبهم على إنتاج الوسائل من البيئة

المحلية، أو لعدم دعم الكليات بتوفير متطلبات الوسائل وضعف الحافز المادي. وهذا يعنى أنه لا توفر بالكليات والمدارس الوسائل الجاهزة المصاحبة للدروس. مشكلة الاعتماد على المشرف الواحد يقلل فاعلية الإشراف احتلت الموقع الثاني، ويعود ذلك لإدراك المشرفين لأهمية التنوع في عملية الإشراف. ويرى الباحثون أن المشرف الواحد ربما يتحيز لبعض الطلاب، أو قد يعتمد بعض المشرفين على جانب وإهمال جانب آخر أثناء عملية التقويم، وقد يعود اعتماد الكليات على مشرف واحد لقلّة المشرفين المختصين في مجال الإشراف، أو لكثرة عدد الطلاب المتدربين بالكلية. بناءً على ذلك اتفقت هذه النتائج مع دراسة (نصر الدين عباس رضوان ٢٠٠٤م).

أما عبارة لا يوجد دليل للتربية العملية بكليات التربية فقد احتلت المركز الثالث ويرى الباحثون أن وجود الدليل مهم جداً لأنه يوضح البرنامج من حيث أهميته وأهدافه، بالإضافة لدوره في تدريب الطالب/المعلم وتزويد المشرفين، وقد أكدت ذلك كثير من الدراسات السابقة. ويعزو الباحثون ذلك لعدم تكليف مجموعة من أعضاء هيئة التدريس لإصدار هذا الدليل، أو لعدم تفرغ القائمين على إدارة البرنامج.

بالنسبة لمشكلة عدم توفر أعضاء هيئة تدريس متفرغين لإدارة البرنامج جاءت في المركز الرابع، ويعود ذلك لإدراك المشرفين لحجم العمل الذي تقوم به إدارة هذا البرنامج وربما يرجع ذلك لنظرة بعض إدارات الكليات إلى البرنامج على أنه برنامج موسمي يقام في أوقات محددة، لذلك لا يحتاج هذا العمل للتفرغ، أو لقلّة أعضاء هيئة التدريس أو لانشغالهم بأعباء التدريس الموكلة إليهم.

بينما احتلت مشكلة التداخل بين مهام واختصاصات الأقسام المختلفة المشاركة في التربية العملية المرتبة الخامسة. ربما يعود ذلك لرؤية بعض المشرفين إلى أن التربية العملية من اختصاص مكتب التربية العملية أو العلوم التربوية أو قسم المناهج وطرق التدريس، بينما تنحصر مهمة الأقسام الأخرى في القيام بعملية الإشراف، أو قد يعود ذلك إلى أن بعض المشرفين من الأقسام يعتبرون أن الطلاب تحت مسؤوليتهم وهم أكثر معرفة بقدرات ومهارات طلابهم .

احتلت مشكلة عدم توفير الترحيل للطلاب/المعلمين المرتبة السادسة. يرجع ذلك لإدراك المشرفين لأهمية استقرار الطلاب بالمدارس .

جاءت مشكلة عدم وجود مكتب دائم لبرنامج التربية العملية يقوم بالتخطيط والتنظيم اللازمين في المرتبة السابعة. ويرى الباحثون أنه ربما لا يوجد مكتب دائم ببعض الكليات أو ربما يوجد ولكن شكلياً، إذ تنحصر مهمته في الاجراءات الروتينية مثل تسجيل وحصر الطلاب/المعلمين والاتصال بإدارات التعليم وتوزيع الطلاب المتدربين على المشرفين. اتفقت هذه الجزئية مع دراسة كل من (علي حمود علي ٢٠٠٨م) و(نعمات حسين الحسن ٢٠٠٦م) .

الجدول (١١) يوضح متوسطات بقية عبارات المحور الثاني (أ) معوقات إدارية داخل كليات التربية لم يتم إدراجها ضمن أبرز المعوقات المذكورة أعلاه:

المتوسط ط	العبارة	رقم العبار ة
٣,٧٥	ضعف النظام الإداري للتربية العملية.	١
٣,٨٠	ضعف التنسيق بين كليات التربية من خلال مكتب التربية العملية بالكلية مع المسؤولين عن التدريب بالولاية.	٦
٣,٨٧	الفترة المحددة للتربية العملية بكلية التربية غير كافية.	٨
٣,٣٦	الترشيح للعاملين لإدارة التربية العملية لا يتم وفق ضوابط محددة.	٩
٣,٨٤	لا يلتزم المشرفين بالزيارات المحددة للطلاب/المعلمين.	١١

جدول (١٢) التكرارات التي تم الحصول من إجابات أفراد العينة حول عبارات المحور الثاني المعوقات الإدارية: (ب) معوقات إدارية متعلقة بمدرسة التدريب:

رقم العبارة	العبارات	الإستجابة			
		أوافق بشدة	أوافق	أوافق لحد ما	غير موافق بشدة
١	لا تتوفر البيئة المناسبة بمدرسة التدريب	٢٧	٢٥	١٥	٨
٢	التراخي في بعض إدرات مدارس اتدريب يقلل من فرص تدريب الطلاب /المعلمين	٣٠	٣١	٩	٥
٣	قلة المكاتب الخاصة بالمعلمين في بعض مدارس التدريب	37	30	٣	6
٤	ضعف العلاقة بين معلم مدارس التدريب والطلاب /المعلمين	١٨	٢٦	١٣	١٦
٥	زيادة العبء التدريسي على الطلاب المعلمين في بعض مدارس التدريب	٢٤	١٩	١٦	١٧
٦	الإنطباع السالب من التلميذ تجاه الطلاب المعلمين	٢٠	٢٢	14	١٧

الإستجـابة					العبارات	رقم العبارـة
غير موافق بشدة	غير موافق	أوافق لحد ما	أوافق	أوافق بشدة		
١	١٠	٨	٢٣	٣٤	الكثير من المدارس الحكومية تعتبر طلاب التربية العملية غير مؤهلين للعمل بمدارسهم	٧
٠	٥	١٢	٢٧	32	ضعف إهتمام إدارات المدارس بطلاب التربية العملية وحل مشكلاتهم	٨

من نتيجة الجدول (١٣١) أدناه نلاحظ أن قيمة كا^٢ المحسوبة أكبر من كا^٢ المقروءة من الجداول الإحصائية في العبارات (١، ٢، ٣، ٤، ٦، ٧، ٨) أما العبارة رقم (٥) لم تحصل على أي فروق ذات دلالة إحصائية لأن قيمة كا^٢ المحسوبة تساوي ٢،٠٠ وهي أقل من كا^٢ المقروءة. أي أن هناك دلالة إحصائية لصالح التكرار الأكبر. وقد حصلت العبارات (١، ٢، ٣، ٧، ٨) على التكرار الأكبر في أوافق بشدة، أما العبارتان (٤، ٦) فقد حصلتا على التكرار الأكبر في أوافق فقط، ونتيجة لهذه الموافقة فمن الممكن اعتبار هذه العبارات معوقات إدارية متعلقة بمدرسة التدريب. تكشف النتائج المذكورة أعلاه أن أهم المعوقات الإدارية المتعلقة بمدرسة التدريب مرتبة من قبل الباحثين وفقاً لمتوسطاتها حسب آراء أفراد العينة كالاتي:-

جدول (١٣) : قيمة كاي^٢ المحسوبة و كاي^٢ المقروعة والتفسير والنتيجة بالنسبة لعبارات المحور الثاني: المعوقات الإدارية: (ب) معوقات إدارية متعلقة بمدرسة التدريب:

رقم العبارة	الإستجابة					قيمة كاي ^٢ المحسوبة	درجة الحرية	قيمة كاي ^٢ المقروعة	التفسير	النتيجة
	أوافق بشدة	أوافق	أوافق لحد ما	غير موافق	غير موافق بشدة					
١	٢٧	٢٥	١٥	٨	١	٣٢,١٥٨	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق بشدة
٢	٣٠	٣١	٩	٥	١	٥٣,٤٧٤	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق بشدة
٣	٣٧	٣٠	٣	٦	٠	٤٥,٧٨٩	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق بشدة
٤	١٨	٢٦	١٣	١٦	٣	١٨,٣٤٢	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق
٥	٢٤	١٩	١٦	١٧	٠	٢,٠٠٠	٤	٩,٤٨٨	غير دالة	لا توجد فروق
٦	٢٠	٢٢	١٤	١٧	٣	١٤,٦٥٨	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق
٧	٣٤	٢٣	٨	١٠	١	٤٥,٧١١	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق بشدة
٨	٣٢	٢٧	١٢	٥	٠	٢٥,١٥٨	٤	٩,٤٨٨	دالة	أوافق بشدة

قلة المكاتب الخاصة بالمعلمين في بعض مدارس التدريب ٤،٢٩ - ضعف اهتمام إدارات المدارس بطلاب التربية العملية وحل مشكلاتهم ٤،١٣ - التراخي من بعض إدارات مدارس التدريب يقلل من فرص تدريب الطلاب /المعلمين ٤،١١ - الكثير من المدارس الحكومية تعتبر طلاب التربية العملية غير مؤهلين للعمل بمدارسهم ٤،٠٤ - لا تتوفر البيئة المناسبة بمدرسة التدريب ٣،٩١.

فيما يتعلق بالمعوقات الإدارية بمدرسة التدريب، تحصلت مشكلة قلة المكاتب الخاصة بالمعلمين في بعض مدارس التدريب المرتبة الأولى ويعزو الباحثون ذلك لعدم اهتمام الإدارات بحل مشاكل المدارس وتهيئة المكان المناسب للمعلمين، وبالتالي لا يتوفر المكان المناسب للطلاب المتدربين، خاصة عندما يحضر إليهم المشرف لا يجد مكاناً مناسباً لمناقشة الطلاب المتدربين أو لضيق المباني المدرسية .

احتلت مشكلة ضعف اهتمام إدارات المدارس بطلاب التربية العملية وحل مشاكلهم المرتبة الثانية . ويعزو الباحثون ذلك ربما لنظرة بعض إدارات المدارس للمتدربين والاستهانة بهم. أو ربما لعدم وضوح فلسفة التربية العملية لدى الإدارات المدرسية .

بالنسبة لمشكلة التراخي من بعض إدارات المدارس وتقليلها من فرص تدريب الطلاب/المعلمين احتلت المرتبة الثالثة. هذه المشكلة توافق المشكلة السابقة ويرى الباحثون أن إجابات المشرفين جاءت من منطلق ملاحظتهم، وربما تكون بعض الإدارات غير مهتمة بتدريب الطلاب مما يترتب على ذلك عدم اهتمام الطلاب المتدربين بالفترة التدريبية. توافق هذه الفقرة الكثير من الدراسات السابقة.

احتلت مشكلة أن غالبية مدارس التدريب تعتبر الكثير من طلاب التربية العملية غير مؤهلين للعمل بمدارسهم المرتبة الرابعة. يرى الباحثون أنه قد يكون نتيجة لضعف أداء بعض الطلاب المتدربين في بعض السنوات، أو أن بعض الإدارات لا تعتبر الطالب/المعلم بديلاً عن المعلم الأساسي .

جاءت مشكلة عدم صلاحية البيئة المدرسية المناسبة بمدارس التدريب في المرتبة الخامسة . يستدل الباحثون من هذه المشكلة أن هنالك بعض المدارس غير صالحة للتدريب وأن بعض الإدارات لا تهتم بإجراء التربية العملية. وتتفق هذه الفقرة مع كثير من الدراسات السابقة .

الجدول (١٤) أدناه يوضح بقية متوسطات المعوقات الإدارية المتعلقة بمدرسة التدريب التي لم يتم ادراجها ضمن أبرز المعوقات المذكورة أعلاه:

رقم العبارة	العبارة	المتوسط
٤	ضعف العلاقة بين معلم مدارس التدريب والطلاب /المعلمين	٣,٥٣
٥	زيادة العبء التدريسي على الطلاب المعلمين في بعض مدارس التدريب	٣,٦٦
٦	الإلتطباع السالب من التلميذ تجاه الطلاب/ المعلمين	٣,٥١

جدول (١٥) : التكرارات التي تم الحصول عليها من إجابات أفراد العينة حول عبارات المحور الثالث: المعوقات المالية:

رقم العبارة	العبارات	الإستجابة			
		أوافق بشدة	أوافق	أوافق لحد ما	غير موافق
١	قلة الميزانية المعتمدة للتربية العملية بكلية التربية	٥٤	١٢	٧	٣
٢	قلة مصادر دخل الكلية	٢٩	٢٢	١٧	٨
٣	قلة توفر القاعات المهيئة لتنفيذ فترة التهيئة للتربية العملية بكلية التربية	٤٠	٢٣	٦	٥
٤	التكاليف الباهظة للتربية العملية	٢٣	٢٢	١٥	١٢
٥	بطء تنفيذ المعاملات المالية الخاصة بالتربية العملية	٣٥	٢٢	١٣	٦
٦	نظم المكافآت للمشرفين والإداريين للتربية العمية غير واضحة	٣٥	٢٤	٨	٧

رقم العبرة	العبارات	الإستجـابة			
		أوافق بشدة	أوافق	أوافق لحد ما	غير موافق بشدة
٧	التكاليف الباهظة لتوفير الترحيل المنتظم للتربية العملية	٢٢	١٩	٢٠	١٤
٨	التربية العملية تحتاج لمعدات ووسائل وأدوات مكتبية وقاعات مهئية	53	١٧	٦	٠

من نتيجة الجدول (١٦) نلاحظ أن قيمة كالمحسوبة أكبر من كالمقروءة من الجداول الإحصائية في جميع العبارات. وقد حصلت جميع العبارات على تكرارات كبيرة في أوافق بشدة، ونتيجة لهذه الموافقة فمن الممكن اعتبار أكبر المعوقات تنحصر في الجوانب المالية . ومن النتائج المذكورة أعلاه يتضح أن أهم المعوقات المالية مرتبة من قبل الباحثين وفقاً لمتوسطاتها حسب آراء أفراد العينة كالآتي:- التربية العملية تحتاج لمعدات ووسائل وأدوات مكتبية وقاعات مهئية ٤,٦٢ - قلة الميزانية المعتمدة للتربية العملية ٤,٥٤ - قلة توفر القاعات المهئية لتنفيذ فترة التهيئة للتربية العملية ٤,٢٤ - بطء تنفيذ المعاملات المالية الخاصة

بالتربية العملية ٤,١٣ نظم المكافآت للمشرفين والإداريين للتربية العمية غير واضحة ٤,٠٩ - قلة مصادر دخل الكلية ٣,٩٥.

جدول (١٦) : قيمة كآ المحسوبة و كآ المقروعة والتفسير والنتيجة بالنسبة لعبارات المحور الثالث: المعوقات المالية:

رقم لعبرة	الإستجـابة					قيمة كآ لمحسوبة	درجة لحرية	قيمة كآ لمقروعة	لتفسير	النتيجة
	أوفق بشدة	أوفق	أوفق لحدا ما	غير موفق	غير موفق بشدة					
١	٥٤	١٢	٧	٣	٠	88.105	٤	٩,٤٨٨	دلة	أوفق بشدة
٢	٢٩	٢٢	١٧	٨	٠	12.316	٤	٩,٤٨٨	دلة	أوفق بشدة
٣	40	23	٦	٥	٢	68.342	٤	٩,٤٨٨	دلة	أوفق بشدة
٤	٢٣	٢٢	١٥	١٢	٤	15.974	٤	٩,٤٨٨	دلة	أوفق بشدة
٥	٣٥	٢٢	١٣	٦	٠	24.737	٤	٩,٤٨٨	دلة	أوفق بشدة
٦	٣٥	٢٤	٨	٧	٢	50.184	٤	٩,٤٨٨	دلة	أوفق بشدة
٧	٢٢	١٩	٢٠	١٤	١	18.868	٤	٩,٤٨٨	دلة	أوفق بشدة
٨	53	١٧	٦	٠	٠	47.711	٤	٩,٤٨٨	دلة	أوفق بشدة

يتبين من الترتيب السابق للمعوقات المالية، أن المعوقات حسب رأى أفراد

الدراسة أن التربية العملية تحتاج إلى معدات ووسائل وأدوات جاءت المرتبة

الأولى. يرى الباحثون أن برنامج التربية العملية يحتاج إلى وسائل وأدوات، لأن هذه الاحتياجات تساعد في تنفيذ العديد من الأساليب الحديثة التي تساعد في عملية التدريب بصورة مجدية مثل التدريس المصغر، ويعزو الباحثون ذلك لعدم توفر الإمكانيات المادية بكليات التربية.

جاءت قلة الميزانية المعتمدة للبرنامج في المرتبة الثانية. بينما احتل عامل بطء تنفيذ المعاملات المالية الخاصة بالتربية العملية في المرتبة الثالثة. يعزو الباحثون ذلك لعدم تفهم إدارات الجامعات بحجم وأهمية التربية العملية و دورها في تدريب و تأهيل الطالب/المعلم للتدريس .

جاءت عبارة أن نظم المكافآت للمشرفين و الإداريين غير واضحة في المرتبة الخامسة وقلة مصادر دخل الكليات في المرتبة السادسة. بينما جاءت إجابات المشرفين أن نظم المكافآت غير واضحة لوجود تناقض في المكافآت فأحياناً تكون مناسبة لحجم العمل وأحياناً تصبح غير ذلك. يعزو الباحثون هذا لعدم وجود رؤية واضحة وخطة من إدارة البرنامج وإدارة الكلية لتحديد حجم ما يقوم به الإداريون والمشرفون على البرامج . وبالنسبة لقلّة مصادر دخل الكليات -وجاءت في المرتبة السابعة - يرى الباحثون أنها ربما ترجع لعدم حرص كليات التربية على الاهتمام بتنويع مصادر دخلها .

الجدول (١٧) : أدناه يوضح متوسطات المعوقات المالية التي لم يتم إدراجها ضمن أبرز المعوقات المذكورة أعلاه:

رقم العبارة	العبارة	المتوسط
٤	التكاليف الباهظة للتربية العملية	٣,٦٣
٧	التكاليف الباهظة لتوفير الترحيل المنتظم للتربية العملية	٣,٦٢

جدول (١٨) : نتيجة اختبار "ت" لمتوسط عينتين مستقلتين للمقارنة بين آراء أفراد العينة حول المعوقات المهنية حسب متغير المؤهل:

المحور	مجموعتي المقارنة	الوسط الحسابي	الإحراف المعياري	قيمة "ت" المحسوبة	درجة الحرية	القيمة الاحتمالية	التفسير	النتيجة
المعوقات المهنية	ماجستير	46.34	7.20	١٨٨.	٧٤	.851	غير دالة	لا توجد فروق
	دكتوراة	45.98	8.81					

يوضح الجدول رقم (١٨) أن متغير المؤهل لم يكن ذا تأثير على آراء أفراد العينة حول وجود المعوقات المهنية لأن قيمة "ت" المحسوبة جاءت أقل من قيمة "ت" المقروءة من الجداول الإحصائية أمام درجة حرية ٧٤ وتحت مستوى دلالة ٠,٠٥ والتي تساوي ١,٩٩. أي أنه لم تظهر أي فروق ذات دلالة إحصائية بين المتوسطات الحسابية لأفراد العينة من حملة الماجستير والذين يحملون مؤهل الدكتوراة، وهذا يوضح تطابق الآراء حول وجود المعوقات المهنية وتشير هذه النتيجة إلى أن متغير المؤهل لم يكن ذا تأثير على النتيجة المتحصلة حول المعوقات المهنية.

جدول رقم (١٩) يوضح نتيجة اختبار "ت" لمتوسط عينتين مستقلتين للمقارنة بين آراء أفراد العينة المعوقات الإدارية داخل الكلية حسب متغير المؤهل:

المحور	مجموعي المقارنة	الوسط الحسابي	الإحراف المعياري	قيمة "ت" المحسوبة	درجة الحرية	القيمة الاحتمالية	التفسير	النتيجة
المعوقات الإدارية داخل الكلية	ماجستير	47.93	7.68	.294	٧٤	.769	غير دالة	لا توجد فروق
	دكتوراة	47.34	8.97					

من نتائج الجدول (١٩) يتضح أنه لم تظهر أي فروق ذات دلالة إحصائية بين المتوسطات الحسابية لأفراد العينة من حملة الماجستير والذين يحملون مؤهل الدكتوراه، وهذا مما يوضح تطابق آرائهم حول المعوقات الإدارية داخل الكلية، وتشير هذه النتيجة إلى أن متغير المؤهل لم يكن ذا تأثير على النتيجة المتحصلة حول المعوقات الإدارية داخل الكلية.

جدول (٢٠): نتيجة اختبار "ت" لمتوسط عينتين مستقلتين للمقارنة بين آراء أفراد العينة حول المعوقات الإدارية المتعلقة بالمدرسة حسب متغير المؤهل:

المحور	مجموعي المقارنة	الوسط الحسابي	الإحراف المعياري	قيمة "ت" المحسوبة	درجة الحرية	القيمة الاحتمالية	التفسير	النتيجة
معوقات إدارية متعلقة بالمدرسة	ماجستير	32.83	4.99	1.362	٧٤	.177	غير دالة	لا توجد فروق
	دكتوراة	30.91	6.46					

من نتائج الجدول رقم (٢٠) يتضح أنه لم تظهر أي فروق ذات دلالة إحصائية بين المتوسطات الحسابية لأفراد العينة من حملة الماجستير والذين يحملون مؤهل الدكتوراه، وهذا مما يوضح تطابق آرائهم حول المعوقات الإدارية المتعلقة بالمدرسة، وتشير هذه النتيجة إلى أن متغير المؤهل لم يكن ذا تأثير على النتيجة المتحصلة حول المعوقات الإدارية بالمدرسة.

جدول (٢١): نتيجة اختبار "ت" لمتوسط عينتين مستقلتين للمقارنة بين آراء أفراد العينة حول المعوقات المالية حسب متغير المؤهل:

المحور	مجموعتي للمقارنة	الوسط الحسابي	الإحراف المعياري	قيمة "ت" المحسوبة	درجة الحرية	القيمة الاحتمالية	التفسير	النتيجة
المعوقات المالية	ماجستير	33.79	4.87	1.083	٧٤	.282	غير دالة	لا توجد فروق
	دكتوراه	32.43	5.62					

من نتائج الجدول رقم (٢١) يتضح أنه لم تظهر أي فروق ذات دلالة إحصائية بين المتوسطات الحسابية لأفراد العينة من حملة الماجستير والذين يحملون مؤهل الدكتوراه، وهذا مما يوضح تطابق آرائهم حول المعوقات المالية، وتشير هذه النتيجة إلى أن متغير المؤهل لم يكن ذا تأثير على النتيجة المتحصلة حول المعوقات المالية .

بالإشارة للجدول أعلاه (١٨-١٩-٢٠-٢١-٢٢) يلاحظ الباحثون أنه لم يتحقق السؤال رقم (٤) والذي فحواه هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد الدراسة في نظرهم لأكثر المعوقات التي تواجه التربية العملية في بعض كليات التربية السودانية تبعاً لمتغير المؤهل العلمي .

جدول (٢٢): ترتيب المحاور وفقاً لمتوسطاتها الحسابية:

المتوسط	المحور
٤٧,٥٧	المعوقات الإدارية دخل الكلية
٤٦,١٢	المعوقات المهنية
٣٢,٩٥	المعوقات المالية
٣١,٦٤	معوقات إدارية متعلقة بمدرسة التدريب

يتبين من الجدول رقم (٢٢) أن المحور الخاص بالمعوقات الإدارية داخل الكلية، جاء في الترتيب الأول، حيث بلغ متوسط هذا المحور ٤٧,٥٧ وجاء محور المعوقات المهنية في الترتيب الثاني وبلغ متوسط هذا المحور ٤٦,١٢ ، ثم جاء محور المعوقات المالية في الترتيب الثالث إذ بلغ متوسط هذا المحور ٣٢,٩٥. وأخيراً المعوقات الادارية المتعلقة بمدرسة التدريب. مما يلفت الأنتباه هنا أن الصعوبات المادية جاءت في المرتبة الثالثة، وهذا على غير المؤلف إذ أنه دائماً ما تكون الصعوبات المادية هي العقبة الأولى أمام أي توجهات طموحة في مجال التدريب بصفة خاصة، مما يشير إلى أهمية الاهتمام بالنواحي الإدارية والدورات التدريبية.

التوصيات :

في ضوء نتائج الدراسة يوصي الباحثون بما يلي :

١. ضرورة توفير معامل لطرق التدريس والتعليم المصغر في كليات التربية السودانية .
٢. اعتماد أسلوب الكفايات التدريسية في اعداد وتدريب المعلم بكليات التربية، وتنمية الكفايات والمهارات التدريسية بـ صور أفضل.
٣. التكامل الوظيفي بين الإعداد الأكاديمي والتطبيق العملي داخل الكلية والمدرسة.
٤. اعتماد مقرر لدراسة تحليل منهج المرحلة التي يتم اعداد الدارسين للعمل بها، ضمن المقررات المعتمدة بكليات التربية، مما يجعل الطلاب/المعلمين ملمين بأهداف ومحتوى الكتب المدرسية من حيث المادة العلمية والوسائل والأنشطة .
٥. زيادة عدد الزيارات الإشرافية على الطلاب المتدربين .
٦. زيادة عدد الساعات المعتمدة للتربية العملية بحيث لا تقل عن ١٠ ساعات.
٧. ضرورة تكوين إدارة خاصة للتربية العملية من ذوى الكفاءة العلمية والدقة وحب العمل والتفاني، لتقوم بعملية التخطيط والإعداد ومتابعة التنفيذ وتسهم في إعداد الدراسات والبحوث، على أن تكون وحدة إدارية مستقلة تابعة لعميد الكلية.
٨. وضع دليل شامل للتربية العملية تُحدد فيه مراحل التربية العملية وأهدافها وأهميتها .
٩. ضرورة مراجعة نظام الاشراف على المتدربين في كليات التربية السودانية

١٠. وضع خريطة تحدد مواقع المدارس الصالحة لتدريب الطلاب، ويتم ذلك بالتعاون مع إدارات التعليم .
١١. اعتماد ميزانية كافية للتربية العملية وفق خطة واضحة .

المصادر والمراجع:

- حمدان على نصر وآخرون ٢٠٠٣م: "فاعلية برنامج التربية العملية لتخصص معلم المجال في كلية التربية من وجهة نظر المشرفين والطالبات المعلمات ومديرات المدارس المتعاونة"، المجلة التربوية، جامعة الكويت ، ص ص ٢٧ - ٢٨ .
- روضة أحمد عمر ١٩٩٠م: بعض مشكلات طلاب كلية التربية بجامعة أدمرمان الإسلامية أثناء أداء التربية العملية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أدمرمان الإسلامية.
- زين العابدين حسن محجوب ٢٠٠٣م: واقع ومعوقات برامج التربية العملية في كليات التربية بالسودان، ورقة قدمت في ورشة عمل تقويم برامج كلية التربية بجامعة نيالا.
- سعاد عبد الرحيم البشير ١٩٩٣م: التربية العملية ودورها في العملية التربوية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخرطوم.
- عامر عبد الله سليم الشهراني ١٩٩٧م: "مشكلات التربية الميدانية بكلية التربية كما يراها كل من المشرفين والطلاب المتدربين"، السجل العلمي لندوة التربية الميدانية بين الواقع والمأمول، كلية التربية، جامعة الملك سعود، الرياض.
- عبد اللطيف الحلبي ومهدي محمود سالم ١٩٩٦م: التربية الميدانية وأساسيات التدريس، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١.
- عصام الدين عبد الرحيم حجاج ١٩٩٨م: تقويم وتطوير التربية العملية بكلية التربية - جامعة أفريقيا العالمية، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أفريقيا العالمية، الخرطوم.

- علي حمود علي ٢٠٠٨م: "رؤى مستقبلية للتربية العملية في برنامج إعداد المعلمين في ضوء التحديات المعاصرة"، ندوة التربية العملية بكليات التربية السودانية المشاكل والحلول، لجنة الدراسات التربوية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بخت الرضا.

- محمد الطيب الطاهر السمانى ٢٠٠٦م: تقويم برنامج التربية العملية في ضوء الأهداف، دراسة حالة لكلية التربية - جامعة الجزيرة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزيرة، ودمدني .

- نصر الدين عباس رضوان ٢٠٠٤م: نموذج مقترح لتطوير مادة التربية العملية فى كليات التربية السودانية، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة الخرطوم .

- نعمات حسين الحسن ٢٠٠٦م: تقويم برنامج التربية العملية بكليات التربية فى الجامعات السودانية.

اللوائح الأكاديمية:

- لائحة كلية التربية (الحصاحيصا)، جامعة الجزيرة، ٢٠٠٩م .

- لائحة كلية التربية جامعة الخرطوم ٢٠٠٣م ولائحة الإصلاح الأكاديمي ٢٠٠٧م .

- لائحة كلية التربية جامعة جوبا، ٢٠٠٤م .

- لائحة كلية التربية (دنقلا)، جامعة دنقلا، ١٩٩٥م تعديل ٢٠٠٢م .

انتشار مرض الملاريا في البيئات الحارة الجافة الولاية الشمالية - السودان) - محلية مروى

د. السيد بخت أحمد بخت

أ.مساعد، قسم الجغرافيا

كلية الآداب والدراسات الإنسانية - جامعة دنقلا

مقدمة:

إن مرض الملاريا من أكثر أمراض البيئات الحارة فتكاً بأرواح البشر. وينتشر في قارة أفريقيا بصورة كبيرة حيث تتوفر البيئة الصالحة لتوالد البعوض الناقل له من دفء ورطوبة علاوة على وجود المياه الراكدة في البرك والمستنقعات الناتجة عن هطول الأمطار في فصل الصيف. وتعتبر الملاريا من الأمراض المتوطنة في أفريقيا، خاصة في المناطق الإستوائية وشبه الإستوائية والتي يقع السودان في نطاقها.

كما تعتبر الملاريا من أكبر المشاكل الصحية في العالم، حيث تفيد المعلومات الصادرة من منظمة الصحة العالمية بأن الملاريا تأتي في المرتبة الثالثة على مستوى العالم من مجمل الحالات المرضية، وقد وُجِدَ إن حالات الملاريا تتراوح ما بين ٣٠٠-٥٠٠ مليون حالة في العالم وتقع معظمها في إفريقيا حيث ينال الأطفال في إفريقيا النصيب الأكبر من هذه الأرقام، تقدر الوفاة سنوياً بواحد مليون حالة بين الاطفال وخاصة بين أطفال الدول الأفريقية الفقيرة.

يعتبر مرض الملاريا من الأمراض الخطيرة والفتاكة التي تنتشر في كل أرجاء السودان. ويصيب هذا المرض أعداداً كبيرة من السكان. ففي السودان تمثل الملاريا حوالي ٣٠% من أسباب تردد المرضى للمستشفى وحوالي ٣٠% من أسباب دخول المرضى للمستشفى، وحوالي ١٠% من أسباب الوفيات المسجلة

بالمؤسسات الصحية . تقدر الإصابة سنوياً بسبعة مليون حالة مرضية و ٣٥ ألف حالة وفاة . هناك فترة حضانة لمرض الملاريا وهي الفترة التي تمتد من وقت لسعة البعوضة حتى ظهور الأعراض على الشخص، وتتراوح هذه الفترة بين ١٠ الي ١٥ يوم. فالملاريا مرض طفيلي ينتقل من الشخص المصاب بالملاريا إلى الشخص السليم عن طريق لسعة البعوضة التي تمتص طفيل الملاريا وتنقله إلي الشخص السليم . هنالك أنواع كثيرة من البعوض لكن الذي ينقل الملاريا هو أنثى الانوفليس(طارق عبد القادر ٢٠٠٦م).

غير أن منطقة الدراسة تقع في شمال السودان في بيئة حارة جافة أي في النطاق الصحراوي الذي يصعب بقساوة بيئته الطبيعية تواجد البعوض وبالتالي المرض فيه بالكيفية التي نلاحظها الآن.

مشكلة البحث:

يعتبر مرض الملاريا من الأمراض المنتشرة في وسط وجنوب السودان وذلك لتوفر البيئة المحفزة لانتشار البعوض الناقل له. كما أن السلطات تسعى بشتى الطرق للحد من انتشاره في تلك المناطق ولم تفلح في ذلك. إلا أن إنتشار هذا المرض في البيئة الحارة الجافة لم يكن معروفاً خاصة في منطقة الدراسة قبل سبعينيات القرن العشرين. فالمنطقة يشقها نهر النيل في شريط ضيق تحفه الأراضي الصحراوية الجافة ، مما يجعل إمكانية انتشار المرض محدودة. لكن تلاحظ أن المرض في تصاعد منذ تلك الفترة نتيجة لبعض التغيرات في السلوك البشري و التعامل مع البيئة.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

١. التعرف على أسباب إنتشار مرض الملاريا في منطقة الدراسة.

٢. الوقوف على حجم إنتشار المرض وتصدره للأمراض المسببة في التردد على المستشفيات والمراكز الصحية والعيادات الخارجية.
٣. محاولة الربط بين انتشار المرض وصحة البيئة في منطقة الدراسة.
٤. النظر ما إذا كان لإنشاء سد مروى دور في زيادة توالد البعوض نتيجة لتراكم مياه البحيرة بمنطقة الدراسة.

فروض البحث:

- للتحقق من الغاية من البحث في انتشار مرض الملاريا في البيئات الحارة الجافة، وضعت الدراسة الفروض التالية :
١. إنشاء سد مروى (٢٠٠٨م) وتكوّن بحيرته أدى إلى توالد وتزايد البعوض.
 ٢. عدم وجود حملات مكافحة للبعوض الناقل زاد من حجم الإصابات بالمرض.
 ٣. توفر البيئة الصالحة بالمنازل ساعد على تكاثر البعوض.

طرق وأساليب البحث:

أتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على الملاحظة وتحليل البيانات والإحصاءات الخاصة بموضوع البحث من إدارة الصحة والتقارير الصحية السنوية ، إضافة إلى الاعتماد على الدراسة الحقلية بتوزيع إستبانة على مجتمع منطقة الدراسة. اشتملت الإستبانة على محورين الأول بيانات شخصية والثاني عن المرض وانتشاره .

منطقة الدراسة:

تعتبر محلية مروى إحدى محليات الولاية الشمالية بالسودان، وتقع بين دائرتي عرض ١٧° شمالاً و ٢٠° شمالاً وخطي طول ١٥٠° و ٣٠° شرقاً و ٣٥° و ٣٢° شرقاً (أنظر خريطة ١) ، وتقع على الحدود الجنوبية للولاية ضمن النطاق الصحراوي وتتمثل الحياة فيها على ضفتي النيل المحاطتين بالتلال أو الرمال الصحراوية.

مفهوم الجغرافيا الطبية:

تتبع دراسة إنتشار مرض الملاريا إلى الجغرافيا الطبية. فهي العلم الذي يتم فيه تطبيق الأساليب الجغرافية على المشكلات الصحية، وذلك لإبراز التوزيع المكاني لأنماط الأمراض المرتبطة بالإنسان. ويرى البعض أنها علم مستقل يركز على دراسات الأمراض المعقدة والمركبة ذات العوامل المتعددة ومنصبة على الصحة العامة كخدمة إنتاجية العمل لتنمية الإقتصاد القومي (Mcglashan1972, p.5).

لقد كان للتقدم المستمر للعلوم الطبية بمختلف فروعها دور في تطور الجغرافية الطبية خاصة التقدم في الدراسات الإيكولوجية للأمراض والطفيليات المسببة لها والكائنات الحية المختلفة الناقلة أو الخازنة لها ولعل أقرب علم للجغرافيا الطبية هو علم الوبائيات "Epidemiology" (وهو علم دراسة الأمراض وظواهرها الطبيعية) (صلاح الدين أحمد عبد الرحيم ١٩٨٩م، ص ٩).

مرض الملاريا:

إن المرض هو إنحراف عن الحالة الطبيعية للجسم إلى الحد الذي تصبح فيه الفعاليات الفسيولوجية للأنسجة غير كافية لإعادة الجسم لحالته الطبيعية (حكمت فريحات وآخرون ١٩٩٠م، ص ٣٣٠).

لازمت الملاريا الإنسان منذ مراحل حياته ويعتقد أنها نشأت في أفريقيا حيث عُثر في بعض الحفريات على بعوض في تراكيب جيولوجية عمرها ثلاثين مليون سنة (عبد العزيز طريح شرف ١٩٨٦م، ص ٢٣٧).

كانت أوبئة الملاريا تضرب مناطق واسعة من العالم وتحصد ملايين الأنفس. ونظراً للعلاقة بين انتشارها ووجود المستنقعات والمياه الراكدة فقد كان اليونانيون والرومان وغيرهم من الشعوب الأوربية يهتمون بتجفيف أراضيهم المغمورة من أجل مقاومة هذا المرض (سلوى السيد ١٩٩٤م، ص ٩).

انتشار الأمراض:

إن بعض أنواع المناخ يساعد على إنتشار أمراض معينة ، ويعتبر المناخ الحار الرطب من أسوأ أنواع المناخ من هذه الناحية لأنه يساعد على تحلل المواد العضوية ونمو الجراثيم والميكروبات والحشرات و إنتشارها (عبد العزيز طريح شرف ١٩٦٦م، ص ١١). هنالك أمراض تعتمد في إنتقالها على بعض الخصائص المائية، إذ أن الماء يوفر بيئة ملائمة لبعض الطفيليات من أشهرها البلهارسيا و بعض أمراض الكبد. فالماء يمثل بيئة مثالية لنمو يرقات الحشرات التي تنقل الأمراض من اهمها البعوض الذي ينقل بعض الأمراض الخطيرة مثل الملاريا (طارق محمد ٢٠٠٨م، ص ٩٣).

يعاني السودان من مشكلة انتشار الأمراض المعدية والأوبئة التي تستنزف قدراً كبيراً من موارد الدولة وموارد كل أسرة كالملاريا والتيفويد والنزلات المعوية واليرقان المعدي والبلهارسيا وغيرها وجميعها مرتبطة بتدهور صحة البيئة (عيسى محمد عبد اللطيف ١٩٩٣م، ص ١٤٥). إن أبوقراط هو أول من وصف حمى الملاريا والرومان أول من أتخذوا إجراءات وقائية (محمد مدحت الشافعي ١٩٨٤م). تمثل الملاريا مرضاً بيئياً حيث أن انتشارها يتوقف على توفر البيئة الطبيعية والبشرية الملائمة لها و من أهم شروط انتشارها:

١. وجود مرضى أو حاملين للميكروب.
 ٢. وجود أعداد كافية من إناث بعوضة الأنوفيليس Anopheles
 ٣. وجود مسطحات مائية راکدة ملائمة لتوالد البعوض وتكاثره.
 ٤. دفء الجو ورطوبته لأن المرض لا ينتشر في الأقاليم الباردة.
 ٥. عدم الإرتفاع كثيراً عن مستوى سطح البحر.
- فالملاريا تتوطن بعض المناطق بكثافة عالية ، و تتوطن مناطق أخرى بكثافة متوسطة .

مناطق شديدة التوطن:

تحدث إصابات المرض في أي وقت من السنة مع إحتمال تركزه في فصل معين وهو الفصل الذي تجتمع فيه الحرارة والأمطار وتشمل النطاق الإستوائي وشبه الإستوائي في كل من:

- أفريقيا.

- جنوب شرق آسيا.

- أمريكا الجنوبية.

وتكون لدى السكان الأصليين عادة حصانة طبيعية ضد المرض فيندر إنتشاره بينهم بشكل وبائي، بينما الوافدون أكثر عرضة للإصابة.

مناطق متوسطة التوطن:

فيها تتركز الإصابات في فصل معين من السنة وعادة هو فصل الحرارة كما في:

- دول شمال أفريقيا (بخاصة مصر وشمال الجزائر) حيث تتركز الملاريا في الفترة من مايو أو يونيو إلى أكتوبر.

- ودول غرب آسيا كما في تركيا ، سوريا ، إيران ، العراق وأفغانستان) حيث تتركز الإصابات من مارس إلى نوفمبر.(عبد العزيز طريح شرف ١٩٨٦م، ص ٢٤٠).

أنواع طفيل الملاريا:

- بلازموديوم ملاريا Plasmodium malaria.

- بلازموديوم فيفاكس Plasmodium vivax.

- بلازموديوم فالسيپارم Plasmodium falciparum.

- بلازموديوم اوفال Plasmodium ovale (طارق محمد ٢٠٠٨، ص ١٩٧-١٩٨).

أنواع البعوض: (Mosquitoes)

بالرغم من كثرة أنواع البعوض ، فإن القليل هو ما ينقل الأمراض وتقوم به الأنثى منه. بعض البعوض يفضل المياه الراكدة والبعوض الآخر يفضل المياه الجارية. يعيش البعوض في مختلف الأقاليم المناخية إلا أن أنواعه تفضل الأقاليم الحارة الرطبة والدافئة. بعض البعوض يتغذى على دم الإنسان والحيوان على حد سواء، و آخر لا يتغذى إلا على دم الإنسان وبعضها لا يتغذى إلا على دم الحيوان. فالنوع المنزلي هو الذي يتغذى على دم الإنسان و يختبئ في الأماكن المظلمة في البيت وخلف قطع الأثاث. من أهم فصائل البعوض هي الأنوفيليس منها حوالي ١٥٠ فصيل وما ينقل المرض ٣٠ صنفاً (طارق محمد ٢٠٠٨م، ص ١٤٢-١٤٤).

الملاريا في السودان:

تعتبر الملاريا من الأمراض المتوطنة في جميع أنحاء السودان ويختلف هذا التوطن من قليل في الشمال ومتوسط في الوسط وكثيف في الجنوب. تجدر الإشارة إلى أن ٨٠% من سكان السودان يقطنون في مناطق قابلة للتفجيرات الوبائية تتأرجح فيها نسبة الإصابة إرتفاعاً وإنخفاضاً على مدار السنة، وأن طفيل البلازموديوم فالسبرم يتسبب في ٩٠% من حالات الإصابة.

يشير التقرير الإحصائي الصحي السنوي إلى أن آخر دراسة ومسح شامل للملاريا في السودان قام بها الأستاذ وولتر فيرنسدافر في بداية ستينيات القرن الماضي، تمثل بعوضة الأنوفيليس أربينسس الناقل الأساس وتوجد أنواع أخرى.

بدأ مسح مؤشرات الملاريا بالسودان ٢٠١٢م بكل ولايات السودان تحت شعار (المعلومات الصحية من أجل تحسين الاداء) ويستهدف المسح ٥٨٧٥ أسرة موزعة في ٣٠٠ عنقود والذي يحوى ٢٠ أسرة ويتم من خلال دراسة الافراد بالاسرة . وقال د/خالد عبد المطلب المنسق القومى لبرنامج مكافحة الملاريا أن المسح يهدف لجمع معلومات لتكون الأساس العلمى للفترة (٢٠١٢-٢٠١٦م)

والتعرف على التدخلات المناسبة للملاريا مثل وضع الناموسيات المشبعة والعلاج المجاني وأنشطة التوعية الصحية بجانب قياس معدل إنتشار الملاريا والحصول على نتائج تعين على التخطيط الاستراتيجي للملاريا ، ويستمر المسح حتى ١٥ يناير ٢٠١٣م (وزارة الصحة القومية، برمامح مسح مؤشرات الملاريا ٢٠١٢م).
يقدر عدد الإصابات بالملاريا في السودان ب ٧,٥ مليون سنوياً يتوفى منها ٣٥ ألف شخص ، وهذا يضع الملاريا في قمة العشرة أمراض الأكثر تردداً على العيادات الخارجية وكذلك الوفيات (التقرير الصحي السنوي السوداني ٢٠٠٣م).
كما يشير التقرير إلى أن أكثر عشرة أمراض تردداً على العيادات الخارجية بالسودان الحالي تتصدرهم الملاريا بأكبر نسبة كما بالجدول (١) التالي:
جدول (١) الأمراض العشرة الأكثر تردداً على العيادات الخارجية بالسودان

الرقم	نوع المرض	النسبة المئوية
١	الملاريا	١٦%
٢	جهاز تنفسي	١٢%
٣	إسهالات ونزلة معوية	١٠%
٤	دوسنتاريا	٧%
٥	نقص تغذية	٤%
٦	إلتهاب رئوي	٤%
٧	شعب هوائية	٤%
٨	جروح وإصابات	٤%
٩	لوز	٣%
١٠	أمراض الجهاز الهضمي الأخرى	٢%
	المجموع	٦٦%
	مجموع بقية الأمراض	٣٤%

المصدر: التقرير الصحي السنوي ٢٠٠٣م بتصريف

بينما لا توجد إحصاءات دقيقة منشورة من الوزارة في السنوات التي تلت ذلك العام إلا في مسح محدودة في العام ٢٠٠٥م ، والتي أفادت أنه فيما عدا مساحة صغيرة متاخمة لحدود السودان مع مصر فإن السكان في كل أنحاء السودان معرضون للإصابة بالمalaria ، تتفاوت التقديرات بين ٢٥% إلى ٥٠% وتتزايد كلما أتجهنا جنوباً. غير أن برنامج مكافحة وإستعمال الناموسيات المشبعة لم يشمل الولاية الشمالية (طارق عبد القادر ٢٠٠٦م).

يشير التقرير في الولاية الشمالية - التي تقع ضمنها منطقة الدراسة- إلى أن المalaria تنصدر الأمراض بالعيادات الخارجية كما مبين بالجدول (٢):
جدول (٢) الأمراض العشرة الأكثر تردداً على العيادات الخارجية بالولاية الشمالية

الرقم	نوع المرض	النسبة المئوية
١	المalaria	١٢%
٢	جهاز تنفسي	٧%
٣	إسهالات ونزلة معوية	٧%
٤	دوسنتاريا	١٠%
٥	نقص تغذية	٢%
٦	إلتهاب رئوي	١%
٧	شعب هوائية	٧%
٨	جروح وإصابات	٦%
٩	لوز	٣%
١٠	أمراض الجهاز الهضمي الأخرى	٧%
	المجموع	٦٢%
	بقية الأمراض	٣٨%

المصدر: التقرير الصحي السنوي ٢٠٠٣ م بتصرف

أما بالنسبة لأكثر الأمراض التي تتسبب في دخول المستشفيات بالسودان فيشير التقرير إلى أن الملاريا سجلت أعلى نسبة (٢١,١%) وهي أبعد عن أقرب نسبة مرض تسبب بالدخول (إلتهاب رئوي ١١,٢%). أيضاً يتصدر المرض أكثر حالات الوفيات بالمستشفيات بالسودان ومنطقة الدراسة (التقرير الصحي ٢٠٠٣م)

جدول (٣) إجراء فحص الدم في السودان ٢٠٠٣م:

غرض الفحص	الحالات	النسبة المئوية
ملاريا	١٠٨٥٩٥٣	٢٤,٣%
هيموقلوبين	٦٠٤٢٢٢	١٣,٨٦%
كريات بيضاء	٢٥٠٥١٦٦	٥٧,٣٥%
تايفويد	٦٩٩٢	٠,١٦%
بولينا	٨١٤١	٠,١٩%
سكر	٢٧١٩٢	٠,٦٢%
أخرى	١٣٠٧٢٥	٢,٩٩%
جملة	٤٣٦٨٣٩١	١٠٠%

المصدر: التقرير الإحصائي الصحي السنوي ٢٠٠٣م، بتصرف من الباحث يؤكد الجدول (٣) أن فحص الدم بغرض الملاريا يأتي في المرتبة الثانية حيث يمثل ما نسبته ٢٤,٨٦% من جملة الفحوصات المسجلة. وأن النسبة الأعلى لفحوص الدم لكريات الدم البيضاء والمقترنة في كثير من الأحيان بفحص مرض الملاريا.

مرض الملاريا بمنطقة الدراسة:

يعتبر مرض الملاريا من الأمراض الدخيلة على منطقة الدراسة حيث أشارت إفادات بعض المسؤولين وكبار السن عن تاريخ دخول المرض والبعوض إلى المنطقة أنه لم تسجل أي حالة مرضية بالملاريا قبل عام ١٩٧٠م. يؤكد ذلك

دراسة كمال محمد ١٩٨٠ بمنطقة حلفا الجديدة التي تقع جنوب خط عرض منطقة الدراسة ، إذ أنه لم يعرف السكان مرض الملاريا إلا بعد إنشاء خزان خشم القربة في ١٩٦٣م لري مساحة ٢٢ ألف هكتار لزراعة قصب السكر (لمياء إبراهيم أحمد ١٩٩٨م، ص ١٣).

يعتقد الكثيرون أن إصابات الملاريا المسجلة في وزارة الصحة لا تمثل حقيقية حضور مرض الملاريا بشكله الوبائي على الرغم من أنها على رأس قائمة الوبائيات . فقد سجلت إحصاءات إدارة الوبائيات بمحلية مروى مجموع الإصابات بمستشفيات المحلية وبعض المراكز الصحية ، ولم يشمل التقرير العيادات الخارجية والمعامل ومراكز العلاج التابعة للتأمين الصحي. كما يبين الجدول (٤) فقد أشار إلى وجود مرض الملاريا بعدد إصابات في العام ٢٠١٢م بلغ ٥٨٦٠ مقارنة ب ١٨٢٦ إصابات التيفويد و ١٠٢٥ دسنتاريا و ١٠ حالات إسهالات. ويحتوي الجدول على تفاصيل الإصابات حسب أشهر السنة، علماً بأن إحصاء سكان المحلية للعام ٢٠١٢م يقدر ب ١٥٧٢٠٠ نسمة أي أن أكثر من ٣,٦% مصابين أو حاملين لمرض الملاريا وحده علاوة على الأرقام غير المسجلة.

جدول (٤) عدد حالات الإصابة بالوبائيات بمحلية مروى:

الشهر/ المرض	الملاريا	التيفويد	الدسنتاريا
يناير	٦٧٤	٢٠٠	٩٠
فبراير	٥١٧	١٩٩	٩٧
مارس	٤٥٨	١١٢	٧٤
أبريل	٤٥٠	١٣٨	٦٤
مايو	٤٧٨	١٢٢	٥٨
يونيو	٤٥٨	١٨٤	٨٦

الشهر / المرض	الملاريا	التيفويد	الدستاريا
يوليو	٥٦٩	١٥٠	٧٩
أغسطس	٦١٠	١٣٢	١٥١
سبتمبر	٤٨٥	١٣٢	٩٧
أكتوبر	٣٤٧	١٤٨	٦٠
نوفمبر	٤٨٥	٢٠٢	١٠٩
ديسمبر	٣٢٩	١٠٧	٦٠
المجموع	٥٨٦٠	١٨٢٦	١٠٢٥

المصدر: إدارة الشؤون الصحية ، محلية مروى ٢٠١٣م

يتبين من الجدول (٤) أن مرض الملاريا يسجل أعلى الأرقام حسب إحصاءات الأمراض في منطقة الدراسة، كما أن الإصابات متقاربة في كل شهر السنة بلا استثناء (شكل ١).

مراكز تلقي العلاج:

نعلم أن الطب البديل أصبح أحد سمات هذا العصر حيث اتجه العديد من سكان العالم الثالث بالتحديد إلى البحث عن العلاج بعيداً عن مؤسسات تلقي العلاج. غير أن عينة الدراسة لم توضح ذلك مع ملاحظتنا لذلك من خلال المعاشية لهذا المرض منذ فترة ليست بالقصيرة. وقد أبانت العينة أماكن تلقي العلاج كما بالجدول (٥).

جدول (٥) أين تذهب إذا شعرت بالمرض (حسب رأي عينة الدراسة):

النسبة	التكرار	المكان
٣٢%	١٦	مستشفى
٤٢%	٢١	مركز صحي
١٤%	٧	عيادة خارجية
٨%	٤	صيدلية
٤%	٢	أخرى
١٠٠%	٥٠	المجموع

العمل الميداني مارس ٢٠١٣م

فقد اختلفت آراء المبحوثين حول أماكن تلقي العلاج بمنطقة الدراسة وهذا يدل على مستوى الوعي لدى سكان المنطقة بأهمية إستشارة الطبيب عند الشعور بالمرض. حيث ان ٨٨% من عينة الدراسة يتجهون إلى القنوات الصحيحة لتلقي العلاج بينما ٨% يذهبون مباشرة إلى الصيدلية عند الشك بمرض الملاريا وذلك إما لكثرة إصابتهم بالمرض ومعرفة أعراضه أو لعدم مقدرتهم المالية لمقابلة الطبيب. أما ٤% فإنهم يستخدمون الطب البديل.

الأمراض بمنطقة الدراسة:

ففي سؤالنا للمبحوثين عن أكثر الأمراض التي أصابتك أو أحد أفراد أسرتك أشارت إجاباتهم إلى أن الملاريا تمثل أكثر الأمراض التي تصيبهم كما مبين بالجدول (٦) التالي:

جدول (٦) أكثر الأمراض التي تصيب المبحوثين أو أفراد أسرهم

المرض	التكرار	النسبة
المالريا	٣١	%٦٢
التيفويد	٦	%١٢
الإسهالات	٢	%٤
الالتهابات	٨	%١٦
أخرى	٣	%٦
المجموع	٥٠	%١٠٠

العمل الميداني مارس ٢٠١٣م

أبان الجدول (٦) مما لا يدع مجالاً للشك أن المرض في المنطقة أصبح وبائياً لا متوطناً حيث ان نسبة ٦٢% من جملة المبحوثين قد أصيبوا بالمالريا أو أحد أفراد أسرهم. ويعود ذلك حسب إفادة أطباء بمراكز المالريا أن الدولة لا تعير إهتماماً بالمرض بالولاية الشمالية لأنها على حد قولهم ليست ضمن حزام إنتشار المرض. تكرار الإصابة بالمرض:

نجد أن مرض المالريا كما أشرنا قد أصبح مرضاً متوطناً في بيئة حديثة، وعادة ما تتكرر الإصابة وفي سؤالنا على ذلك أختلفت الإفادات كما بالجدول (٧) جدول (٧) تكرار الإصابة بالمرض حسب رأي عينة الدراسة:

عدد المرات	التكرار	النسبة
أبداً	١٠	%٢٠
مرة واحدة	٢١	%٤٢
مرتان	١١	%٢٢
ثلاث مرات فأكثر	٨	%١٦
المجموع	٥٠	%١٠٠

العمل الميداني مارس ٢٠١٣م

يؤكد الجدول (٧) أن المرض أصبح متفشياً بين سكان منطقة الدراسة وذلك من خلال تكرار الإصابة بالمرض مرة أو مرتين أو أكثر، حتي الذين لم تصبهم الملاريا قد تكون أصابت بعض أفراد أسرهم.

نوع العلاج:

يختلف تناول العلاج لدى مرضي الملاريا بين تناول الأقراص أو الحقن أو العلاج البلدي (الطب البديل). فقد أفاد كل المبحوثين بتناول الأدوية الطبية لقناعتهم بجدوى هذا النوع وإن كانوا قد اختلفوا في نوع الدواء. فمنهم من يفضل الأقراص والبعض الآخر يفضل الحقن بنسبة ٨٢% للأقراص.

تكاثر البعوض بمنطقة الدراسة:

فمرض الملاريا يرتبط بانتقال المرض عبر وسيط وهو أنثى بعوض الأنوفليس التي توفرت لها البيئة الصالحة لتكاثرها. فقد أفادت إجابات عينة البحث إلى أن البرك والمستنقعات في فترة انحسار النيل وتقطع مياهه وتدفق المياه بالشوارع والزراعة من أسباب توالد البعوض إضافة إلى السبب الأساس الذي زاد من التوالد ظهور بحيرة سد مروى ، علاوة على نظم الصرف الصحي . ويبين الجدول (٨) أسباب تكاثر البعوض.

جدول (٨) أماكن تكاثر وتوالد البعوض حسب عينة الدراسة:

الموضع	التكرار	النسبة المئوية
البرك والمستنقعات	٦	١٢%
الشوارع والزراعة	٨	١٦%
بحيرة السد	١٧	٣٤%
الأحواض آبار السايفون	١٩	٣٨%
الجملة	٥٠	١٠٠%

العمل الميداني مارس ٢٠١٣م

يتضح من الجدول (٨) أن البرك والمستنقعات وتدفق المياه بالشوارع والمزارع شكل أقل نسب، بل وفي مجملها لا يصلان إلى نسبة تسبب بحيرة السد وأحواض السايفون في توالد البعوض. ومن الملاحظ أن من الأماكن التي يتواجد فيها البعوض بصورة لافتة للنظر هي المستشفيات.

تأثير بحيرة سد مروى:

من الملاحظ أن البعوض قد كثر وأصبح يشكل همماً كبيراً للعديد من الأسر خاصة التي تقطن على مقربة من السد. وقد أشارت أغلبية إجابات المبحوثين إلى أن البعوض إزداد بعد إنشاء سد مروى. كما مبين في الجدول (٩).

جدول (٩) إنتشار البعوض حسب رأي عينة الدراسة:

الفترة	التكرار	النسبة
قبل إنشاء سد مروى	٦	١٢%
بعد إنشاء سد مروى	٤٤	٨٨%
المجموع	٥٠	١٠٠%

العمل الميداني مارس ٢٠١٣م

يتضح أن نسبة ٨٨% من المبحوثين قد أشاروا إلى تأثير بحيرة السد وركود مياهها على زيادة معدلات توالد البعوض بمنطقة الدراسة. هذه الإفادة تؤكد ما ذهبنا إليه في فروض الدراسة في تزايد البعوض بعد إنشاء سد مروحي.

البيئة الصالحة لإختباء البعوض:

يبحث البعوض عن بعض المناطق التي يمكن أن يختبئ فيها خلال النهار. وهذه البيئة حسب إفادات عينة الدراسة متوفرة بنسبة ١٠٠%. وأوضحت الدراسة أن البيئة متوفرة بين أشجار المنازل والحدائق وأشجار الزراعة إضافة إلى الأماكن المظلمة بالمنازل كالحمامات وخلف الستائر والأثاث ومكيفات الهواء وغيرها. على الرغم من أن حرارة الطقس الشديدة في فترة الصيف تحد من تواجد البعوض في هذه البيئة.

فصول السنة التي يتواجد فيها البعوض:

تختلف قدرة البعوض على العيش في المناخات المختلفة بتقلباتها، ففي الغالب يفضل البعوض العيش في البيئات الحارة الرطبة. غير أن منطقة الدراسة حارة جافة مع ذلك تكاثر فيها البعوض. وفي سؤالنا عن الفصول التي يكثر فيها البعوض كانت إجاباتهم كما في الجدول (١٠) علماً بأن منطقة الدراسة تمتاز بفصلين فقط في السنة الصيف الحار الجاف والشتاء البارد.

جدول (١٠) أكثر فصول السنة التي يتواجد فيها البعوض حسب عينة الدراسة:

فصول السنة	التكرار	النسبة
الصيف	٤	٨%
الشتاء	٣٠	٦٠%
طول العام	١٦	٣٢%
المجموع	٥٠	١٠٠%

العمل الميداني مارس ٢٠١٣م

يتضح من إفادات المبحوثين ان فصل الصيف هو أقل فصول السنة الذي يتواجد فيه البعوض بينما تشير نسبة ٦٠% من إجابات المبحوثين بتواجد البعوض في فصل الشتاء وذلك نتيجة لإنخفاض درجات الحرارة ، كما أن ٣٢% يؤكدون وجود البعوض بكثرة طول العام.

مكافحة الملاريا بمنطقة الدراسة:

تعمل وزارة الصحة الاتحادية السودانية على وضع برامج لمكافحة ودرء الملاريا في جميع أنحاء السودان. غير أنها لم تكن بكفاءة وفاعلية، ولم تتوفر الكوادر العاملة في هذا المجال . فتقوم الوزارة بعمل مسوحات نوعية لمتابعة إنتشار المرض غير أن إفادات كل المبحوثين تشير إلى الغياب التام لمكافحة ورش البعوض بمنطقة الدراسة ويوضح الجدول (١١) هل تقوم إدارة الصحة بحملات رش ومكافحة البعوض.

جدول (١١) حملات مكافحة ورش البعوض حسب رأي المبحوثين:

النسبة	التكرار	حملات مكافحة
٠٠	صفر	توجد حملات
١٠٠%	٥٠	لا توجد حملات
١٠٠%	٥٠	المجموع

العمل الميداني مارس ٢٠١٣م

تؤكد عينة الدراسة غياب حملات الرش بنسبة ١٠٠% كتلك التي نلاحظها في المناطق التي تعتبر مناطق توطن لمرض الملاريا كما في ولايات وسط السودان وولاية الخرطوم. ففي إعتقادنا أن الوزارة لم تشعر بخطورة الموقف حتى الآن .

تأثير مرض الملاريا:

في سؤالنا عن مدى تأثير الملاريا على عمك و التحصيل الأكاديمي للطلاب فقد كانت غالبية إجابات المبحوثين إلى تأثير المرض على العمل بنسبة ٨٤% ونسبة ٩٤% على التحصيل الأكاديمي للطلاب.

النتائج والتوصيات:

توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج خلال المقابلات والملاحظة والإستبانة والمعاشية لموضوع البحث كالاتي:

١. تحول مرض الملاريا من مرض متوطن إلى وبائي نتيجة إنتشاره في البيئة الحارة الجافة.
 ٢. تأثير بحيرة سد مروى على زيادة وتكاثر البعوض في المنطقة لتوفر البيئة الصالحة لتكاثره من مياه راكدة أو شبه راكدة.
 ٣. زيادة الرطوبة الناتجة عن بحيرة السد خلق بيئة رطبة في النطاق الحار الجاف وساهمت بصورة أساسية في دورة حياة البعوض.
 ٤. إتجاه السكان نحو إستخدام أحواض السايفون في المنازل وري الحدائق دون وعي بخطورة ذلك وخلق بيئة لتوالد البعوض زاد من الأزمة.
 ٥. الوعي الصحي لدى سكان منطقة الدراسة جعلهم يتجهون إلى الأماكن الصحيحة لتلقي العلاج.
 ٦. عدم وجود حملات رش ومكافحة البعوض بمنطقة الدراسة.
 ٧. وجود البعوض في كل فصول السنة دون إختلاف رغم التفاوت في درجات الحرارة خلال السنة.
 ٨. يمثل مرض الملاريا أكثر الأمراض المقلقة لسكان المنطقة لتأثيره على كفاءة العمل والتحصيل الأكاديمي.
- بناءً على ماتقدم نوصي بالآتي:

١. أن تتكفل وحدة تنفيذ السدود بالسودان بمكافحة البعوض بمنطقة الدراسة.
٢. أن تقوم وحدة تنفيذ السدود بالسودان بتوفير علاج الملاريا لسكان منطقة الدراسة ، بل وتتابع برامج مكافحة الملاريا.
٣. تأهيل أفراد تابعين لوزارة الصحة للقيام بتنفيذ برنامج مكافحة ودرء الملاريا.
٤. توزيع الناموسيات المشبعة لسكان المنطقة مثلما يحدث في ولايات أخرى.
٥. معالجة مياه بحيرة السد بمنع توالد البعوض فيها بالرش من الجو.

المراجع:

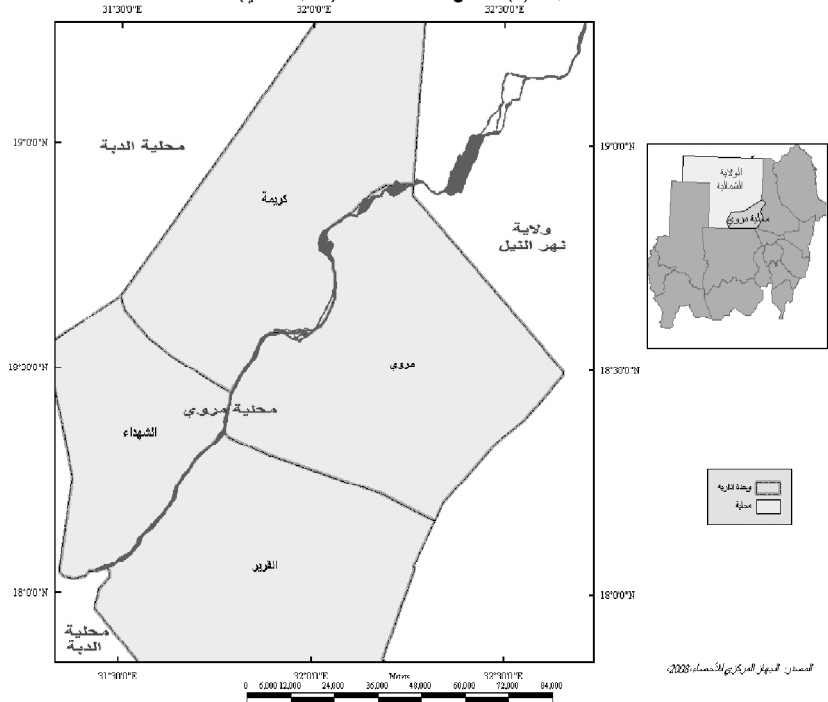
- حكمتفريجات وآخرون ١٩٩٠م، مبادئ الصحة العامة، عمان ، الأردن.
- سلوي السيد ١٩٩٤م، أثر التثقيف الصحي على المرأة (دراسة بمشروع الرهد الزراعي)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات البيئية - جامعة الخرطوم.
- صلاح الدين أحمد عبد الرحيم ١٩٨٩م، المبادئ العامة لعلم الوبائيات، وزارة الصحة، بغداد.
- طارق عبد القادر ٢٠٠٦م، الجهود المبذولة لمكافحة الملاريا في (Sudanese Journal of public Health.July 2006. Vol I, p251-253
- طارق محمد ٢٠٠٨م، البيئة ومحاور تدهورها، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
- عبد العزيز طري حشرف ١٩٦٦م ، الجغرافيا المناخية والنباتية، منشأة دار المعارف، الإسكندرية.
- _____ ١٩٨٦م، البيئة وصحة الإنسان في الجغرافيا الطبية، دار الجامعات العربية المصرية، الإسكندرية.

- عيسى محمد عبد اللطيف ١٩٩٣م ، المنظور البيئي للتنمية في السودان، شركة الأعمال المكتبية المحدودة، الخرطوم.
 - لمياء إبراهيم أحمد ١٩٩٨م، إنتشار حمى الملاريا بولاية الخرطوم، جامعة الخرطوم، رسالة ماجستير غير منشورة.
 - محمد مدحت الشافعي ١٩٨٤م، اللقاء الجغرافي الأول لأقسام الجغرافيا بجامعة المملكة العربية السعودية، "العلاقة بين طبيعة البيئة الجغرافية وحمى الملاريا"، مركز البحوث التربوية، مكة المكرمة.
- .Macglashan, N. D., 1972: Medical Geography, Methum & Co. Ltd, London

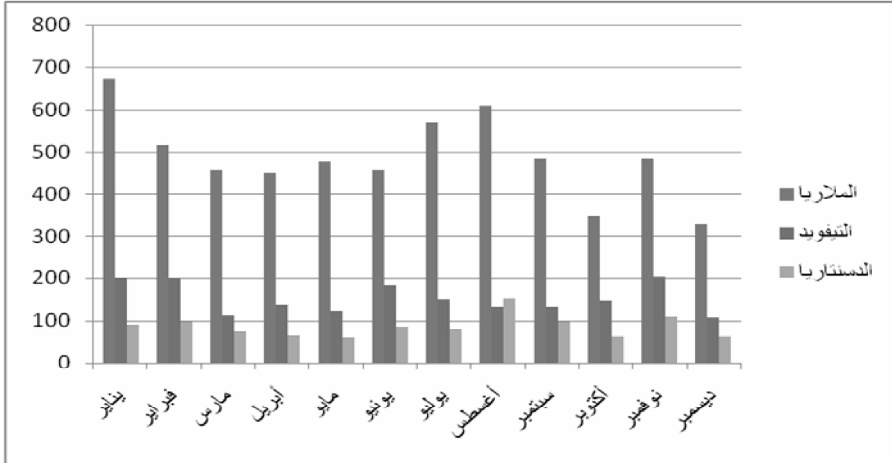
تقارير:

- إدارة الشؤون الصحية ، محلية مروي ٢٠١٣م.
- وزارة الصحة الإتحادية ، التقرير الصحي السنوي السوداني ٢٠٠٣م.

خريطة (1) موقع منطقة الدراسة (محلية مروي)



شكل (١) إحصاءات الأمراض الوبائية بمحلية مروى للعام ٢٠١٢م



رؤية حول الحقوق السياسية في مشروع الدستور السوداني

أستاذ مساعد - د. أكرم بابكر الشريف حمد

كلية الإقتصاد والعلوم الإدارية - جامعة دنقلا

المقدمة:

يعتبر الدستور بمثابة الكيان الأساسي الذي تتفرع منه القوانين، وكلاهما يشكل الأساس الذي يُحتكم إليه عند احتدام الخلاف، كما أن الدستور والقوانين تنظم العلاقات السياسية التي تتبلور في الحقوق والواجبات الخاصة بكل من الحاكم والمحكوم. وسنقف في هذه الدراسة على أهم هذه الحقوق - وهي الحقوق السياسية. ومما لا شك فيه أنها تتميز عن باقي الحقوق مثل "حقوق الإنسان" وغيرها من أنماط الحقوق الأخرى، من حيث الكيفية التي تمارس وتحفظ وتطبق بها تلك الحقوق.

تتلخص مشكلة الدراسة في عدم وضوح مفهوم الحقوق السياسية وإشكالية ممارسة هذه الحقوق والخلط بين حقوق الحكام وحقوق المحكومين السياسية، كما يهدف المقال إلى دراسة مفهوم الحقوق وكيفية تطبيقها وربط ذلك مع مفهوم المشاركة السياسية، فهي الوسيلة لتطبيق هذه الحقوق.

تتبع أهمية الدراسة من سعيها لتوفير قدر من الرؤية الواضحة لفض الجدل الدائر في الساحة السياسية السودانية عن الدستور المرتقب لهذا البلد، ومشكلات

التتقيف بأهم الحقوق السياسية المضمنة في الدستور. تؤسس هذه الدراسة على فرضيتين أساسيتين؛ أولاهما أن وضوح الحقوق وصياغتها داخل الدستور يدعم قوته، والثانية تتلخص في أن الحقوق السياسية هي الركيزة الأساسية التي تقوم عليها المشاركة السياسية.

تعريف الدستور:

عرف أرسطو الدستور أكثر من تعريف منها: إنه "تنظيم مختلف الهيئات القضائية في المدينة، وبشكل خاص تلك التي تضمن السلطة السياسية في كل مكان". ولما كانت الحكومة تمتلك السلطة العليا في المدينة، فإن الدستور في هذا التعريف هو الحكومة" (صلاح علي نيوف د. ت، ص ٢٦). ويبدو بوضوح مما سبق أن أرسطو يجمع في هذا التعريف بين الدستور والحكومة.

يقدم أرسطو تعريفاً آخر للدستور على أنه: "تنظيم السلطات المدنية، متبناً شكل وطريقة الفصل بينها وطبيعة السلطة السيادية في الدول، ثم الحياة الخاصة لكل جماعة" (صلاح علي نيوف د. ت، ص ٢٦). وقد خرج من هذا التعريف المفهوم الحديث للدساتير بأنها الأساس الذي يُحتكم إليه في الفصل بين المؤسسات والسلطات السيادية في الدولة، كما أن الدستور هو مصدر تشريع القوانين الفرعية للتنظيمات الاجتماعية داخل الدولة.

بما أن الدساتير تعتبر المرجعية الرئيسة لفض النزاع والخلاف السياسي والاجتماعي في كل بلد، فهي عرضة للنجاح، كما قد تفشل في تلك المهمة، وطبقاً لذلك فقد ذكر أرسطو بأن هناك دستور صالح وآخر فاسد، فالأول هو الذي يحمي المصلحة العامة فيكتب له البقاء "أي صفة الدوام"، أما الآخر فهو يؤسس لمصلحة مجموعة، وبذلك يتعرض للفناء والتغيير.

يقدم الصادق المهدي تعريفاً للدستور بأنه "أساس الحكم الملزم لكافة المواطنين ولمؤسسات الدولة ولأجهزة الحكم وللمعارضة، وأنه أبو النظام السياسي وأبو القوانين، لذلك لا شرعية لدستور يفرضه حاكم بالقوة. والدستور الشرعي هو الذي تكتبه وتجزئه إرادة الشعب الحرة" (الصادق المهدي د. ت، ص ١٦). وفي هذا تأكيد لأهمية الإيمان والرضى والقبول بالدستور لدى كل أطراف النزاع في الدولة، على كافة المستويات سواء كانت داخل السلطة أو خارجها، جماعية أو فردية.

مفهوم الحقوق السياسية:

تؤكد معظم الدساتير المكتوبة على النص على الحقوق السياسية للأفراد، وقد جاء في القانون الخاص بتنظيم مباشرة الحقوق السياسية في مصر لسنة ١٩٥٦م الآتي:-

الباب الأول في الحقوق السياسية ومباشرتها، المادة (١) : على كل مصري ومصرية بلغ من العمر ثمانية عشر سنة أن يباشر بنفسه الحقوق السياسية الآتية:-

- (١) إيداء الرأي في كل إستفتاء يجري طبقاً لأحكام الدستور.
- (٢) إيداء الرأي في الاستفتاء الذي يجري لرئاسة الجمهورية.
- (٣) انتخاب أعضاء مجلس الشعب، ويعفى من أداء هذا الواجب ضباط وأفراد القوات المسلحة الرئيسية والفرعية والاضافية، وضباط وافرد هيئة الشرطة... الخ.

أما في الدستور السوداني الانتقالي الصادر سنة ٢٠٠٥م فقد وردت الحقوق السياسية في مواطن عديدة، ففي الباب الأول ورد في الفصل الثالث "واجبات المواطن"، المادة (٢/٢٣) الفقرة (و): "على كل مواطن بوجه خاص أن يشارك في الانتخابات والاستفتاءات التي ينص عليها هذا الدستور والقانون". وجاء في الباب الثاني بالمادة (٤١) من وثيقة الحقوق في الفقرتين (١) و(٢): "لكل مواطن الحق في المشاركة في الشؤون العامة من خلال التصويت حسبما يحدده القانون. ولكل مواطن بلغ السن التي حددها هذا الدستور أو القانون، أن ينتخب ويُنتخب في انتخابات دورية تكفل التعبير الحر لإرادة الناخبين، وتجري وفق اقتراع تام السرية.

الخلط بين الحقوق والواجبات السياسية:

من خلال النظر للنصوص الدستورية السابقة هناك تداخل واضح في كل من الدستورين المصر والسوداني المعنيين في من يلي مفهوم الحقوق والواجبات، فقد تم الاتفاق على الحقوق السياسية في الآتي:-

(١) حق الاستفتاء في الدستور أو في أي قضية كبرى، وتكون صيغة الاستفتاء في الغالب بالقبول أو الرفض للموضوع، مثلاً:

	لا للدستور	✓	نعم للدستور
--	------------	---	-------------

(٢) حق التصويت في من ينوب عنك في الحكم. ويُقصد به السلطة التشريعية. ويكون ذلك باختيار ممثلين على المستويات المختلفة للحكم، ويجري الاختيار بين اثنين أو أكثر.

	٤		٣		٢	✓	١	المستوى الولائي
	٤		٣		٢	✓	١	المستوى المحلي

(٣) حق التصويت في من يحكمك. ويُقصد به السلطة التنفيذية. وقد يكون أيضاً في أكثر من مستوى ويتضمن أكثر من خيار.

الرئاسة	١	√	٢		٣		٤
الولاية	١	√	٢		٣		٤

نجد هناك خلط واضح بين الحقوق والواجبات في كلتا الدولتين، ففي مصر ترد هذه الحقوق في ديباجة الحقوق كالاتي: "يعني من هذا الواجب ضباط الجيش ... الخ" ، والحق يمكن أن يمارس أو يترك، ولكن الواجب هو الذي يعفى منه. أما في الدستور الانتقالي في السودان فيرد ذكر هذه الحقوق في المادة الخاصة بواجبات المواطن والمادة الخاصة بالحقوق.

المشاركة السياسية:

المشاركة السياسية عند صامويل هنتجتون وجون نلسون تعني "ذلك النشاط الذي يقوم به المواطنون العاديون بغرض التأثير في عملية صنع القرار الحكومي، سواءً كان هذا النشاط فردياً أو جماعياً، منظماً أم عفويًا، متواصلًا أو منقطعًا، شرعياً أم غير شرعي، فعلاً أم غير فعال". ويعرض لوسيان باي مفهوماً مبسطاً للمشاركة السياسية عندما يشير إلى أنها تعني: "مشاركة أعداد كبيرة من الأفراد والجماعات في الحياة السياسية (سارة الليثي ٢٠١٠م، ص ١). وقد عرف الساعوري - في كتاب عمر يوسف الطيب - المشاركة بأنها: "كل النشاطات التي يقوم بها الأفراد والجماعات بحيث تؤثر في انتقال السلطة من مجموعة سياسية لأخرى، ويتضمن ذلك كل نشاط يتعلق بمراقبة السلطة ومحاسبتها (عمر يوسف الطيب ٢٠٠٠م، ص ٣١٥). وعرفها داوود الباز بأنها "إعطاء المواطنين الفرص المتكافئة لصياغة شكل الحكم والإسهام في تقرير مصر دولتهم على النحو الذي يريدونه، بحيث يكون بإمكانهم صياغة الظروف السياسية على النحو الذي يرغبون الحياة في ظلها (داوود الباز ٢٠٠٠م، ص ٣٥٨).

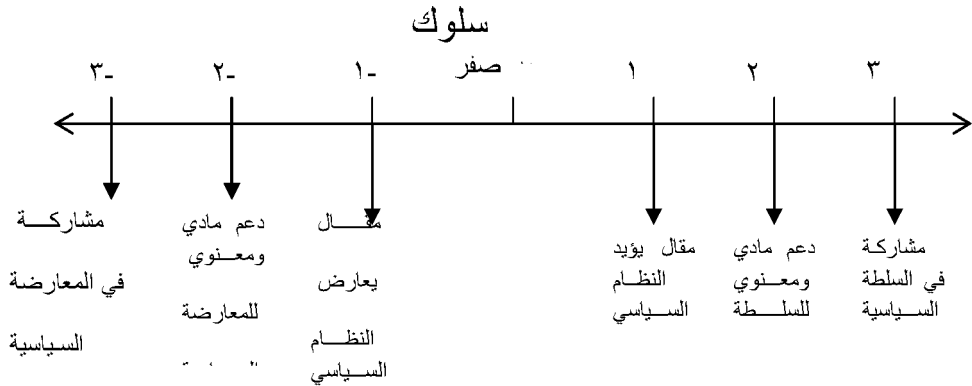
من كل ذلك نجد أن المشاركة السياسية هي العملية التي يلعب الفرد من خلالها دوراً في الحياة السياسية. وقد تكون المشاركة من خلال أنشطة تقليدية مثل التصويت ومتابعة الأمور السياسية، كما قد تكون عبر أنشطة غير تقليدية - قانونية أو غير قانونية - كالنظائر والاضراب وغير ذلك من الممارسات ذات الطابع الاحتجاجي أو المعارض.

الحقوق السياسية والمشاركة السياسية:

تتصل الحقوق السياسية الأساسية الثلاثة سابقة الذكر بالسلوك الانتخابي أو عملية التصويت، كما أن المشاركة السياسية بأنماطها وطرقها المختلفة تبدأ من عملية التصويت، أنظر الشكل التالي:-

الشكل (١)

يوضح أنماط المشاركة السياسية



المخطط إعداد الباحث، دنقلا، ٢٠١٣ م.

نلاحظ من العلاقة الخطية السابقة أن عملية التصويت يمكن أن تكون نقطة الانطلاق للجميع في عملية المشاركة السياسية والنشاط السياسي، سواءاً كانت هذه

المشاركة ضمن أنماط المشاركة المشروعة أو عكسها. وبما أن التصويت يعتبر الوسيلة الأولى في ممارسة الحقوق السياسية عبر ممارسة حق الاستفتاء في النظام الأساسي "الدستور"، الذي يمثل الركيزة الأساسية لكافة العلاقات القانونية، كذلك يمارس الفرد التصويت لاختيار من ينوب عنه في الجانب التشريعي. وهذه هي الوسيلة الثانية لإدارة شؤون الدولة بعد انفاذ الدستور، وأخيراً يمارس الفرد التصويت لاختيار من يحكمه، وهنا تظهر أهمية التصويت في الاختيار بحرية لمن يحكم، وكأنما في ذلك تأكيد على أن الحاكم ليس طرفاً في العقد.

صناعة الدستور في السودان:

يتم إنشاء الدساتير من خلال أساليب وأدوات مختلفة. ويمكن أن يجري ذلك في إطار من السرية بواسطة فريق من الخبراء يطلعون بسن التشريعات، أو من خلال مداوات جمعية تأسيسية انتخبت لهذا الغرض. ويمكن أن ينشأ الدستور كنتاج لمعاهدة دستورية هدفها إيجاد حل لجميع المشكلات السياسية بالبلاد. وقد صار ممكناً في الآونة الأخيرة أن تنشأ الدساتير من خلال المبادرات الشعبية التي يلعب فيها المواطنون دوراً مباشراً في التعبير عن وجهات نظرهم بشأن جميع جوانب الدستور. ويمكن لهذه المبادرة الشعبية في بعض الأحيان أن يقتصر دورها في الدستور بالموافقة على الدستور من خلال استفتاء عام (علي سليمان ٢٠١٣م، ص ١). ومع تطور المفاهيم السياسية وانتشار مبادئ الديمقراطية وحقوق المشاركة السياسية صار لا بد من أن تأخذ الإرادة الشعبية قدراً كبيراً في صناعة الدستور، ويجب أن لا تقتصر على الاستفتاء على الدستور فقط، وإنما تكون مكملة لنشاطات عديدة حول التنقيف بالحقوق السياسية، ومشكلات البلاد الأساسية والطرق المبتكرة لحلها.

يشير "Nwabeze" " إلى أن الاستفتاء يفتقر لتأثير الشرعية السياسية، ما لم تسبقه في مرحلة الصياغة أو بعدها سلسلة من المناقشات والاستطلاعات على المستوى الشعبي لمقترح الدستور" (علي سليمان ٢٠١٣م، ص ٢).

ظل السودان يبحث عن دستور دائم ليرسم الأهداف الإستراتيجية للدولة، إلا أنه لم يتحصل على ذلك الدستور حتى هذه المرحلة من تاريخه السياسي. وربما توجد العديد من المشكلات بعضها كامن في بيئة صناعة الدساتير والبعض الآخر في الدساتير التي طبقت. والملاحظ أن الفترة التي سبقت انفصال دولة جنوب السودان في ٢٠١١/٧/٩م، كانت تتشابه فيها أوجه بعض المشكلات التي أوجبت الخلاف في وضع الدستور مع مشكلات الحاضر، ويمكن تلخيصها في الآتي:-

طبيعة الدولة: هل هي مركزية موحدة أم لا مركزية اتحادية؟

توجه الدولة: هل هي علمانية أم دينية؟

حكومة الدولة: هل هي رئاسية أم برلمانية؟

سياسات اقتصاد الدولة: هل هي اشتراكية أم رأسمالية أم إسلامية؟

إن بعض المشكلات القديمة في كتاب الدستور في السودان ليس لها اليوم أهمية كبيرة، ففيما يتعلق بطبيعة الدول فإن ضرورة تقديم الخدمات جعلت من اللامركزية أمراً لا فكاك منه. أما فيما يتعلق بتوجه الدولة بعد انفصال دولة جنوب السودان أصبح أمر التوجه الديني محلولاً لأن تحكيم الشريعة ضرب من ضروب الممارسة الدينية للسلطة السياسية الذي يأمر به الإسلام وهو الدين لأكثر من ٩٠% من سكان الدولة.*

* في هذا الصدد أنظر. أكرم بابكر الشريف، أثر الدين في بناء الوحدة الوطنية بالسودان - دكتوراه، جامعة دنقلا، ٢٠١٢م.

أما بخصوص حكومة الدولة والجدل حول الحكومة الرئاسية والبرلمانية، فالسودان شأنه شأن العديد من العالم النامي لا يستطيع تطبيق أحد النظامين بالتفصيل وإنه قد أختار العديد من سمات النظامين، ويظهر ذلك في الانتخابات الكلية لحكام الولايات بالدولة داخل ولايتهم كما أن الرئيس يأتي أيضاً بكلية انتخابية، كذلك فيما يخص السياسات الاقتصادية فإن الدين الإسلامي يحدد النمط الاقتصادي، طالما أن الإسلام أصبح دين أكثرية سكان الدولة.

المشكلات الحديثة التي تواجه كتابة الدستور السودان:

ذكرنا أنه بعد انفصال دولة جنوب السودان انتهت المشكلات القديمة المتعلقة بقضايا الوحدة والتوجه الديني في دولة السودان، لكن برزت حديثاً مشكلات قومية جديدة، لا بد من أخذها في الاعتبار في الدستور الدائم. ويمكن تحديد أبرز هذه المشكلات في الآتي:-

- مشكلات تقسيم السلطة.
- مشكلات توزيع وإعادة توزيع الثروة.
- قضايا التنمية المتوازنة.
- قضايا الهوية والحكم الرشيد.
- الحريات والحقوق المدنية.
- استقلال القضاء.

تعتبر المشكلات السابقة هي أبرز مشكلات السياسة العامة في السودان الآن. إن مشكلات تقسيم السلطة والدعاوي المرفوعة من بعض قطاعات المعارضة السياسية والمسلحة عن الاقصاء من قبل السلطة السياسية التي يقودها حزب المؤتمر الوطني منذ يونيو ١٩٨٩م، أصبحت أمراً يهدد الاستقرار السياسي والاجتماعي في الدولة.

إن المشكلات المتعلقة بتوزيع الثروة وإعادة توزيعها، من الخطورة بمكان، فهي تتصل بالنعرات الجهوية كامتداد لمشكلات التهميش والتنمية غير المتوازنة المرفوعة من التنظيمات السياسية والمسلحة ذات البعد الإقليمي أو الجغرافي. أما فيما يتصل بقضايا الهوية والحكم الرشيد، فهي الأساس الذي يمهد لعلاج المشاكل السابقة. فالهوية يجب أن تُحدَدَ وفق مفهوم واضح يُسهّل أمر الوحدة بينمختلف أنحاء الدولة، وعليه تتم ممارسة الحكم الرشيد بالمشاركة والشفافية والكفاءة. أما فيما يلي قضايا الحريات والحقوق، فيمكن حلها في التوعية الواسعة بين القواعد الشعبية، لأنها تشكل أساس قوة الدستور وديمومته، لذلك لا بد من مشاركتها في وضع الدستور والاستفتاء.

المشاركة الشعبية في صناعة الدستور:

تشمل المشاركة الشعبية في صناعة الدستور، المشاركة في لجان وضع الدستور وخطوات صناعته، ويتبع ذلك تطبيق المعايير الدولية التي تحكم وضع الدستور، وهي المشاركة وعدم الإقصاء للأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني والمنظمات الفتوية كالمرأة، مع تمثيل عادل للقطاعات المختلفة عن طريق لقاءات مفتوحة. هذه اللقاءات تكون مع الجهات ذات الاختصاص في صياغة الدستور وليس منظمات المجتمع المدني، كما أنه لا يمكن عملياً مشاركة الجميع في عضوية المفوضية أو مؤسسة صناعة وكتابة الدستور، لكن يجب تطبيق مبدأ الشفافية والمساءلة باستخدام أجهزة الإعلام بمختلف أنواعها، على أن يكون ذلك سبيل العمل في كل مراحل صناعة الدستور.

بما أن التصويت هو وسيلة من وسائل المشاركة السياسية ويحتل المرتبة الأولى بينها، فإن التصويت في الاستفتاء عن الدستور تحديداً يعتبر أول درجات التصويت، إذ يتم فيه التصويت على الميثاق الذي ينظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم

وبين الحاكمين فيما بينهم، لذا يجب أن يجري هذا التصويت عن إدراك بكل أهدافه وجوانب الدستور الأساسية.

أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- إن الإطار القانوني المرجعي السليم - ونعني بذلك "الدستور" - هو الذي يؤدي إلى علاقات سياسية مستقرة حال احترامه والتقيده به.
- يحدد فهم المواطنين لأهمية الدستور طبيعة مشاركتهم فيه من خلال مرحلة الكتابة والاستفتاء.
- الثقافة السياسية التعددية تؤدي إلى خلق نظام قانوني يحدد حقوق وواجبات جميع الأطراف.
- يعتبر التصويت في الاستفتاء عن الدستور الأساس الذي تنشأ منه المشاركة السياسية.
- تغيرت المشكلات المتعلقة بصناعة الدستور في السودان وصارت الآن أكثر تعقيداً من ذي قبل.
- تعتبر مشكلات الثروة وتقسيمها من أبرز أسباب الخلاف السياسي في السودان ويجب أن يُكرس الدستور لحلها.

أهم التوصيات:

- تؤكد الدراسة على ضرورة التثقيف بحقوق الإنسان عامة والحقوق السياسية خاصة.
- يجب أن يشمل الدستور على نصوص واضحة فيما يتصل بتقسيم السلطة والثروة.
- لا بد من انتهاج نمط اللامركزية السياسية الذي يتناسب مع حجم التعدد والتنوع العرقي والجغرافي وتضمن ذلك في الدستور.

- يجب أن يوضح الدستور الدائم حقوق المشاركة بمختلف مستوياتها، على أن تشمل الحقوق السياسية الأساسية لكافة المواطنين البالغين في الدولة.

قائمة المراجع:

- أكرم بابكر الشريف ٢٠١٢م: أثر الدين في بناء الوحدة الوطنية بالسودان، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة دنقلا.
- داوود الباز ٢٠٠٥م: حق المشاركة في الحياة السياسية، دار الفكر الجامعي، القاهرة.
- دستور السودان الانتقالي لسنة ٢٠٠٥م.
- سارة الليثي ٢٥/١٠/٢٠١٠م: "مفهوم المشاركة السياسية"، مدونة الكترونية علي الرابط <http://static.flipora.com>.
- علي سليمان ٢٠١٣م: التجربة السودانية في صناعة الدستور، تجارب الماضي (١٩٥٦ - ٢٠٠٥م)، ورقة مقدمة في منتدى المشاركة العامة في صناعة الدستور، جامعة الخرطوم - مركز الدراسات الانمائية بالتعاون مع كلية المجتمع جامعة دنقلا.
- عمر يوسف الطيب ٢٠٠٠م: علم الاجتماع السياسي، الأصول والتحليل التكاملية، دار الفكر الجامعي، القاهرة.
- الصادق المهدي (د.ت): إتفاقية السلام يناير ٢٠٠٥م ومشروع الدستور أبريل ٢٠٠٥م في الميزان. علي الرابط www.sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg...6
- صلاح علي نيوف (د.ت): مدخل إلى الفكر السياسي الغربي، ج ١، كلية القانون والعلوم السياسية، الأكاديمية العربية في الدنمارك، كتاب الكتروني، علي الرابط www.ao-academy.org/docs/western_idea_by_salah_nayouf.doc
- مسودة الحقوق والسياسية في الدستور المصري لسنة ١٩٥٦م

GUIDELINES FOR AUTHORS

Human studies journal is a half-year publication representing articles in the field of social sciences and humanities aiming to pursue research and form a meeting for ground exchange of openions.

The Journal welcomes articles,books, reviewsand scientific reports.

Submitted manuscripts should be written in Arabic,English or French, in the range of 7000 words (ca.20 pages). Typed in an A4 size paper along with a CD or 3.5 disk. An abstract of no more than 100 words in a language other than that of the manuscript should be submitted with the manuscript.

The manuscript should not have been published previously and should not be published elsewhere, in full or in part, without a written permission from the chief editor.

Referances should be cited according to the American styles.The bibliograghy should be arranged at the end of the text in the following order: family name, first name, year of publication, title of the book or paper,(in case of book, name and place of publisher. In case of paper journal serial number and paper pages number).

Submitted manuscripts would be evaluated by specialists in the field. If accepted, papers can be subjected to minor modifications.

Each author is entitled to 3 copies of the journal in which his/her paper is published.

The view expressed in the papers are the sole responsibility of the authors.

Manuscripts will not be returned to their authors.

Corresponding address : P.O.box:58 Karima, Sudan.

e-mail : magazinearts@yahoo.com

Fax : 0249231822954

Tel : 0249231820098